ردمد ٣٥١٥-١٦٥٨
ISSN.١٦٥٨-٣٥١٥
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠



قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاًّ من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً .
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A٤) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٨) وخط الهامش (١٤)، ونوع الخط (Arabic Traditional).
- أن تكون هوامش الصفحة من الأعلى والأسفل واليسار ٢,٥سم ومن اليمين ٣,٥سم.

- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.
- تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على الموقع الإلكتروني للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بعد إجازته للنشر.
- أن تكون المراسلات عبر البريد الإلكتروني.
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤
هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥
البريد الإلكتروني: **quranmag@gmail.com**

عنوان الجمعية
ص - ب: ١٧٩٩٩ - الرياض - ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ - ٢٥٨٢٧٠٥

موقع الجمعية
www.alquran.org.sa

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحرير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً يليق بجلال وجهه سبحانه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

وبعـــــد :

أيها الكرام، هذه مجلتكم «مجلة الدراسات القرآنية» المجلة العلمية المحكمة الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه «تبيان» تسعد بكم – ولعلكم بها أسعد – تتقدم لكم بعددها التاسع في مادتها العلمية الجديدة، وموضوعاتها المتنوعة، متطلعة لتحقيق رغباتكم – أو بعضها – في خدمة التخصص وإثراء المعرفة، وخدمة العلم وأهله.

والمجلة ترغب بمعرفة آراء القراء، وتسعد باقتراحاتهم لكي تسعى لتحقيقها أو تحقيق الممكن منها، فإن المجلة لهم وبهم.

فقد احتلت المجلة مكانتها بين مثيلاتها رغم قصر عمرها بتعاون الجميع في النهوض بها مادة علمية، وإخراجاً فنياً، فالمجلة بكتابها وما يختارونه من موضوعات، ويعالجونه من مشكلات تخدم التخصص، وتثري المعرفة.

والمجلة بأساتذتها الفاحصين لتلك البحوث والموضوعات وما يقرُّونه منها، ويسددون نقصه، ويقوِّمون عِوجه، ويرشدون كاتبه.

ولا زالت الدعوة قائمة ودائمة لانتقاء الموضوعات الجديرة البحث، ودقة الفحص.

وبعـــــــد:

فالشكر لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً على تيسيره وتسديده، ثم لجميع من أسهم في صدور هذه المجلة واستمرارها من كتاب، وفاحصين، وقراء محترمين، وأعضاء عاملين في تحرير المجلة، وإدارة المجلة.

والشكر موصول للجامعة وفي مقدمتهم معالي مديرها النشط الأستاذ الدكتور/ سليمان بن عبدالله أبا الخيل، ولعمادة الكلية وإدارتها على تعاونها مع الجمعية والمجلة وتشجيعها، ولمقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده من الدعاء أخلصه، ومن الشكر أجزله، على الدعم والتشجيع للجمعية والمجلة والجامعة.

وفق الله الجميع لكل حق وخير.

رئيس تحرير المجلة

أ. د / محمد بن عبد الرحمن الشايع

المحتويات

(تفسير سورة القدر)

تأليف: شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالعزيز السنباوي الأزهري المعروف بالأمير الكبير (١١٤٥ - ١٢٣٢ هـ)

دراسة وتحقيق

د. منيرة بنت محمد بن ناصر الدوسري

د. منيرة بنت محمد الدوسري

- أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الدمام.
- حصلت على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الدمام بأطروحتها (أسماء سور القرآن وفضائلها).
- حصلت على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الدمام بأطروحتها (أسباب النزول في تفسير ابن كثير (سورة البقرة) جمع وتحقيق ودراسة).

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن علم التفسير من أشرف العلوم كلها وأجلّها وأرفعها، لأن موضوعه كلام الله تعالى، ووحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم الذي تحدى به جميع خلقه أن يأتوا بمثله فما استطاعوا وأنّى لهم أن يستطيعوا .

فهو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾، وهو العلم الذي من خلاله يُفهَم كتاب الله عز وجل، الذي هو أشرف كلام، وأعلاه وأجلّه .

لذا فقد اهتم علماء المسلمين سلفاً وخلفاً بهذا العلم الشريف، واشتغلوا فيه قديماً وحديثاً، وظهرت أسماء علماء كان لهم الفضل في إرساء هذا العلم الشريف، وقد وقفوا أنفسهم لكتاب الله والعناية به كالإمام ابن جرير الطبري، والقرطبي وابن كثير وغيرهم رحمهم الله .

وكان من بين هؤلاء العلماء الأجلاء، الذين وفقوا لخدمة هذا الكتاب العزيز والعناية به : شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالعزيز السنباوى الأزهرى المعروف بالأمير الكبير (١١٤٥ – ١٢٣٢ هـ)، فلقد ألف في خدمة القرآن الكريم كتابه (تفسير سورة القدر) .

ونظراً لأهمية الموضوع المرتبط به، وصلة هذا الكتاب القوية بكتب التفسير، ولحاجة المكتبة لمثل هذا الكتاب حيث إنه لا يزال مخطوطاً لم يطبع، فقد عزمت مستعينة بالله تعالى على تحقيقه وفقاً للمخطط الآتي :

قسمت العمل في تحقيق المخطوطة إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسة وفيها فصلان :

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

أ ـ اسمه ونسبته ولقبه وكنيته .

ب ـ مولده ونشأته .

ج ـ طلبه العلم ورحلاته العلمية و شيوخه وتلاميذه .

د ـ عقيدته .

هـ ـ وفاته .

المبحث الثاني : مؤلفاته العلمية .

الفصل الثاني : دراسة الكتاب وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

ـ نسبة الكتاب إلى المؤلف وتحقيق عنوانه .

ـ مصادر المؤلف التي اعتمد عليها في كتابه .

المبحث الثاني :

ـ منهج المؤلف .

ـ قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الثالث:

ـ وصف النسخ المعتمدة في التحقيق .

القسم الثاني : التحقيق :

ويشمل النص محققاً ومعلقاً عليه .

منهجي في التحقيق :

كان منهجي في تحقيق الكتاب ما يلي :

١ ـ اعتمدت على النسخة الأصل وهي التي كتب عليها أنها بخط المؤلف، فنسختها، وحررت النص وفق القواعد الإملائية الحديثة .

٢ـ مقابلة النسخ، قابلت النسخ مع النسخة الأصلية، وأثبت الفروق في الحواشي .

٣ ـ نقلت بعض الفوائد العلمية من الحواشي الموجودة في هوامش النسخ التي اعتمدتها في التحقيق، وأثبتها في الحاشية مع رموز كل نسخة، واستبعدت من الحواشي ما لا يظهر فائدته، وهذه الفوائد هي منسوبة للمؤلف نفسه كما نص بذلك الناسخ في نهاية كل نص بقوله (مؤلفه) .

٤ ـ عزوت الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم، وقد ذكرت اسم السورة ورقم الآية

٥ ـ خرّجت الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بالعزو إليه، وإذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أقوم بتخريجه من الكتب السنة المعتمدة .

٦ ـ شرحت الكلمات الغريبة مع ذكر المصدر لها .

٧ ـ خرّجت الشواهد الشعرية ونسبتها إلى قائليها ما أمكن ذلك .

٨ ـ عرفت بالأعلام الواردة في النص بشكل موجز .

٩ ـ أشرت إلى مصادر الآراء الواردة في النص .

١٠ ـ علقت على المسائل التي رأيت أنها بحاجة إلى مزيد إيضاح وبيان .

١١ ـ وضعت فهرساً للمصادر والمراجع التي اعتمدتها في الدراسة والتحقيق .

١٢ ـ وضعت فهرساً للموضوعات .

هذا وأتوجه بالدعاء إلى العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، كما أسأله العون والتوفيق لخدمة كتابه وإعلاء كلمته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

أ ـ اسمه ونسبته ولقبه وكنيته .

ب ـ مولده ونشأته .

ج ـ طلبه العلم ورحلاته العلمية و شيوخه وتلاميذه .

د ـ عقيدته .

هـ ـ وفاته .

المبحث الثاني :

مؤلفاته العلمية .

المبحث الأول

أ ـ اسمه ونسبته ولقبه وكنيته :

هو الإمام العالم العلاّمة، الأستاذ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالعزيز بن محمد الأزهري المالكي المغربي المصري السنباوي، نسبة إلى "سنبوة" بلدة من قسم منفلوط بمديرية أسيوط غرب الترعة الإبراهيمية، الملقب بالأمير الكبير، وشهرته بالأمير إنما جاءته من جده الأدنى أحمد، وسببه أن جده أحمد وأباه عبدالقادر كان لهما إمارة بالصعيد . وأصله من المغرب، نزلوا بمصر عند "سيدي عبدالوهاب" أبي التخصيص كما أخبرت بذلك وثائق لهم، ثم التزموا بحصة بناحية سنبو وارتحلوا إليها وقطنوا بها [1] .

ب ـ مولده ونشأته :

ولد الأمير الكبير بسنبو، وكان مولده في شهر ذي الحجة سنة ١١٥٤هـ بإخبار والديه، وبعد ختم القرآن بتلك البلدة وهو ابن تسع سنين ارتحل مع

---

(١) مصادر ترجمته : عجائب الآثار للجبرتي (٣/ ٥٧٣) ؛ حلية البشر (٣/ ١٢٦٦) ؛ الفكر السامي للحجوي (٢/ ٢٩٧) ؛ شجرة النور الزكية لمخلوف ص ٣٦٢ ؛ فهرس الفهارس لعبدالحي الكتاني ص ١٣٣ ؛ كنز الجوهر ١٦١ ؛ هدية العارفين (٢/ ٣٥٨) ؛ معجم المطبوعات لسركيس ص ٤٧٣ ؛ الأعلام للزركلي (٧/ ٢٩٨) ؛ معجم المؤلفين لكحالة (٩/ ٦٨) ؛ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١/ ٣٠٧) ؛ فهرس الكتب التركية الموجودة بالكتبخانة الخديوية (١/ ٣٣٦)، دار الكتب المصرية رقم (٥١٠٢٧٨) ؛ فهرس الخزانة التيمورية (١/ ٨٠)، دار الكتب المصرية رقم (٣٢٧٠١٩) ؛ الخطط التوفيقية (علي باشا مبارك) (١٢/ ٥٤)، دار الكتب المصرية رقم (٢٧٥١٢١)؛ فهارس الأزهرية، مكتبة المشيخة الأزهرية (١/ ٢٠٣)

والديه إلى القاهرة، والتحق بالأزهر واجتهد في تحصيل العلوم، ولم يبق فن إلا أتقنه[(١)].

ج ـ طلبه للعلم ورحلاته العلمية و شيوخه وتلاميذه :

قدم إلى القاهرة وهو ابن تسع سنين حافظاً للقرآن الكريم، ومجوّده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة، ثم واصل سعيه في طلب العلم، وحصّل ودرس على أعيان عصره، وأخذ بحظ وافر من علوم النحو واللغة والتصوف والقراءات، إلى غير ذلك من العلوم على أئمة المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة الذين أجازوه .

فأول ما حفظ متن الآجرومية، وسمع سائر الصَّحيح والشِّفاء على الشيخ علي ابن العربي السَّقاط، ولازم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول، وحضر على السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي، والأربعين النووية، وسمع الموطأ على الشيخ محمد التاودي بن سودة بالجامع الأزهر، ولازم الشيخ حسن الجبرتي سنين، وتلقى عنه الفقه الحنفي وغير ذلك من الفنون كالهيئة، والهندسة والفلكيات والحكمة بواسطة تلميذه الشيخ محمد بن إسماعيل النَّفراوي المالكي وكتب له إجازة مثبتة في برنامج شيوخه، وعلى الشيخ محمد الحفني أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمائل، والنجم الغيطي في المولد، وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبدالسلام كما جالس ولازم غيرهم من علماء عصره،

(١) انظر المراجع السابقة.

وشملته إجازة الشيخ الملويّ، وتلقى عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمنزل .

انتهت إليه الرّياسة في العلوم بالديار المصرية، إذ تصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه واشتهر فضله، وذاع صيته وكبر قدره، وشاع ذكره في الآفاق وخصوصا بلاد المغرب وبخاصة بعد موت أشياخه، إذ كانت تأتيه الصِّلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام، وسافر إلى المغرب لإلقاء الدروس في دار السلطنة التي كان يحضرها العديد من العلماء .

وفد عليه طلاب العلم للأخذ عنه والتلقي منه والاستفادة من مصنفاته التي هي غاية التحرير، وكان يدرس فقه مالك الذي هو مذهبه، وفقه الحنفي والشافعي، وأخذ عنه ابنه محمد (الأمير الصغير) والدسوقي وأحمد الصاوي وغيرهم .

وتولى مشيخة السَّادة المالكية بالأزهر بعد وفاة الشيخ أحمد الدرديري، حتى توفي رحمه الله، ثم تولاها ابنه الشيخ محمد الأمير الصغير[1].

د ـ عقيدته :

يتبين لمن يقرأ تفسيره أنه يميل إلى مذهب الأشاعرة، وإن كان لم يصرح به ولم يظهر ظهوراً بيناً، إلا أنه يظهر تأثره بمذهبهم فيما ينقله عنهم، وفيها دلالة ظاهرة على موافقته لهم كما في ص ٣١، ٤٣.

---

(١) انظر عجائب الآثار (٣/ ٥٧٣) ؛ حلية البشر (٣/ ١٢٦٦) ؛ الفكر السامي (٢/ ٢٩٧) ؛ شجرة النور الزكية ص ٣٦٢ ؛ فهرس الفهارس ص ١٣٣ ؛ معجم المطبوعات ص ٤٧٣.

و في مواضع عدة ينقل عن البيضاوي ـ والذي عرف بمناصرته للأشاعرة ـ دون التعليق على أقواله كما في ص ٣٧، ٣٨.

كما أن له حاشية على منظومة جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام اللقاني، وهي نظم على طريقة الأشاعرة في تقرير العقيدة، صرح بذلك في ص ٥٠ .

وتأثر المؤلف بعلم المنطق فكان يستطرد في بعض المسائل الكلامية والفلسفية، ويستخدم مصطلحات المتكلمين بعبارات غامضة ومبهمة لم ترد في كلام السلف كما يظهر في ص٣٠، ص ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، وينقل عن بعض من عرف بالمتصوفة وأهل الكشف، تارة بالنقل عنهم بقوله : (ينقل عن بعض أهل الكشف)، وتارة بالتصريح بأسمائهم كأحمد زروق .

كما عرف للمؤلف الطريقة الشاذلية، قال البيطار في حلية البشر : (أنه تلقى عن الشيخ أحمد الجوهري طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبدالله الشريف) [1]، وسيأتي من بين مؤلفاته كتابه (الوظيفة الشاذلية) .

٥ـ وفاته :

كانت وفاته في يوم الأثنين العاشر من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ، ودفن بجوار مدفن الشيخ عبدالوهاب العفيفي، وكانت له جنازة حافلة مشهودة.

قال الجبرتي : (كان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج، ينزعج طبعه من غير انزعاج، يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنافر يوهنه ويسقمه، وبآخره ضعفت

---

(١) (٣/١٢٦٦).

قواه وتراخت أعضاه وزاد شكواه، ولم يزل يتعلل ويزداد أنينه ويتململ، والأمراض به تسلسل، وداعي المنون عنه لا يتحول، إلى أن توفي يوم الأثنين عاشر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٣٢هـ، وكان له مشهد حافل جدا، ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي، بالقرب من عمارة السلطان قايتباي، وكثر عليه الأسف والحزن وخلفه ولده العلامة النحرير الشيخ محمد الأمير..) [١].

(١) عجائب الآثار (٣/ ٥٧٤).

المبحث الثاني

مؤلفاته العلمية :

للمؤلف ـ رحمه الله ـ تآليف جمّة في فنون كثيرة اشتهرت بأيدي الطلبة وهي في غاية التحرير، أكثرها حواشي وشروح، من أشهرها :

مصنف في فقه مذهبه سماه (المجموع) حاذى به مختصر خليل، جمع فيه الراجح في المذهب وشرحه شرحا نفيسا، وقد صار كل منهما مقبولا في أيام شيخه العدوي حتى كان إذا توقف شيخه في موضع يقول : هاتوا مختصر الأمير، وهي منقبة شريفة .

و(الإكليل شرح مختصر خليل) (خ) الأزهر، و (ضوء الشّموع على شرح المجموع) (ط)، و (الكوكب المنير في فقه المالكيّة) (ط)، وكلها في الفقه المالكي .

و (حاشية على الشيخ عبد الباقي على المختصر) (ط)، و (حاشية على شرح ابن تركي على العشماوية) (خ) في الفقه .

و(حاشية على الفوائد الشنشورية شرح الرحبية) (خ) الأزهر في الفرائض.

و(حاشية على مغنى اللبيب لابن هشام) (ط)، و (حاشية على شرح ابن هشام لشُذُورِ الذَّهب) (ط)، و (إتحاف الإنس في العلميَّة واسم الجنس) (خ) الأزهر، كلها في النحو.

و (حاشية على شرح الملويّ على السَّمرقنديَّة) (ط) في البلاغة .

و (حاشية على شرح الشَّيخ خالد على مقدّمته الأزهريَّة) (ط)، و(شرح الأمير على أبيات (لاسيّما) للسجّاعي) (ط) في العربية .

و(حاشية على أتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام اللقاني على جوهرة التوحيد) (ط) في العقيدة .

والوظيفة الشاذلية (ط) .

وحاشية على المعراج سماه (مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين) (ط) .

و(النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية) (ط) .

و (رسالة الأمير في لحن القراء والإنكار على من يقول بكفر اللاحن) (خ) الأزهر، في التجويد والقراءات .

و (شرح البسملة) (خ) الأزهر، و(تفسير المعوّذتين) (خ) الأزهر، و (تفسير سورة القدر) الذي أقوم بتحقيقه[1].

وغير ذلك من الحواشي والشروح.

---

(١) انظر معجم المطبوعات ص٤٧٣ ؛ حلية البشر (٣/ ١٢٦٦) ؛ عجائب الآثار (٣/ ٥٧٣،٥٧٤) ؛ هدية العارفين (٢/ ٣٥٨) ؛ الأعلام (٧/ ٢٩٨) ..

الفصل الثاني : دراسة الكتاب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

أ ـ نسبة الكتاب إلى المؤلف وتحقيق عنوانه .

ب ـ مصادر المؤلف التي اعتمد عليها في كتابه .

المبحث الثاني :

أ ـ منهج المؤلف .

ب ـ قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الثالث :

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق .

المبحث الأول :

أ ــ نسبة الكتاب إلى المؤلف وتحقيق عنوانه .

ورد الكتاب بهذا الاسم (تفسير سورة القدر) ولا شك في صحة نسبته للشيخ محمد الأمير السنباوي ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك لثبوت الأدلة التالية:

أولاً : ورد اسم الكتاب في كثير من المصادر التي ترجمت للمؤلف وأشارت إليه، وفهارس المكتبات التي تحتفظ بنسخة منه منسوب إلى الشيخ الأمير الكبير، ولم أقف على ما يدل على خلاف ذلك، ومن هذه المراجع :

هدية العارفين [(١)]، عجائب الآثار [(٢)]، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون [(٣)]، حلية البشر [(٤)] .

وكذلك فهارس المكتبات كفهرس الأزهرية [(٥)]، وفهرس الخديوية[(٦)]، وفهرس التيمورية[(٧)]، والخطط التوفيقية[(٨)]، وفهرس دار الكتب المصرية[(٩)] .

---

(١) (٢)(٣٥٨)

(٢) (٣/ ٥٧٣)

(٣) (١/ ٣٠٧)

(٤) (٣/ ١٢٦٦)

(٥) جامع الأزهر، مكتبة المشيخة الأزهرية (١/ ٢٠٣)

(٦) فهرس الكتب التركية الموجودة بالكتبخانة الخديوية (١/ ٣٣٦)، دار الكتب المصرية رقم (٥١٠٢٧٨)

(٧) فهرس الخزانة التيمورية (١/ ٨٠)، دار الكتب المصرية رقم (٣٢٧٠١٩)

(٨) الخطط التوفيقية (علي باشا مبارك) (١٢/ ٥٤)، دار الكتب المصرية رقم (٢٧٥١٢١)

(٩) (٢/ ٩٤)

ثانياً : نص المؤلف على اسمه في مقدمة التفسير في جميع النسخ بقوله : (أما بعد فيقول الفقير محمد بن محمد الأمير عفا الله تعالى عنه، وغفر له ولطف به آمين : هذا ما يسره الله تعالى خدمة لسورة القدر) .

ثالثاً : في حاشية نسخة "ج" علق المحشى عبدالسلام بعد أن ذكر المؤلف اسمه بقوله : (هو الأمير الكبير المشهور لا ابن صاحب مسلسل عاشوراء المتداول بين أهل الأزهر الآن)

رابعاً : وجود اسم الكتاب واسم المؤلف على صفحة العنوان في جميع النسخ .

فعلى سبيل المثال أ ـ في النسخة الأم كتب ناسخ المخطوطة في بدايتها (هذه رسالة في خدمة سورة القدر للعلامة الشيخ محمد الأمير رحمه الله بمنه وكرمه)

ب ـ في نسخة "أ" كتب ناسخ المخطوطة في بدايتها (هذا تفسير سورة القدر الشريف للإمام الهمام العلامة شيخنا وأستاذنا مالك الصغير أبو محمد محمد الأمير تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين)

ج ـ وفي نسخة "ب" كتب الناسخ في بداية المخطوط (هذا تفسير سورة القدر لشيخ مشايخ الإسلام خاتمة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين العالم العلامة والبحر الخضم الفهامة شمس الملة والدين المحفوظ بعناية ربه الملك القدير سيدي محمد بن محمد فسح الله في مدته آمين)

د ـ : وفي نسخة "ج" كتب الناسخ في بداية المخطوط (تفسير إنا أنزلناه للعلامة الشيخ الأمير الكبير محشى عبدالسلام)

هـ : في نسخة "د" كتب الناسخ في بداية المخطوط (تفسير سورة القدر للأمير) .

و ـ: وفي نسخة "هـ" كتب الناسخ في بدايتها (هذا تفسير سورة القدر لجامع أشتات الفضائل وترجمان لسان الأوائل العالم النحرير سيدي محمد الأمير عفا الله عنه)

ز : وفي نسخة "و" كتب الناسخ (هذه رسالة عظيمة القدر للعلامة فريد عصره في تفسير إن أنزلناه في ليلة القدر)

وقد ذكر الزركلي في كتابه الأعلام أن من مؤلفات الأمير (تفسير سورة القدر) ورمز لها (خ) على أنها مخطوطة و (انشراح الصدر في بيان ليلة القدر) ورمز لها (ط) على أنها مطبوعة، على أنهما كتابان .

و الذي يظهر لي أنهما مؤلف واحد، فلم أقف على تسمية هذه المخطوطة بهذا الاسم في نسخها المتعددة، وكذلك في فهارس المخطوطات لم أجد من أسماها إلا باسمها المشهور (تفسير سورة القدر)، ولا يوجد فيها ما يدل على تسميتها بانشراح الصدر في بيان ليلة القدر، فدل على أنها هي نفسها تفسير سورة القدر .

ب ـــ مصادر المؤلف التي اعتمد عليها في كتابه .

لم يذكر الشيخ الأمير في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب، لكن من خلال عملي في الكتاب استخلصت المصادر التي اعتمد عليها، وهي على النحو الآتي :

١ ـ مصادره من كتب التفسير :

ـ استفاد الأمير ـ رحمه الله ـ من تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل)، ويظهر اعتماده على تفسيره بنقل أقواله تارة من تفسيره مع التصريح كما في ص ٣٢، ٣٤، وتارة أخرى ينقل من أصحاب الحواشي على تفسيره أمثال حاشية الشيخ زاده كما في ص ٣٥، وحاشية الشهاب الخفاجي، والأخير يأتي في طليعة المصادر التي أخذ عنها المؤلف، وكانت معظم نقوله منهم منسوبة إليهم، وبدون تصرف في النقل كما جاء في ص ٣٣، ٣٧، ٥٥ وغيرها .

ـ الخطيب الشربيني من تفسيره (السراج المنير) ص ٤٧، ص ٤٨ .

ـ والفخر الرازي من تفسيره (مفاتيح الغيب) ص ٣٢ .

ـ والسيوطي من تفسيره (الدر المنثور) ص ٣٥، ص ٥٨ .

٢ ـ مصادره من كتب علوم القرآن :

ـ نقل عن ابن العربي من كتابه (أحكام القرآن) ص ٤٨ .

ـ وكتاب حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للشاطبي ص ٤٤، ص ٥٥ .

٣ ـ مصادره من كتب اللغة :

ـ المطول للسعد التفتازاني ص ٢٩ .

ـ الخلاصة الألفية لابن مالك ص٥٤ .

ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٠، ص٥٦ .

ـ مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ص ٤٠ .

٤ ـ مصادره من كتب الحديث النبوي :

ـ من المصادر التي اعتمد عليها صحيح البخاري وصحيح مسلم، وبعض

كتب السنن كالترمذي وغيره .

٥ ـ مصادره من كتب العقيدة :

ـ النبتيتي وقد نقل عنه المؤلف من شرحه على النجم الغيطي كما في ٢٩، ص ٤١.

ـ السنوسي في شرح كبراه ص ٤١ .

هذه نماذج من المصادر التي اعتمدها الأمير في تفسيره لسورة القدر .

المبحث الثاني :

أ ــ منهج المؤلف .

لم يبين المؤلف ـ رحمه الله ـ في مقدمة تفسيره المنهج الذي سار عليه في تأليفه، ومن خلال دراستي للكتاب تبين لي أن الشيخ الأمير ـ رحمه الله ـ قد سلك في تفسيره منهجاً جمع فيه منهج التفسير بالمأثور إلى جانب إلى التفسير بالرأي، وقد اتبع أسلوب التفسير التحليلي وهو ما يلي :

ـ ابتدأ بذكر مدنية السورة ومكيتها، ثم يشرع في تفسير السورة على حسب ترتيب آياتها، فيبين معانيها والأحكام المتعلقة بها .

ـ ينقل عمن سبقه مما أثر عنهم في التفسير والأحكام مع نسبة كل قول لقائله، ويعقب على بعض الأقوال .

ـ يذكر القراءات المتواترة والشاذة مع بيان وجه شذوذها .

ـ يحتكم كثيرا إلى اللغة ويستعين بآراء علماء اللغة في تفسير الألفاظ الغريبة، ويذكر وجوه الإعراب .

ـ يستشهد على ما يقوله بالشعر العربي .

ـ يستشهد بالأحاديث والآثار التي لها صلة بتفسير الآية، والمتعلقة بالسورة بشكل عام .

ـ يستطرد أحياناً في نواحي علمية متعددة تخرجه عن دائرة التفسير .

ـ يظهر تأثر المؤلف بعلم المنطق في تقريره بعض المسائل، فقد سلك فيها طريق المتكلمين، وقد يكتنف أسلوبه فيها بعض الغموض بحيث لا يفهم المقصود منها إلا بتكلف كما في ٣٥، ص ٣٩ .

ب ــ قيمة الكتاب العلمية .

ـ تكمن قيمة هذا الكتاب من قيمة وأهمية موضوعه، فموضوعه علم التفسير وهو من أجل العلوم وأشرفها .

ـ كما تكمن أهميته في عدة اعتبارات، ولعل أهمها أنه يعد أحد التفاسير المختصرة لسورة القدر، جمع فيها بين التفسير بالدراية وأجاد فيها والتفسير بالرواية .

ـ تظهر القيمة العالية للكتاب باهتمام بكثرة الحواشي والتعليقات التي سجلت على صفحات المخطوطة، ولم لم يكن للكتاب تلك القيمة العالية لما كان هذا الاهتمام وتلك العناية .

ـ أنه مصنف خاص ومستقل لسورة القدر .

ـ امتاز هذا الكتاب باعتماده في تفسيره على عدة مصادر متنوعة (سيأتي ذكرها في مصادره التي اعتمد عليها) .

كل هذه الاعتبارات وغيرها توضح لنا قيمة هذا الكتاب العلمية وأهميته، وأنه كنز من كنوز تراثنا الإسلامي يجب إخراجه من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات و تحقيقه التحقيق العلمي لينتفع به المسلمون .

المبحث الثالث :

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق .

اعتمدت في تحقيق مخطوطة (تفسير سورة القدر) على سبع نسخ خطية، وقد رمزت لكل واحدة منها برمز معين على النحو التالي :

أولاً : النسخة الأصل :

وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ١٨٣٠٩ . وأصلها من مكتبة حسن حسني عبدالوهاب.

مقاسها: ١٥/ ٢٠، عدد الأوراق : ١٠، عدد الأسطر : ٢١، نوع الخط : مغربي .

وهي ذات خط جيد وواضح، وميّزت آيات السورة فيها بالحمرة .

كتب على الورقة الأولى : بخط الشيخ محمد الأمير المصري، ولهذا تم اختيارها على أنها النسخة الأم .

ثانياً : نسخة (أ) :

وهي محفوظة في دار الكتب المصرية، برقم (٢١٣٤٣) .

عدد الأوراق : ٨، عدد الأسطر : مختلفة ما بين ١٨ إلى ٢١ سطر .

وهذه النسخة حسنة ذات خط واضح وجميل، ولم يذكر اسم الناسخ، وليس فيها تاريخ للنسخ .

وكتب في الورقة الأخيرة : هذه النسخة من بعد نقلها قوبلت على أصلها عن يدي، ولهذا تم اختيارها للمقابلة .

ثالثاً : نسخة (ب) :

وهي في المكتبة الأزهرية برقم (٢٨٩٠٩) .

عدد الأوراق : ٨، عدد الأسطر ٢٣، وميّزت آيات السورة فيها بالحمرة .

كتبت بخط واضح جيد، وناسخها هو : علي بن أحمد أبو ميرة، وتاريخ نسخها : ٢٤ جمادى ثانية عام ١٢١٥هـ وهي من أقدم النسخ لذا استعنت بها عند المقابلة .

رابعاً : نسخة (ج) :

وهي في دار الكتب المصرية برقم (٢٢٦١٨)

مقاسها : ٢٢× ١٦، عدد الأوراق : ١١، عدد الأسطر : ٢١ .

تاريخ النسخ : ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٢٦هـ، ولم يذكر اسم الناسخ.

كتبت بخط معتاد واضح، وكتب في الورقة الأولى : تفسير إنا أنزلناه للعلامة الشيخ الأمير الكبير محشى عبدالسلام، ولهذا استعنت بها عند المقابلة لقيمة حواشيها .

خامساً : نسخة (د) :

وهي في المكتبة الأزهرية برقم (٥٩٨١٤) .

عدد الأوراق : ٨، عدد الأسطر : ١٩

تاريخ النسخ : لم يذكر فيها تاريخ النسخ، لكن كتب على أول ورقة : أوقف لله تعالى على طلبة العلم العالم العلامة الشيخ علي الدردير المالكي .. الخ في ذي القعدة سنة ١٢٨٠هـ .

اسم الناسخ : إبراهيم بن أحمد أبو محمد الخريتاوي المالكي البجدي .

كتبت بخط جميل وواضح، وميّزت آيات السورة فيها بالحمرة .

وهي تضم حواشي كثيرة، ولهذا استعنت بها عند المقابلة لحواشيها .

سادساً : نسخة (هـ) :

وهي محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود برقم (٢٢٨١) .

مقاسها : ٢١،٥ × ١٥، عدد الأوراق : ١٦، عدد الأسطر :١٧ .

تاريخ النسخ : يوم الخميس المبارك لتسعة أيام خلت من شهر شوال عام ١٢١٩هـ، واسم الناسخ : أحمد الايناسي الشافعي الشاذلي .

نسخة جيدة، خطها نسخ حسن، وهي أيضاً تضم حواشي كثيرة، ولهذا استعنت بها عند المقابلة لحواشيها .

سابعاً : نسخة (و) :

وهي محفوظة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم (٢٠٥)

مقاسها : ٢٣،٥ × ١٦،٥، عدد الأوراق ٢٩، عدد الأسطر : ١١ .

تاريخ النسخ : لم يذكر سنة النسخ لكن كتب عليها القرن ١٣ هـ، ١٩م .

اسم الناسخ : هارون عبدالرزاق البجاوي .

كتبت بخط نسخي، كتبت السورة بالحمرة وتفسيرها بالسواد، وفي نهاية المخطوط كتب فيه دعاء يقال عند الفراغ من التلاوة، ودعاء الخائف .

احتوت على هوامش كثيرة ولهذا استعنت بها عند المقابلة .

وقد أرفقت صوراً لصفحة العنوان والورقة الأولى من كل نسخة .

ـ وقد عثرت على نسخ أخرى للمخطوطة استبعدتها من المقابلة ولم أعتمدها في التحقيق لعدم فائدتها، فعند اطلاعي عليها وجدتها مثل النسخ الأخرى لكنها كتبت بخط رديء فاستبعدتها، والنسخ هي :

أولاً : نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٤٣)، عدد أوراقها ١١، عدد الأسطر ٢٣، تاريخ النسخ ١٢٢٩هـ، واسم الناسخ : عبدالرحمن شاد.

ثانياً : نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض تحت رقم (١٥٩٨)، عدد أوراقها ٨، عدد الأسطر ٣١، تاريخ النسخ ١٢٣٢هـ، اسم الناسخ : علي أبو عياشة الدمنهوري .

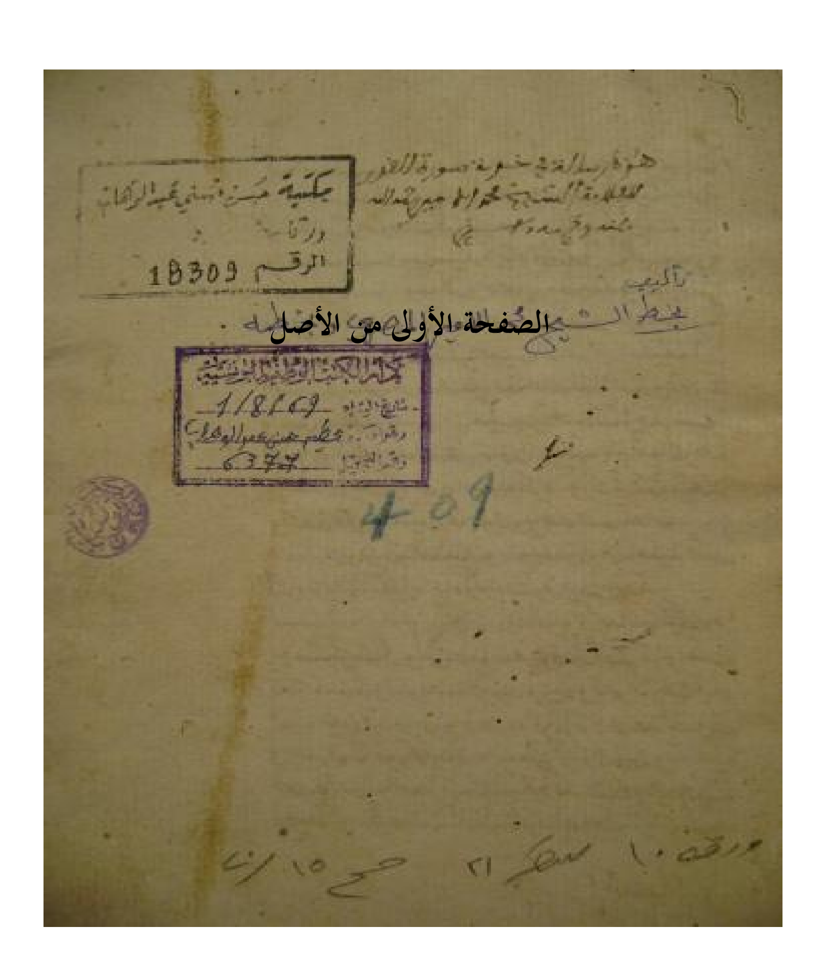
ثالثاً : نسخة بمكتبة دار الكتب الظاهرية بسوريا تحت رقم (١١٣٤٦)، عدد أوراقها ١٣، عدد الأسطر ١٨، تاريخ النسخ ١٢٤٢هـ، ولم يذكر اسم الناسخ .

رابعاً : نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٨١٤٩)، عدد أوراقها ٥، عدد الأسطر ٢٧، تاريخ النسخ ١٢٥٣هـ، واسم الناسخ : أحمد أبو سليمان الفيومي .

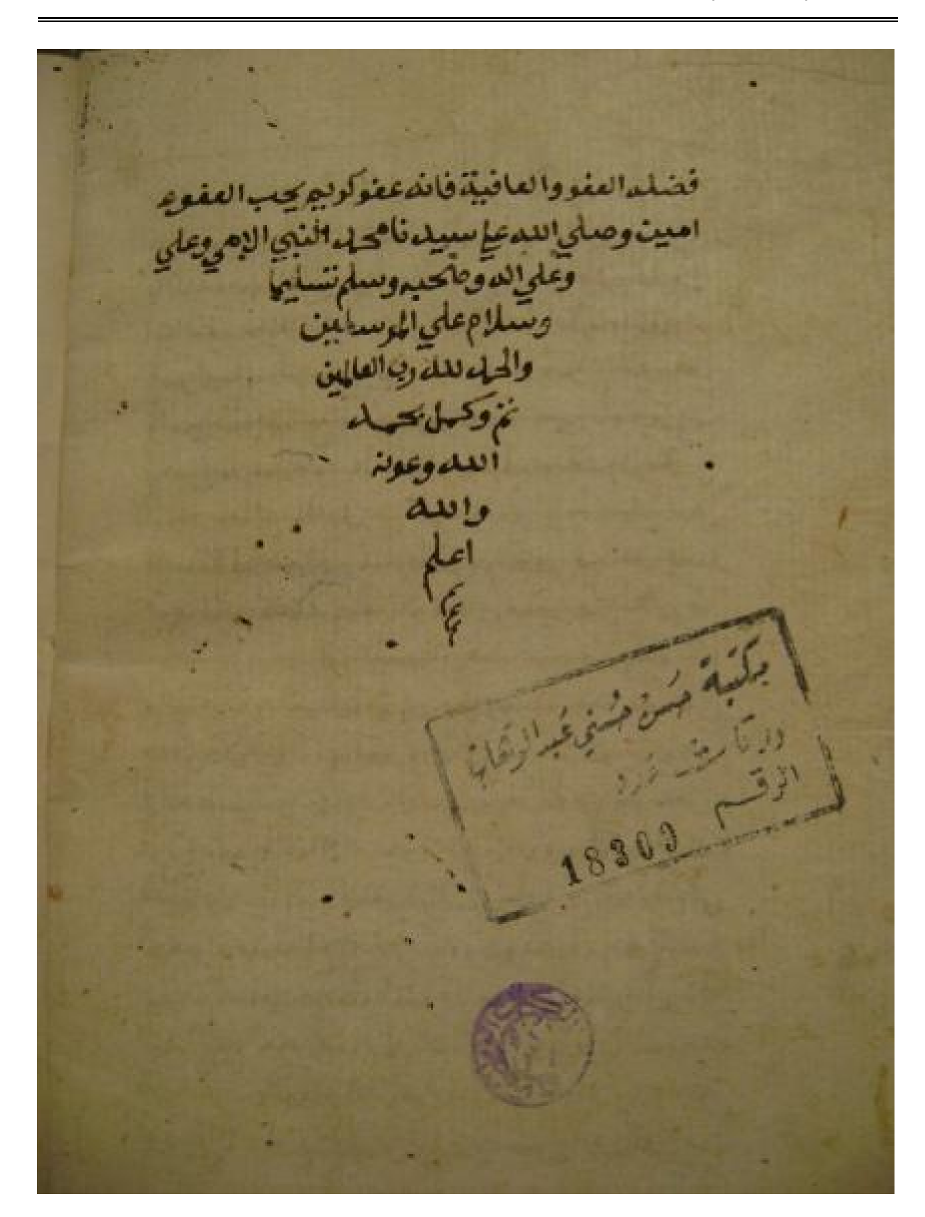
خامساً : نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (١٢٣٤٧)، عدد أوراقها ١١، وعدد الأسطر ٢٣، تاريخ النسخ ١٣٠٣هـ، واسم الناسخ : معوض بن سلامة المالكي .

سادساً : نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (١٨١١٤)، عدد أوراقها ١٠، عدد الأسطر ٢٢، لم يذكر سنة النسخ ولا اسم الناسخ .

سابعاً : نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٤٠٠٦١)، عدد أوراقها ٩، عدد الأسطر ٢٢، لم يذكر سنة النسخ ولا اسم الناسخ .

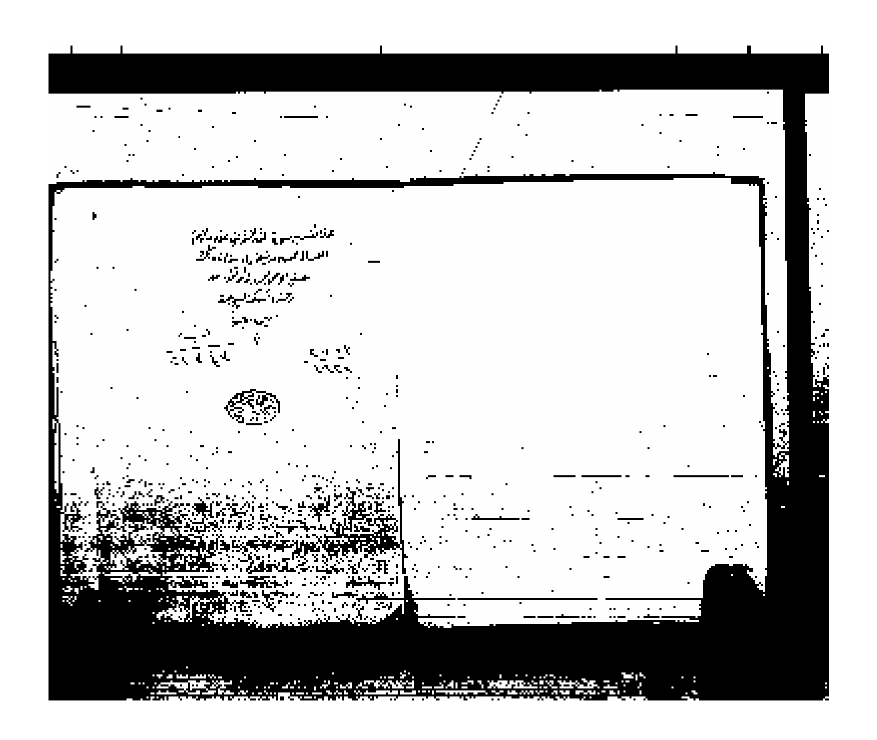


الصفحة الأولى من الأصل

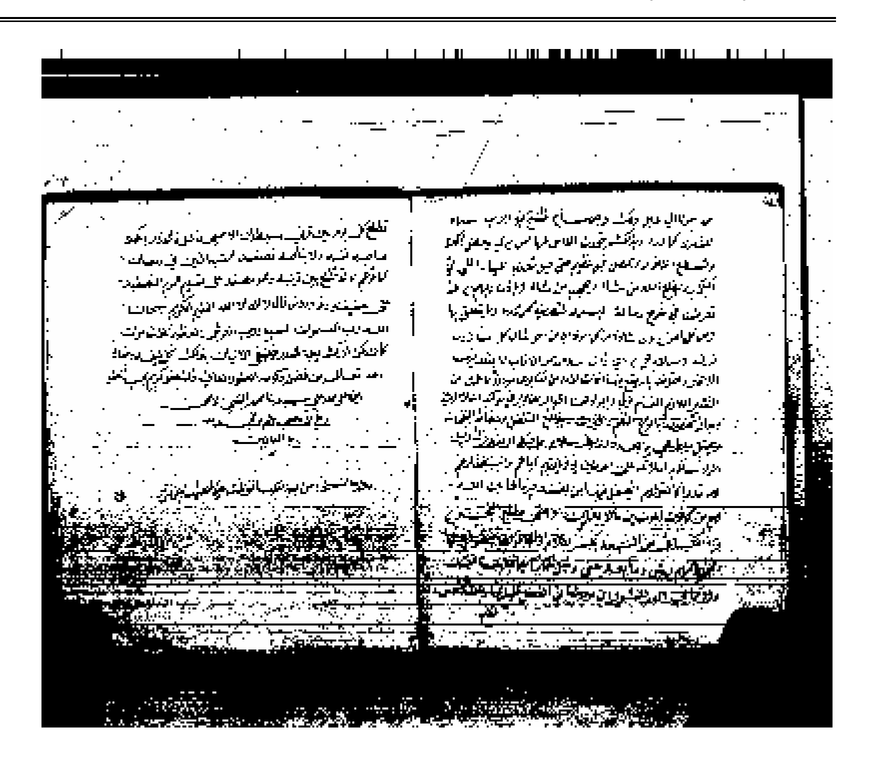


فضله العفو والعافية فانه عفو كريم يحب العفو
امين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
تم وكمل بحمد
الله وعونه
والله
اعلم

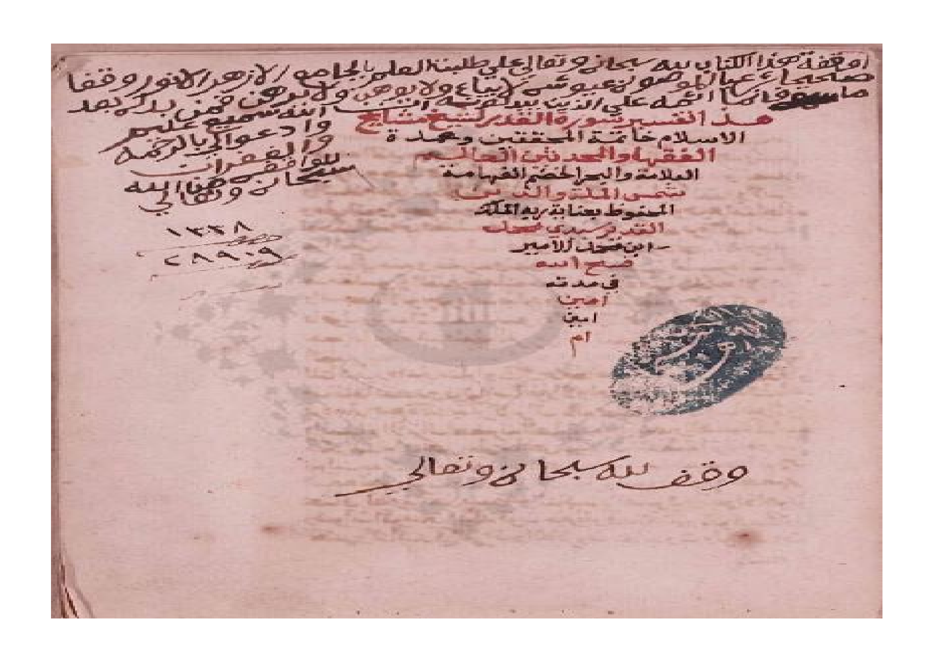
الصفحة الأخيرة من الأصل



الورقة الأولى من نسخة (أ)



الورقة الأخيرة من نسخة (أ)

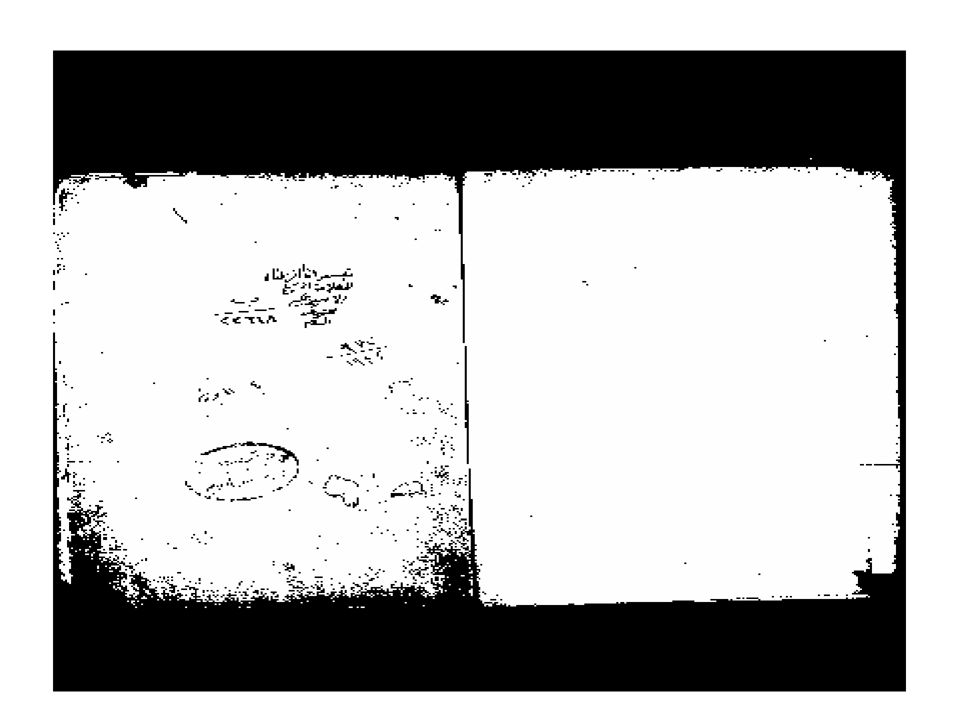


هذا تفسير سورة القدر لشيخ مشايخ
الاسلام خاتمة المحققين وعمدة
الفقهاء والمحدثين العالم
العلامة والبحر الخضم الفهامة
شمس الملة والدين
المنوط بعناية ربه المالك
الشيخ سيدي محمد
ابن محمد الأمير
فسح الله
في مدته
آمين
آمين
آم

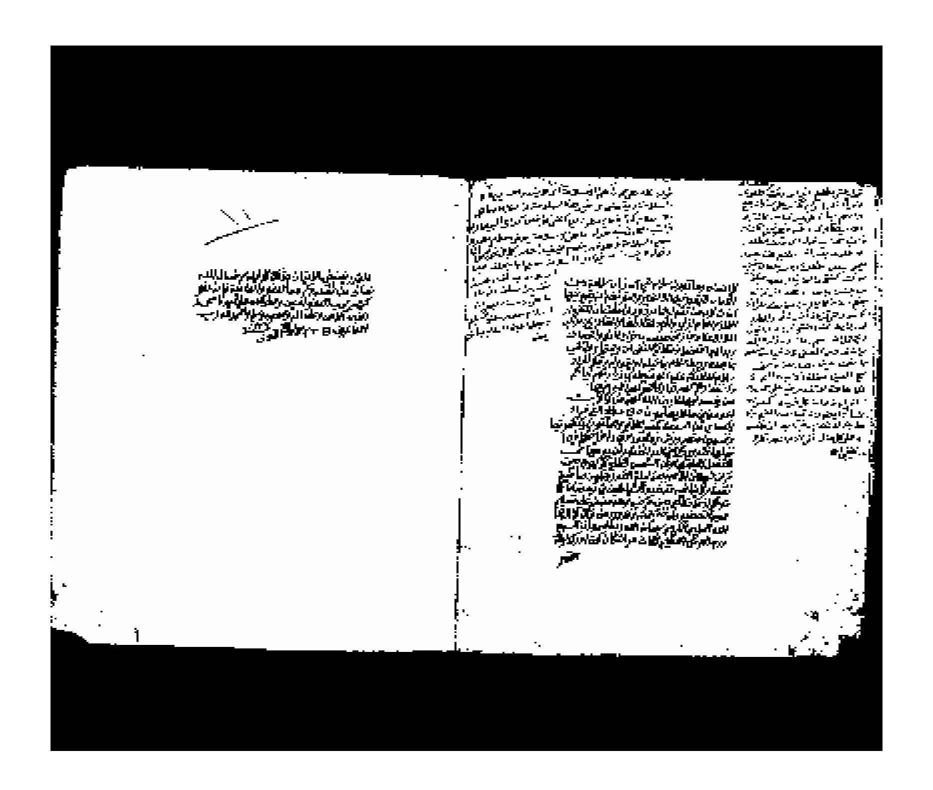
وقف لله سبحانه وتعالى

الصفحة الأولى من نسخة (ب)

الورقة الأخيرة من نسخة (ب)



صفحة العنوان للنسخة (ج)



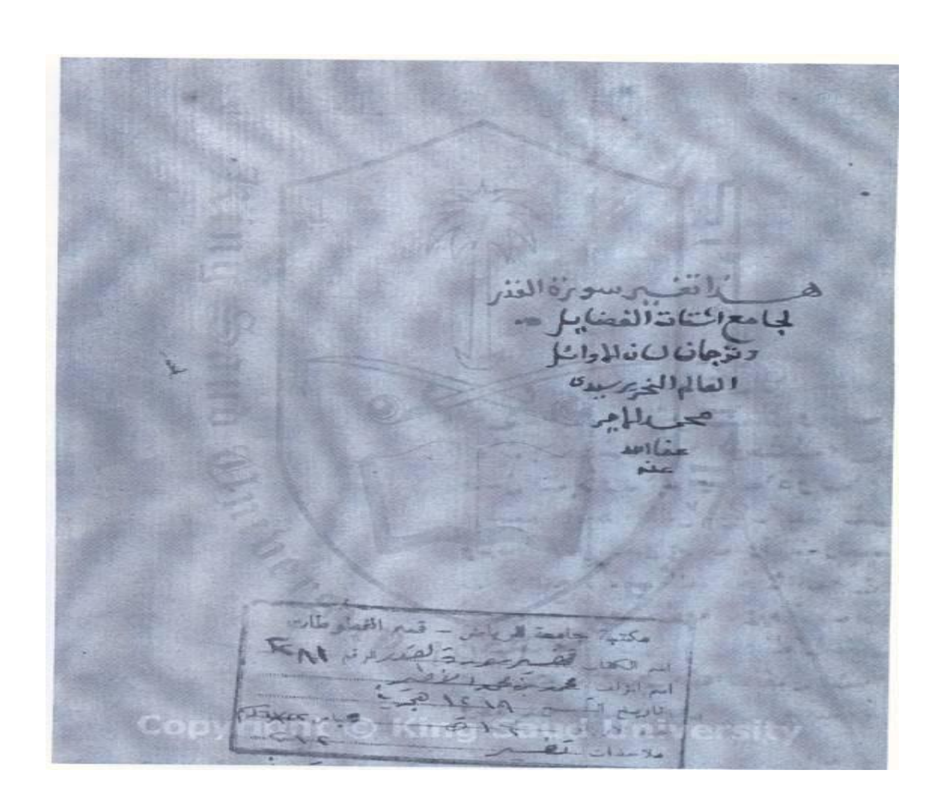
الورقة الأخير من النسخة (ج)



صفحة العنوان للنسخة (د)

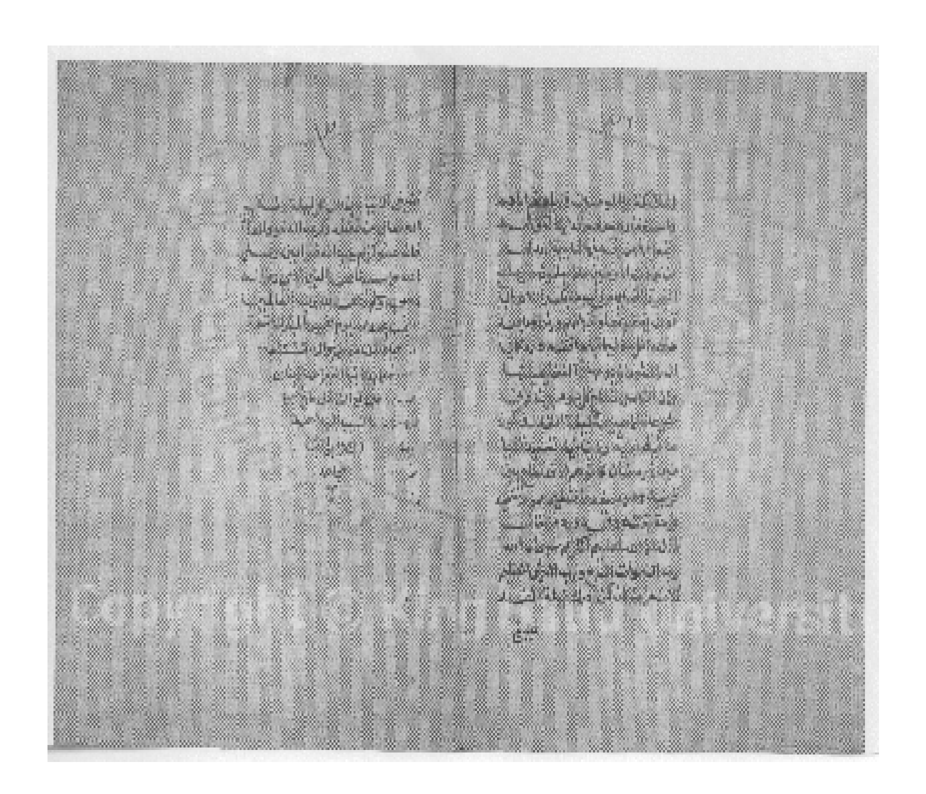


الصفحة الأخير من النسخة (د)

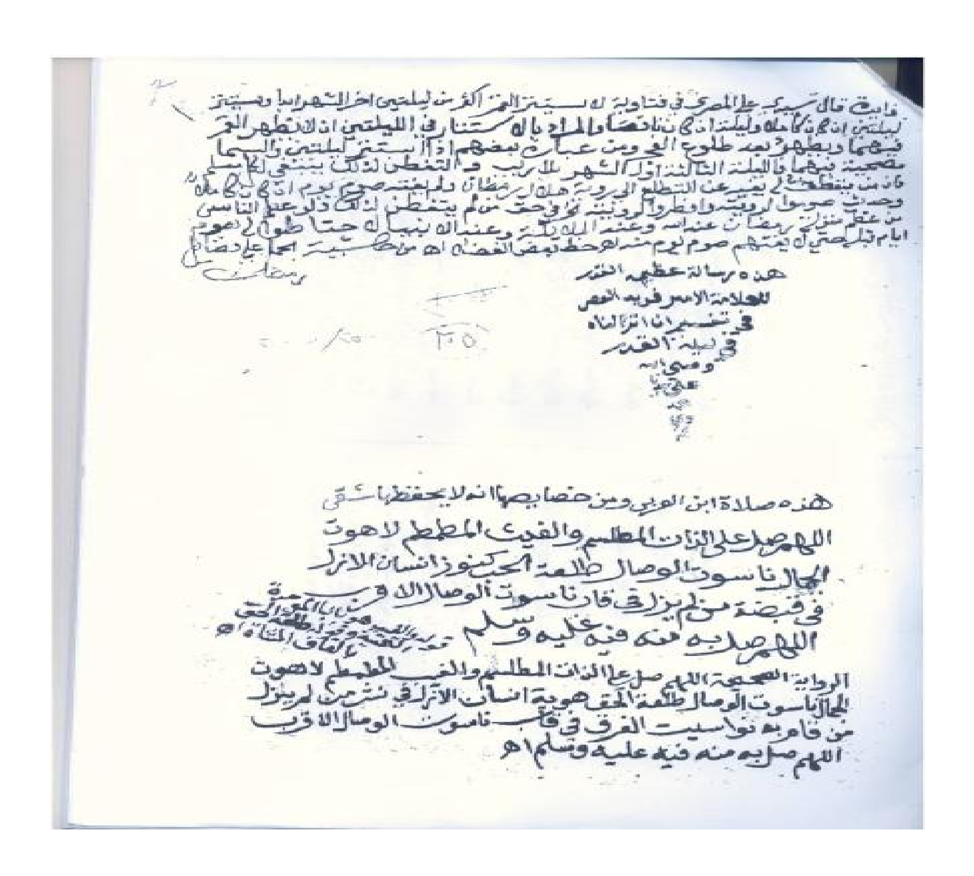


هذا تفسير سورة القدر
لجامع اشتات الفضايل
وترجمان لسان الاوايل
العالم النحرير سيدي
محمد الامير
عفا الله
عنه

الصفحة الأولى من النسخة (هـ)



الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



هذه رسالة عظيمة القدر
للعلامة الأمير فريد العصر
في تفسير إنا أنزلناه
في ليلة القدر

هذه صلاة ابن العربي ومن خصائصها أنه لا يحفظها شقي
اللهم صل على الذات المطلسم والغيث المطمطم لاهوت
الجمال ناسوت الوصال طلعة الحق كنوز إنسان الأزل
في قبضة من لم يزل في فار ناسوت الوصال الأقرب
اللهم صل به منه فيه عليه وسلم

الرواية الصحيحة اللهم صل على الذات المطلسم والغيب المطمطم لاهوت
الجمال ناسوت الوصال طلعة الحق هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل
من قام به نواسيت الفرق في قاب ناسوت الوصال الأقرب
اللهم صل به منه فيه عليه وسلم اهـ

الصفحة الأولى من النسخة (و)



الورقة الأخيرة من النسخة (و)

القسم الثاني : التحقيق

(تفسير سورة القدر)

بسم الله الرحمن الرحيم (وبه نستعين)[(١)]

الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدراً، وأنزل القرآن رحمة وشفاء وذكرا، وحث فيه على حسن التدبُّر والذكرى، والصلاة والسلام على سيد الأنام المختص بمواكب ليلتي القدر والإسراء، وعلى آله وأصحابه وذريته وأحبابه طرا ، وجميع أمة إجابته، أدخلنا الله من فضله معهم وحشرنا في زمرتهم يوم القيامة غرا آمين .

أما بعد فيقول الفقير محمد بن محمد الأمير[(٢)]عفا الله تعالى عنه، وغفر له ولطف به آمين :

هذا ما يسره الله تعالى[(٣)]خدمة لسورة[(٤)]القدر، جعلته عدة للمذاكرة

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب"، "ج"، "هـ" ، "و" .

(٢) في حاشية "ج" (هو الأمير الكبير المشهور لا ابن صاحب مسلسل عاشوراء المتداول بين أهل الأزهر الآن).

(٣) سقطت كلمة (تعالى) من "و" .

(٤) في الحواشي ""ج"، "د"، "هـ"، "و" (قوله سورة قال في القاموس السؤرة بالهمز لغة : السورة من القرآن، فبالهمز من السؤر جزء الشراب، فإن في القرآن حياة الأرواح كما في الماء حياة الأشباح، والسؤر وإن كان فيه معنى الفضلة، أي ما فضل وبقي من الشراب فيجرد هنا عن ذلك ويراد الجزء فقط، أو يراعى أنه صلى الله عليه وسلم فهم من القرآن ما لم نفهم من العلوم السرية، وتلقى سورة شدته قبلنا فكان كأول شارب . ولله در البوصيري حيث يقول في حق آيات القرآن كأنها الحوض تبيض الوجوه به من العصاة وقد جاءوا كالحمم، ويحتمل أنه من السورة بمعنى الشدة لعظمة الخطاب الإلهي، وقد قال الله تعالى:﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ =

فيها بالجامع الأزهر، والمسجد الأنوار[1]، عمّره الله بذكره، وزاد في تشريفه ورفعة قدره، آمين .

فأقول وبالله المستعان :

سورة القدر [2]الأرجح أنها مدنية .

ورجح بعضهم أنها مكية[3]، فلعّله تكرر نزولها[1]، تنبيها على مزيد [2]

= المزمل، ولذلك كان يتأثر صلى الله عليه وسلم حال الوحي، ويحتمل أنها من سور البلد المحيط بها لأحاطتها بمعانيها، وقد ذكر في القاموس من معاني السورة البناء الحسن المرتفع، فيكون تشبيه نظم تركيب الكلام بذلك لإعجازه، وتطلق السورة على الشرف والعلامة، وهي علامة على صدقه كالآية . مؤلفه).

(١) مسجد الأنوار المحمدية من المساجد الفاطمية بمصر .

(٢) في حاشية "ج"، "د" (هي خمس أو ست آيات)، وفي حاشية "و" (وعدة آياتها خمسة، قال الجلال أو ست، ولم يذكره غيره من المفسرين بل اقتصروا على كونها خمسة، ولعل قائل هذا القول يعد (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) آية مستقلة، ويشير إلى ذلك إعراب السمين من أن قوله من كل أمر ليس متعلقاً بتنزل بل متعلق بما بعده، أي هي سلام من كل أمر مخوف اهـ ملخصا من الجمل) انظر الفتوحات الإلهية للجمل (٤/ ٥٦٥) .

(٣) سورة القدر من السور المختلف في مكيتها ومدنيتها، والراجح أنها مكية، وجعله الماوردي قول الأكثرين، وهو المروي عن عائشة وابن الزبير وأحد قولي ابن عباس وقتادة . وعن ابن عباس أيضاً والضحاك أنها مدنية، وذكر الثعلبي أنها في قول أكثر المفسرين، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة . انظر النكت والعيون للماوردي (٦/ ٣١١) ؛ زاد المسير لابن الجوزي (٩/ ١٨١) ؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٢٩)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٦٥) وقد عدها ابن الضريس بسنده عن ابن عباس، وأبو عمرو الداني بسنده عن جابر بن زيد الخامسة والعشرين في ترتيب نزول القرآن، نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس . انظر فضائل القرآن لابن الضريس ص ٣٣ ؛ البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص ١٣٥ .

شرف ليلة القدر

(١)قوله (فلعله تكرر نزولها) لم أقف على من قال أن هذه السورة نزلت أكثر من مرة، وهو خلاف الأصل كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٠٨) : (والأصل عدم تكرر النزول) .

(٢) في "أ"، "ج" (مزية).

بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ إِنَّآ ﴾ إنّ يؤتىَ بها للتأكيد، ردا على منكر وشاكّ، والُمخَاطَبُون فيهم ذلك، فقد قالوا من تلقاء نفسه(١)، وقالوا أساطير الأولين(٢)، (وقالوا تنزلت به الشياطين(٣)، فرد على جميع ذلك بذكر الإنزال، لا أنه مختلق ولا من أساطير الأولين(٤)) (٥).

وإسناد الإنزال لحضرته العلية، معبرا بضمير العظمة لمناسبة ذلك للمقام(٦)أي : نحن على ما نحن عليه من العظمة أنزلناه ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا) الفرقان : ٤ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) الفرقان : ٥ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) الشعراء: ٢١٠،٢١١.

(٤) جاء في سبب نزول قوله تعالى (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) الفرقان ٤-٦، قال مقاتل : نزلت في النضر بن الحارث فهو الذي قال هذا القول . وقال كفار قريش : ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه عليه قوم آخرون . انظر زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٧٢).

(٥) ما بين القوسين سقط من "أ"، "ب".

(٦) في "و" (المقام).

﴿لَمَعْزُولُونَ ﴾[1] فضلا عن أن ينزلوا به .

وقد أورد بعضهم بحثا في نظير ما نحن فيه، وهو التوكيد[2]بالقسم في ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[3] ، وهو أن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا قسم ولا تأكيد[4]، والكافرون يعاندون ولو تعددت الأقسام والتأكيد، فما فائدة القسم والتأكيد في القران ؟

والجواب كما قال النبتيتي[5]: منع الأخير، فإن عادتهم الانقياد للأقسام والتأكيدات، فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك .

على أن فائدة إنَّ لا تنحصر في التأكيد للرد، بل قد تكون لغير ذلك كما بسطه السعد[6]في المطول نقلا عن الشيخ عبدالقاهر[1]،كالترغيب في تلقي

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٠-٢١٢.

(٢) في "ب" (التأكيد).

(٣) النجم : ١.

(٤) في "ب" (توكيد)، وفي "ج" (التأكيدات).

(٥) النبتيتي : علي بن عبدالقادر النبتيني المصري الحنفي بجامع الأزهر، أحد المتبحرين في علم الميقات والحساب، من تصانيفه : إرشاد الحائرين لشرح بهجة السامعين والناظرين، القول الوافي في شرح الكافي شرح على معراج النجم الغيطي، فتح رب البرية في حل شرح الاجرومية للأزهري، وله رسائل كثيرة في فنون شتى، توفى سنة ١٠٦١هـ . انظر ترجمته في : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (٢/ ٢١٨) ؛ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للنجم الغزي (١/ ٧٧) ؛ هدية العارفين (٥/ ٧٥٧) ..

(٦) السعد : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله الهروي الخراساني العلامة الفقيه الأديب الحنفي الشهير بالتفتازاني، من أئمة العربية والبلاغة والفقه وعلم الكلام، من تصانيفه : إرشاد الهادي =

الخبر، والتنبيه بعظيم قدره، وشرف حكمه[٢].

و(نا) يحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره، فإن الله أنزله والملائكة لهم مدخلية في إنزاله، نزل به الروح الأمين، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن

= في النحو، شرح العقائد النسفية، المطول في المعاني والبيان، مقاصد الطالبين في علم أصول الدين، توفي سنة ٧٩٢هـ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب (٩/ ١٩٦) ؛ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/ ١٩٠) ؛ هدية العارفين (٦/ ٤٣) .

(١) الشيخ عبدالقاهر : أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، الإمام النحوي أحد علماء الكلام على مذهب الأشاعرة، كان شافعياً، من مؤلفاته : الإيضاح في النحو، الجمل، دلائل الاعجاز، أسرر البلاغة، توفي سنة ٤٧١هـ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٢٤٢) ؛ النجوم الزاهرة (٥/ ١٠٨) ؛ فوات الوفيات للكبتي (٢/ ٣٦٩) .

(٢) قال السعد في المطول (.. وها هنا بحث لا بد من التنبه له، وهو أنه لا ينحصر فائدة إن في تأكيد الحكم نفيا لشك أو رد إنكار، ولا يجب في كلام مؤكد أن يكون الغرض منه رد إنكار محقق أو مقدر، وكذا المجرد عن التأكيد .

قال الشيخ عبد القاهر : قد تدخل كلمة إن للدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك للشيء وهو بمرأى ومسمع من المخاطب إنه كان من الأمر ما ترى، وأحسنت إلى فلان ثم إنه فعل جزائي ما ترى وعليه (رب إني وضعتها أنثى) و (رب إن قومي كذبون) ومن خصائصها أن لضمير الشأن معها حسنا ليس بدونها بل لا يصح بدونها نحو (إنه من يتق ويصبر) الآية، و(أنه من عمل منكم سوءاً) و(إنه لا يفلح الكافرون ..الخ كلام الشيخ عبدالقاهر ..

ثم قال السعد (وقد يترك تأكيد الحكم المنكر ؛ لأن نفس المتكلم لا تساعده على تأكيده لكونه غير معتقد له أو لأنه لا يروج منه ولا يتقبل على لفظ التوكيد، ويؤكد الحكم المسلم لصدق الرغبة فيه والرواج .) ص ١٩٠-١٩١.

﴿ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[١] ، فيكون نظير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾[٢][٣]أي أنا وملائكة قدسنا أنزلناه .

وعلى فرض أن الإسناد للملائكة مجازي، فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز العقلي في الإسناد،كأن يقال : بني الأمير وعمَلَته المدينة .

ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث[٤]في تعبير واحد، فإنه حاصل في ضـــمير يـــصلون ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[٥]، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ

---

(١) النحل : ١٠٢.

(٢) في "ب" زيادة (على النبي).

(٣) الأحزاب : ٥٦.

(٤) القديم والحادث من مصطلحات المتكلمين، ويعنون بالقديم الخالق، والحادث المخلوق، و لا يرتضي السلف تسمية الله بلفظ القديم، لعدم ورود النص به، لكن يصح الإخبار به عن الله تعالى ؛ لأن باب الإخبار والصفات أوسع من باب الإنشاء والأسماء . انظر معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٤١٦ .

فالأشاعرة قد أخذوا من أهل الكلام تقسيم العالم إلى قسمين : حادث وقديم، والحادث هو جائز الوجود، والقديم هو واجب الوجود، فنفى الأشاعرة الصفات الفعلية ـ وهي الصفات الاختيارية ـ التي أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه وأثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم، لأنه يلزم منها على أصولهم حدوث الله تعالى، وخروجاً من هذا المحذور فقد أولوا جميع صفات الأفعال .انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٣٧٨) (٦/ ٢٣٢،٢٣٢) وهو مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة إثبات جميع الصفات الذاتية منها والفعلية،كما سيأتي تفصيله في هامش (٥) ص٣٣.

(٥) التين : ٨.

ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1] ، ونحوه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم للخطيب[2]: بئس الخطيب، لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى[3]، فلأن الخطيب محل إطناب .

وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب .

ويحتمل إن نا للمعظم نفسه[4]، فإن كانت مشتركة حقيقة في المعظم

(١) المؤمنون :١٤.

(٢) في "أ"، "ج" (لخطيب).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، عن عدي بن حاتم : (أن رجلاً خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله)،كتاب الجمعة، باب (تخفيف الصلاة والخطبة)، حديث رقم (٨٧٠)، (٢/ ٥٩٤) ؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الدعاء، باب (ما نهى الرجل أن يدعو به أو يقوله)، حديث رقم (٢٩٥٧٢)، (٦/ ٧٤) ؛ والإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٢٧٣)، (٤/ ٢٥٦) ؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب (الرجل يخطب على قوس)، حديث رقم (١٠٩٩)، (١/ ٢٨٨) وغيرهم .

(٤) قال الرزاي : " وأعلم أن أَنَاْ تارة يراد به التعظيم وحمله على الجمع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الصانع، ولأنه لو كان في الآلهة كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية ؛ لأنه لو كان كل واحد منهم قادراً على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد منهم، وكونه مستغنى عنه نقص في حقه فيكون الكل ناقص، وإن لم يكن كل واحدا منهك قادراً على الكمال كان ناقصاً، فعلمنا أن قوله أَنَاْ محمول على التعظيم لا على الجمع . " انظر تفسيره (٣٢/ ٢٧).

نفسه كمن معه غيره فظاهر، وإن كانت في المعظم نفسه مجازا[١]تشبيها له بالجماعة، أو استعمالا لاسم الكل في الجزء، فلا يرد أن التشبيه والكلية والجزئية محالات في حقه تعالى ؛ لأنه إنما يلزم المحال لو كانت مشابهة وكلية وجزئية حقيقة[٢]، وهذا أمر اعتباري يعتبر علاقة مصححة للاستعمال.

وهذا كما أجاز الأشاعرة وصفه تعالى بصفات الأفعال الحادثة،كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، مع أن اتصافه بالحوادث محال، لكن هذه أوصاف اعتبارية، لا صفات حقيقية قائمة بالذات حتى يلزم المحذور[٣].

---

(١) في الحواشي "ج"، " د"، "و" (قوله مجازا أي بالاستعارة فلذلك قال تشبيهاً أو استعمالاً . اهـ).

(٢) في "أ"، "ب" (حقيقية).

(٣) يثبت قدماء الأشاعرة الصفات الذاتية لله، وينفون ما يتعلق بالله من الصفات الاختيارية التي تقوم بذاته كالاستواء والنزول والمجيء والرضا والغضب والكلام، فإنهم ينفون كونها صفات قائمة بالله، ويدعون أن نسبة هذه الصفات لله تستلزم القول بأن الله يطرأ عليه التغير والتحول وذلك من صفات المخلوقات، فلم يثبتوا لله أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته .

والمتأخرون من الأشاعرة والماتريدية ينفون جميع الصفات الذاتية الاختيارية، ويثبتون سبعا من الصفات المعنوية (العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام .) .

وهو مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون جميع الصفات الذاتية منها والفعلية، ويثبتون أن الله متصف بذلك أزلاً، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم وإن كانت المفعولات محدثة .

انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٩،٥٢٠) ؛ تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٧٥،٧٦ ؛ منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٤٢٣) .

وقد لخص ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مذهب أهل السلف الصالح في هذا الباب فقال : (فالأصل في هذا الباب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم نفيا =

﴿أَنزَلْنَهُ﴾ يصل ابن كثير[1]من السبعة هذه الهاء بواو الإشباع على أصله، وغيره يقصرها.

والضمير للقرآن قال الإمام الرازي[2](اتفاقا[3]) [4].

قال الشهاب الخفاجي[5]: وكأنه لم يعتد بقول من قال: أنه لجبريل أو

= وإثباتا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .) الفتاوى (٣/ ٣) .

(١) ابن كثير : عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله الداري المكي، الإمام العلم مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، لقى من الصحابة أبا أيوب الأنصاري، أنس بن مالك، عبدالله بن الزبير، فهو تابعي جليل، أشهر من روى قراءته : البزي وقنبل، توفي سنة ١٢٢هـ انظر ترجمته في : النشر في القراءات العشر (١/ ١٢٠) ؛ السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٠١ ؛ إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢١) .

(٢) الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي البكري الملقب بفخر الدين، الفقيه الشافعي، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمقولات وعلم الأوائل، من تصانيفه : تفسير القرآن المعروف بمفاتيح الغيب، وفي أصول الفقه المحصول، وفي علم الكلام المطالب العالية، توفي سنة ٦٠٦هـ . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠) ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٤٨) .

(٣) في تفسير الرازي (٣٢/ ٢٧) قال :" أجمع المفسرون على أن المراد (إنا أنزلنا) القرآن في ليلة القدر " .

(٤) سقطت من "أ".

(٥) الشهاب الخفاجي : أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي، المصري قاضي القضاة، صاحب التصانيف في الأدب واللغة، من أشهر كتبه : ريحانة الألبا، نسيم الرياض في شرح =

غيره[١]، لضعفه[٢]. وفي الإضمار من غير تقدم ذكر تنبيه كما قال القاضي البيضاوي[٣]على عظم قدره وشهرة أمره، حتى كأنه لا يغيب ولا يحتاج للتصريح،كما عظمه بإسناد إنزاله لحضرته بعنوان العظمة[٤]، وتأكيد الاعتناء سابقا ولاحقا بتعظيم الليلة التي أنزل فيها، وإنما تنزل فيها الملائكة والروح المأذون لهم لا الشياطين المعزولون كما زعموا .

قال الشهاب :(فان قلت كون الضمير للقرآن، والضمير من جملة القرآن يقتضي[٥]عوده على نفسه، كما إن الإشارة في نحو ذلك الكتاب يقتضي الإشارة بذلك لذلك نفسه، فإن لفظ ذلك من الكتاب، ويقتضي

= الشفا القاضي عياض، عناية القاضي وكفاية الراضي وهي حاشية على تفسير البيضاوي، توفي سنة ١٠٦٩هـ. انظر ترجمته في : خلاصة الأثر (١/ ٣٣١) ؛ الأعلام (١/ ٢٣٨) .

(١) في حواشي "ج"، "د"، "هـ" (قوله أو غيره كالروح على أنه غير جبريل).

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٣٨٢) . وهو يشير إلى ما ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٣١١) في أحد الأقوال أنه جبريل أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي .

(٣) البيضاوي : عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي، كان قاضياً وإماماً عارف بالفقه والتفسير والعربية والمنطق وشافعياً، من تصانيفه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل يعرف بتفسير البيضاوي، منهاج الوصول إلى علم الأصول، نظام التواريخ، توفى سنة ٧٩١هـ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية (٥/ ٥٩) ؛ بغية الوعاة (٢/ ٥) ؛ الأعلام (٤/ ١١٠) .

(٤) قال البيضاوي في تفسيره (٢/ ٦١١) : الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند نزله إليه .

(٥) في "ب"، "ج" (تقتضي).

أيضا الإخبار بجملة إنا أنزلناه عن نفسها .

قلت : قال أستاذ مشائخنا السيد عيسى الصفوي[1]قدس سره : أنه لا محذور فيه لجواز قولك أتكلم مخبرا عن التكلم بقولك أتكلم وفيه كلام، وقد أفرده الجلال الدواني[2]بالتأليف) [3].

ومن ذلك قول المتكلم كلامي صدق، يشمل نفس هذه الجملة، وقد لا يتكلم بغيرها، والظاهر أنها لا تكفي في وجود الموضوع الذي يتوقف صدق الموجبة عليه للدور، نعم إن التفت للوجود الفرضي، أو أريد بها

---

(١) عيسى الصفوي : عيسى بن محمد بن عبدالله بن محمد الصفوي، قطب الدين الايجي، عالم مشارك في بعض العلوم، متصوف من الشافعية، من تصانيفه : حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي في الفروع، شرح الكافية لابن الحاجب في النحو، توفي سنة ٩٥٥هـ . انظر ترجمته في : كشف الظنون (٢/ ١٩٨٩) ؛ هدية العارفين (٥/ ٨١٠)؛ معجم المؤلفين (٨/ ٣٢) .

(٢) في حواشي " ج"، "د"، هـ "، "و" (قوله الدواني قال في القاموس دوُاَن كَفر ب ناحية بعمان وكشداد موضع بأرض فارس والمشهور على الألسنة في الدوّاني الثاني وقال في فضل العين عمان كعنان كفر ببلد باليمن، وكشداد بلد بالشام فليحرر، مؤلفه)

ـ الجلال الدواني : جلال الدين محمد بن سعد الدواني الصديقي، الشهير ملا جلال، له رسالة نور الهداية بالفارسية يصرح فيها بتشيعه، قال صاحب روضات الجنات : " المتكلم الحكيم الفاضل المحقق المدقق المنطقي المشهور، صاحب الحاشية القديمة والجديدة والاجد المعروف بالشرح الجديد للقوشجي على (تجريد) المحقق الطوسي، وله أيضاً شرح على العقائد العضدية يشبه شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازاني توفي سنة ٩٠٨هـ . انظر ترجمته في : روضات الجنات(٢/ ٢٣٩) ؛ الفوائد الرجالية (٢/ ٢٤١) .

في "و" (الدَّوّاني).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٣٨٢) .

سلب الكذب، فالسالبة تصدق بنفي الموضوع فليتأمل[١]. أو يقال[٢]يرجع الضمير للقرآن باعتبار جملته بقطع النظر عن أجزائه، فيخبر عن الجملة بأنا أنزلناه المندرج في جملته من غير نظر له بخصوصه . والجزء من حيث هو مستقل مغاير له من حيث هو في ضمن الكل، كما يقال الشيء في نفسه غيره مع غيره .

ولذا قال الكرماني[٣]: الجزء قد يجعل علما للكل ،كما يقال قرأت قل هو الله احد أي السورة كلها[٤]. أي فلا يلزم جعل الشيء علما على نفسه، ولا يلزم الدور لتقدم الجزء على الكل وتأخر الاسم عن المسمي،لأن تأخره

---

(١) يظهر هنا تأثر المؤلف بعلم المنطق ومذهب المتكلمين باستخدامه عباراتهم وألفاظهم، وهي ألفاظ لم ترد في كلام السلف .

(٢) في حاشية "ج"، "د"، "هـ"، "و" (وقوله أو يقال الخ هذا جواب عن شبهة تخص الضمير ومرجعه هي أنه لابد من المغايرة بين الموضح والموضح كالاسم والمسمى، مؤلفه).

(٣) في حواشي "ج"، "د"، "هـ"، "و" (قال في القاموس كرمان بالفتح وقد تكسر أو تضم، إقليم بين فارس وسجستان وبلد قرب مزنة ومكران، مؤلفه) .

ـ الكرماني : محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني، النحوي، تاج القراء وأحد العلماء الفقهاء، صاحب التصانيف، مؤلف البرهان في معاني متشابه القرآن، غرائب التفسير وعجائب التأويل، لباب التفاسير، توفي سنة ٥٠٥هـ .انظر ترجمته في : طبقات القراء (٢/ ٢٩١) ؛هدية العارفين (٢/ ١٥٩) .

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣) .

من حيث كونه اسماً كما قال البيضاوي[1]في كون الم اسم السورة مثلا .

ونظيره لفظ سورة في سورة أنزلناها[2]، ولفظ القرآن الواقع في نظم القرآن . لكن أورد على القاضي أنه وقع جزء من حيث كونه اسماً، فبقي البحث ولذا منع أصل البحث .

ومستند المنع ومبشرا برسول يأتي من بعدي[3]اسمه أحمد، وقد تسمي ابنك به قبل وجوده[4]، والتأويل وجعلها تسمية معلقة خلاف الظاهر.

وأجاب الشهاب عما أورد على القاضي بأن جزئيته من حيث كونه اسما إنما تنتج[5]تأخره من حيث وصف الجزئية[6]، وهذا لا ينافي تقدم ذاته في نفسه فليتأمل .

ولا حاجة لأن يقال الضمير راجع له ما عدا قوله إنا أنزلناه، بل لا حاجة في العربية لمثل هذا التعمق من أصله . انتهى ببعض إيضاح[7]وتصرف[1].

---

(١) في تفسير البيضاوي (١/ ١٥) قال : " وهو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار كونه اسماً، فلا دور لاختلاف الجهتين ."

(٢) في "أ" (أنزلناه).

(٣) في "أ" (بعد).

(٤) في "ب"(وقد سمي به قبل وجوده).

(٥) في "ب" (ينتج).

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي (١/ ١٧٦).

(٧) في "ب"، "ج"، "د"، "هـ"، "و" (وزيادة).

ثـم الإنـزال إن كـان إنزالـه في صـحف مطهـرة منسوخة مـن اللـوح المحفوظ بأيدي سفرة كرام بررة من الملائكة حتى وضع في بيت العـزة مـن سما الدنيا جملة واحدة فظاهر .وما ذكرناه من أن بيت العزة في سما الدنيا هو ما في الدر المنثور[٢]وغيره .

(١) قال الخفاجي في حاشيته (٨/ ٣٨٣) : " وقيس الضمير راجع له ما عدا قوله (إنا أنزلناه) ولا وجه ولا حاجة في العربية لمثل هذا التدقيق بل التضييق " .

(٢) يشير إلى الحديث الذي عزاه السيوطي في الدر(٨/ ٥٦٧) إلى ابن الضريس وابـن جريـر وابـن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابـن عبـاس (في قوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) جملة واحدة من الذكر الذي عند رب العزة حتى وضـع في بيت العزة في السماء الدنيا ثم جعل جبريل ينزل على محمد بحراء بجواب كلام العباد وأعمالهم) .

ذهب العلماء في نزول القرآن الكريم إلى عدة مذاهب، المذهب الأول : قال به ابن عباس، وعليه جمهور العلماء : أن للقرآن الكريم تنزلان : الأول : جملة من اللوح المحفوظ، والثاني : منجماً من بيت العزة في السماء الـدنيا إلى الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم في ثـلاث وعـشرين سـنة حسب الوقائع والأحداث منذ بعثته على أن توفي عليه الصلاة والسلام وهـذا هـو المـذهب هـو الـذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات .

والمذهب الثاني : وهو الذي روي عن الشعبي أن للقـرآن الكـريم نـزولاً واحـداً، وهـو النـزول المنجم على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ابتدئ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر في شهر رمضان وهي الليلة المباركة .

المذهب الثالث : أنه أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر ينزل في كل ليلة ما سينزل في عامها، ثم نـزل بعـد ذلـك عـلى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم مـنجماً مـدة بعثتـه عليـه الـصلاة والسلام، وهذا القول ضعيف .

المذهب الرابع : أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة قدر، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة، وهذا القول مردود لأنه ليس بين الله وجبريل واسطة في تلقي القرآن الكريم .

=

وفي الشيخ زاده[1]على البيضاوي أنه في السماء السابعة[2]، فلعله متعدد ثم أنزل مفرقاً[3] بحسب الوقائع في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين بمدة فتور الوحي بين أقرأ والمدثر، ليستفيق ويتشوق، ثم نزل[4] قم فأنذر بياناً للمراد من أقرأ . وأن المراد أقرأ على قومك فهي نبوة ورسالة معاً، خلافاً لمن قال بتأخر الرسالة وعاد بتوقيف إلى[5]ترتيبه الذي في اللوح (المحفوظ) [1]،

= وبهذا اتضح أن القول الأول هو الراجح وأن للقرآن الكريم نزول جملة ونزول مفرق . انظر تفصيل المسألة في كتاب (نزول القرآن الكريم) للدكتور محمد الشايع .

(١) الشيخ زاده : محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي، محي الدين الحنفي المعروف بشيخ زاده المدرسي الرومي، له من الكتب الإخلاصية في تفسير سورة الإخلاص، حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، شرح فرائض الراجية، شرح قصيدة البردة، توفي سنة ٩٥١هـ. انظر ترجمته في : هدية العارفين (٢/ ٧٣) ؛ معجم المطبوعات (٢/ ١١٦٥) ؛ كشف الظنون (١/ ١٨٨) .

(٢) قال الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي ((٦٤٨) : " .. وقيل : كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة إلى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كلها إلى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كلها في ليلة القدر ".

(٣) في حواشي "ج"، "د"، "هـ"، "و" (قوله ثم أنزل مفرقا وأما قول ابن العربي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن قبل نزول جبريل، وأن معنى لا تحرك به لسانك لتعجل به أي لتعجل بالقرآن الذي أعلمناك سابقا فقال الشعراني لم أر ذلك لغيره، قلت والذي في الصحيح أنه كان يفعل ذلك حرصا على حفظه، وهو المناسب لقوله إن علينا جمعه أي في قلبك وحفظك، مؤلفه).

(٤) في "ج" (أنزل).

(٥) في الأصل وبقية النسخ "إلي"، وأثبت ما جاء في "هـ" ؛ لأنها الأنسب للمعنى .

كأسماء السور بتوقيف(٢)، فإن جبريل كان يدارسه إياه كل عام في رمضان،

---

(١) ما بين القوسين سقط من "د".

(٢) جمهور العلماء من أهل القرآن وعلومه على أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جعل النبي لكل سورة اسماً خاصاً بها، ودليله أن تسمية السور قد اشتهرت فيها الروايات الكثيرة التي تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلّم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن، ويبين له موضع السور ويأمره بوضع الآيات المنزلة في سورتها المذكورة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا ويسميها باسمها، وذلك أمر لازم لإثبات الآيات فيها وتمييزها عن غيرها، وكان عليه الصلاة والسلام إذا تحدث عن فضل سورة أو أكثر ذكرها باسمها، مثل البقرة وآل عمران وغيرها من السور، منها ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران..) الحديث، كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٣)، وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٥)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله قد شبت، قال : "شيبتني هود،والواقعة،والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت ") أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن (٥/ ٤٠٢).

وقد جزم السيوطي في الإتقان (١/ ١٦٦) بأنها توقيفية فقال : (وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك، ومما يدل لذلك : ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : كان المشركون يقولون : سورة البقرة وسورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾الحجر :٩٥ .

واستبعد الزركشي في البرهان (١/ ٢٧٠) كونها اجتهادية فقال : (وينبغي البحث عن تعدد الأسامي : هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن =

فيمحو الله ما يشاء ويثبت، حتى كان عام وفاته[1] دارسه مرتين[2]، إشارة لثبات الأمر هو هو .

وقيل المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، بناء[3] على أن البعثة في رمضان، ولا ينافيه قولهم على رأس أربعين سنة، فقد قيل ولد في رمضان، وعلى أنه في غيره كربيع بإلغاء الكسر[4]، أو جبره، على أن بعضهم يرى تنقل ليلة القدر في غير رمضان .

وقيل : (المراد) [5] أنزلناه في شأن ليلة القدر، والتنبيه على شرفها . والقرآن اسم للقدر المشترك بين الكل وأبعاضه، فيكون كقول عمر لما كرر ندا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجبه لشغل فركض دابته، وقال : لقد

= يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد)، ويؤيد ذلك قول الطبري في تفسيره (١/ ٧٠) : (لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(١) في "ج" زيادة (صلى الله عليه وسلم).

(٢) روى البخاري من حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال : (كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض) كتاب فضائل القرآن، باب (تأليف القرآن)، حديث رقم (٤٩٩٨)، (٦/ ٤١٩) .

(٣) في "أ" (بناء) وفي بقية النسخ"بنا" وأثبت ما جاء في "أ".

(٤) في حواشي "ج"، "د"، "و" (قوله بإلغاء الكسر بأن يكون أربعين وشيئا وقوله أو جبره أي بأن يكون أربعين إلا شيئا، مؤلفه).

(٥) ما بين القوسين سقط من "أ".

خشيت أن ينزل فيّ قران[١].

وقول عائشة[٢] في قصة الإفك : وإني لأَحْقَرُ في نفسي من أن ينزل الله فيّ قرآناً يتلى[٣].

وفي القرآن ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[٤][١].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه،(عن زيد بن أسلم عن أبيه أ ن رسول صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر ابن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم سأله فلم يجبه،ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب : ثكلت أم عمر، نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، كتاب التفسير، باب (تفسير سورة الفتح)، حديث رقم (٤٥٥٣)، (٤/ ١٨٢٩).

(٢) في "أ"، "ج" زيادة (رضي الله تعالى عنها).

(٣) الحديث جاء مطولا كما أخرجه البخاري في صحيحه وفيه قالت عائشة:(..وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى،ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى،ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ..الحديث)، كتاب التفسير، باب (قوله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم)، حديث رقم (٤٤٧٣)، (٤/ ١٧٧٧) ؛ ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب (في حديث الإفك وقبول توبة القاذف)، حديث رقم (٢٧٧٠)، (٤/ ٢١٣٥).

(٤) النساء :١٢٧.

قال الشهاب[٢]عند قول القاضي في ديباجة التفسير :

الحمد لله الذي أنزل ..الخ ما نصه على النسخة التي بيدي منه (والنزول وإن استعمل في الأجسام والأعراض، لا توصف[٣]به الألفاظ إلا باعتبار محالها، والقرآن من الأعراض الغير القارة[٤]، فلا يتصور إنزاله ولو بتبعية المحل، فهو مجاز متعارف على مبِّلغه، كما يقال: نزل حكم الأمير من القصر ، أو التنزيل مجاز عن ايحائه[٥]من الأعلى رتبة إلى عبده تدريجا، فالتجوز في الطرف أو الإسناد) ا.هـ[٦].

ما رأيته فيه ولا يخلو عن شي .

والذي يظهر أن نقول : القرآن كلام الله تعالى، مقروء بالألسنة،

(١) قال ابن عطية : " وإذا كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيماً وتحسيناً فقوله تعالى في ليلة هو قول عمر بن الخطاب: لقد خشيت أن ينزل فيّ قران ليلة نزول سورة الفتح ونحو قول عائشة في حديث الإفك لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل فيّ قرآن .) انظر تفسيره (٥/ ٥٠٤).

(٢) انظر حاشيته (١/ ٤) .

(٣) في "ب" (لا يوصف).

(٤) في حواشي "ج"، "د" (قوله القرآن من الأعراض الغير القارة لأن القار ما اجتمعت أجزاؤه في الوجود والألفاظ ليست كذلك، مؤلفه)

وفي حاشية "ج" (وأقول عبارة الشهاب هائلة جداً غفر الله له ويا ليت قال الألفاظ من الأعراض الخ بدل القرآن على ما فيه، ولذلك قال المؤلف ولا يخلو من شيء، ويحتمل أن الشيء هو الإجمال وعدم التفصيل في تحرير المقام كما يؤخذ من كلامه بعد).

(٥) في "أ"، "هـ" (إيجابه).

(٦) في "أ"، "د"، "و" (انتهى).

محفوظ في الصدور[١]، أن الكلام لفي الفؤاد[٢].

فأما الكلام اللفظي فهو من الأعراض غير القارة كما قال الشهاب، ولا يصح أن يعتبر حال النزول الذي حقيقته حركة من الأعلى إلى الأسفل، ولا باعتبار محله إلا إذا ثبت أن الملك حال حركة النزول متكلم بألفاظ القرآن، الذي نزل به قبل الوصول إلى النبي[٣]ودونه خَرْطُ القَتَادِ[٤]، فإن ثبت ذلك، فيقال : الحركة، إما كونان، أو كون أول في حيز ثان، وكل جزء من اللفظ إنما له كون أول في محله، وهو في حيزه الأول، باعتبار كون العرض، فلا تعقل حقيقة الحركة بالتبعية كما في بياض الجسم لقراريته، ولو بتجدد[٥] الأمثال إن قلنا بعدم بقاء الأعراض، نعم المحل في ذاته يتحرك، وأما إن اعتبرنا الكلام النفسي، فالظاهر أنه قار الذات، قائم بالنفس إجمالا

---

(١) في "أ" (الصدر)، وفي "و" (بالصدور).

(٢) البيت كاملا : إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهذا البيت نسب إلى الأخطل وليس بصحيح، فلم يوجد بديوانه، وأكثر الشعراء وعلماء الأدب ينكرون هذا البيت ويقولون أنه مختلق لا أصل له . انظر شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي (١/ ١٠٥).

(٣) في "أ"، "ج"، "د" زيادة (صلى الله عليه وسلم).

(٤) خرط القتاد : الخَرْطُ : قَشْرُكَ الورق عن الشجر اجتذاباً بكفّك، والقتاد : شجر له شوك أمثال الإبر .لسان العرب (٧/ ٢٨٤) ؛ (وخرط القتاد) معناه : إزالة هذه الأشواك التي تشبه الإبر باستعمال الأكف . أي أهون من ذلك الأمر نزع الأشواك بالكف على ما فيه من ألم شديد .

(٥) في "ب" (بتجد) .

أو تفصيلا، على أن الذهن يقوم به المفصل[1]، ومما يقرب لك ذلك، أن رسم البسملة مثلا يكون تدريجيا، وإذا نظرت إليه ببصرك شاهدتها دفعة (واحدة) [2]، فكذلك ارتسام الألفاظ في النفوس، فالكلام النفسي قار كالبياض يوصف بالحركة تبعا لمحله، لكنه لا يخرج عن المجاز، والقول بأن التبعية لا تنافي في الحقيقة، كما في راكب الدابة والسفينة يتحرك بتبعيتهما[3]، وينسب له التحرك حقيقة استناد[4]لقياس مع الفارق، فإن الراكب جسم والعرض لو اتصف بالحركة حقيقة لزم قيام العرض بالعرض، والمشهور منعه، وأما التجوز في الطرف بحمل التنزيل على الإيحاء فظاهر، نعم الظاهر بعد ذلك كله أنه صار حقيقة شرعية بدليل عدم قبول النفي شرعا، ومن علامات المجاز صحة النفي على أن هذا كله باعتبار أحوالنا، وحال نزول الملك وإنزال الوحي مجهول لنا على الحقيقة والتفصيل (فتدبر) [5][6].

---

(١) في "أ" (المفصّل).

(٢) ما بين القوسين سقطت من "ب".

(٣) في "و" (بتبعيتها).

(٤) في "أ" (إسناد).

(٥) ما بين القوسين سقطت من "و".

(٦) يتبين لنا أن المؤلف قد تكلف باستعمال مصطلحات وعبارات غامضة ومبهمة، على طريقة المتكلمين،لم ترد في كلام السلف . وخلاصة ما ذكره في تفسير صفة الكلام، يدور على أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما كلامه النفسي القديم، وهذا القول هو الذي درج عليه متأخرو الأشاعرة ومتقدموهم، فهم يعتقدون أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، ولكنه كلام الله النفسي القائم بذات المتكلم، وأنه ليس هو الحروف والألفاظ .

=

وأصل الإنزال ما كان دفعيا، والتنزيل تدريجي[(١)].

= قال شارح الطحاوية في صدد الرد على هذا القول : (وأما من قال إنـه معنى واحـد، واسـتدل عليه بقول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فاستدلال فاسد . ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه . وقيل إنما قال : إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت الناسوت، أي : شيء من الإله بشيء من الناس، أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب ؟ وأيضاً : فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه، والكلام على ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير إليه إشارة .) (١/ ١٠٥، ١٠٦)

وأكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى فقال : (فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه سمعه منه جبريل، وبلغه عن الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته، فهو كلام الله حيث سمع،وكتب،وقرئ،كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾(التوبة:٦) الفتاوى (١٢/ ٥٦٦).

(١) في حاشية "ج" (قوله وأصل الإنزال الخ قال عبدالحكيم عند قول القاضي في ديباجة التفسير الحمد لله الذي أنزل الفرقان الخ، التنزيل والإنزال واحد لا فرق بينهما في اللغة، إلا أنه قد يراد من التنزيل الإنزال نجما نجما على سبيل التدريج باعتبار حمل صيغة التفعيل على التكثير، وهو المراد هنا وإنما آثره على الإنزال إشارة إلى أنه نفس الإنزال، كما أنه نعمة يجب الحمد عليها، كذلك كونه على التدريج فإن تكرار الوحي ونزوله بحسب الوقائع أدخل في تكميل العباد وتثبيتهم على الهدى، أي وإزاحة شبهة الكفار لأنهم قالوا لما رأوا نزوله منجماً على عادة الشعراء والخطباء لو كان من عند الله جاء دفعة واحدة كغيره من الكتب الإلهية، فردّ عليهم بأنه نجم =

هذا هو الغالب عند التجرد عن القرائن[1]، والهمزة والتضعيف وإن كانا أخوين في أصل التعدية، لكن الفرق بينهما بذلك معهود،كما في أعلمته الخبر وعلمته الحساب، فليتأمل .

﴿ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ الليلة واحدة الليالي، زادوا ياْ[2]في جمعها على غير قياس، كما زادوها في تصغيرها ليبلية ؛ لأن التصغير والتكبير[3]إخوان .

وفي مغني اللبيب[4]، زيادة الياء مبنية على ليلاه[1]، بمعنى ليلة ،كما في

= لأجل المصالح والوقائع ليسهل حفظه له عليه الصلاة والسلام ولأمته،كما ذكروه في قوله تعالى "وإن كنتم في ريب مما نزلنا الآية"، فالمعنى إن كان ريبكم لهذا فأتوا بمقدار نجم منه وأنه أسهل، ومن عجز عنه عجز عن غيره بالطريق الأولى، فهذا التعبير يتضمن رده على وجه أبلغ، فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاما للحجة).

(١) ذهب بعض المفسرين واللغويين إلى التفريق بين الإنزال والتنزيل، فما نزل دفعة واحدة عبر عنه بلفظ (أنزل)، وما نزل منجماً عبر عنه بلفظ (نزّل)، واستدلوا بآيات فرقت بين اللفظتين، منها قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ ﴾ قال الزمخشري في تفسيره الآيات: (فإن قلت: لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل ؟ قلت : لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة) الكشاف (١(٤١١)، وقال الجرجاني في التعريفات : (الفرق بين الإنزال والتنزيل : الإنزال يستعمل في الدفعة والتنزيل يستعمل في التدريج)ص ٧٣.

(٢) في "ج" (ياء).

(٣) في "ج"، "و" (التكسير).

(٤) قال ابن هشام في مغني اللبيب ص ٧٠: " .. وتصغير ليلة على ليبلة وإنما صغرتها العرب على ليبلية بزيادة الياء على غير قياس حتى قيل أنها مبنية على ليلاة .

القاموس[٢].

وقل[٣]تصغيرها على الأصل كما في قول أبي الطيب[٤]:

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ في أُحَادِ   لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتَّنَادِ[٥]

وفي النبتيتي على الغيطي[٦]في قصة الإسراء نقلا عن ابن حجر[٧]: أن

---

(١) في "ج"، "د"، "و" (ليلاة).

(٢) قال في القاموس : " الليل والليلاة من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق أو الشمس، جمع ليالٍ وليائل . باب اللام، فصل اللام .

(٣) في "ب" (وقيل).

(٤) في "و" زيادة (المتنبي).

وأبو الطيب : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي، كان من أذكياء عصره، بلغ الذروة في النظم وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق، قال عنه الإمام الذهبي : شاعر زمانه، وقال الحافظ ابن حجر : نظم الشعر حتى بلغ الغاية إلى أن فاق أهل عصره، توفي سنة ٣٥٤ هـ . انظر ترجمته في : تاريخ الإسلام للذهبي (٢٦/ ١٠٣) ؛ لسان الميزان (١/ ١٥٩) ؛ البداية والنهاية (١١/ ٢٥٧).

(٥) انظر شرح ديوان المتنبي (٢/ ٧٤) .

في حواشي "ج"، "د"، "و" (قوله بالتنادي، أي نداء بعضهم بعضاً للرحيل فهي شديدة عليه للفراق، مؤلفه).

(٦) الغيطي : نجم الدين ابو المواهب محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي السكندري المصري الشافعي الغيطي نسبة إلى بن الغيط قرية بإقليم القليوب بمصر، انتهت إليه الرئاسة في علم الحديث والتفسير والتصوف، من مؤلفاته : قصة المعراج الصغرى، قصة المعراج الكبير، الفرائد المنظمة، بهجة السامعين، توفي سنة ٩٨٢هـ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب (٤/ ٨٤٣) ؛ معجم المطبوعات (٢/ ١٤٢٢) ؛ الرسالة المستطرفة (١/ ٢٠٠).

(٧) ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر الحاف =

الليل قاصر على أهل الأرض للراحة وليس في السماء، وقوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [(1)]كناية عن الدوام، انتهى[(2)].

فهو نظير بعض ما قيل في ما دامت السموات والأرض .

وقال أهل الهيئة : الليل ظل كرة الأرض في ضوء الشمس، وهو مخروط يمتد في شي من فلك القمر، فهو[(3)]عرض كالنور يقوم بالهوي[(4)]والأشعة نور قوي، ومن البعيد قول السنوسي[(5)] في شرح كبراه[(6)]: أنها جواهر

= الكبير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة، تصانيفه كثيرة منها : الدرر الكامنة، لسان الميزان، الإصابة، فتح الباري شرح صحيح البخاري، توفي سنة ٨٢٥هـ . انظر ترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٥٥٢ ؛ البدر الطالع (١/ ٨٧) ؛ الإعلام (١/ ١٧٩) .

(١) الأنبياء : ٣٠.

(٢) في "ج"، "هـ" (انتهى)

وقد بحثت عن مقولة النبتيتي في صورة لمخطوطة شرح النبتيتي على معراج الغيطي وهي باسم (إرشاد الحائرين لشرح بهجة السامعين) للشيخ علي بن عبدالقادر النبتيتي، دار الكتب المصرية، رقم الميكروفيلم (٣٣٩١٥) ولم أقف عليها، كما بحثت في مؤلفات ابن حجر ولم أقف عليها .

(٣) في "أ" (فهي).

(٤) في "ج" (بالهواء).

(٥) السنوسي : محمد بن السيد يوسف بن الحسين السنوسي، الإمام أبو عبدالله التلمساني الشريف الحسني، له كتب كثيرة تشهد بمكانته العلمية المتميزة منها : أم البراهين في العقائد، والعقد الفريد في حل مشكلات التوحيد، عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام، توفي سنة ٨٩٥هـ . انظر ترجمته في : شجرة النور الزكية ص ٢٦٦ ؛ هدية العارفين (٢/ ٦١) .

(٦) قال السنوسي في شرحه لعقيدة التوحيد الكبرى المعروف باسم (عمدة أهل التوفيق والتسديد =

متصاغرة متضامة، ومعرفة السابق خلقا من الليل والنهار يحتاج لسمع وقوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾[1] لا يدل لأحدهما .
وقد تعرضنا لذلك في تفسير الفلق مما كتبناه للمعوذتين[2].

= في شرح عقيدة أهل التوحيد) : (...أما كون صفات العالم حادثة، فدليله إنها متغيرة من وجود إلى عدم ومن عدم إلى وجود قبولا وحصولا، وكل ما كان كذلك فهو حادث، فينتج صفات العالم حادثة، ودليل التغير المشاهدة في بعضها كالحركات والأصوات ونحوها، فإنها تشاهد طارئة ومعدومة بعد طرؤ، والقبول فيما لا يشاهد فيه التغير، كسكون الأرض والألوان ونحو ذلك، فإن الأرض يجوز أن تتحرك وينعدم سكونها، كما جاز ذلك فيما ماثلها من متحرك الأجرام، كالفلك وذا اللون المخصوص مثلا، يجوز أن ينعدم لونه ويتصف بغيره من الألوان، كما اتصف به مماثلة من الجواهر، والجواهر كلها متماثلة، فيستحيل أن يجوز في بعضها ما لا يجوز في الآخر من حيث ذاته، فأستبان أن صفات العالم كلها تتغير إما بالحصول أو القبول ..الخ كلامه) ص ٥٩، ٦٠ .

(١) يس : ٣٧.

(٢) ذكر الشيخ الأمير الكبير في تفسير المعوذتين بعد نقله كلام الشيخ زاده فيما يدل عليه قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) قال الشيخ زاده : (فإنه يدل على أن ظلمة الليل أصل يغشاه ضوء النهار عند طلوع الشمس فيصير كزنجي لبس ثوباً أبيض وينسلخ عنها عند الغروب، ويؤيده تقديم الظلمات على النور في قوله تعالى (وجعل الظلمات والنور)، ويشهد عليه العقل أيضاً، ولا ضير أن لكل وجهة اهـ)، ثم قال الشيخ الأمير : (قلت قوله ولا ضير أن لكل وجهة لعل وجهه أن كون الليل سابقاً أو النهار (سواد في المخطوطة) لاعتبار والمعتبر لا لنفس الأمر حتى يتنافى وذلك أن كلاهما محدث (سواد) تتخيل أن النهار سابق والظلمة تطرأ وتنفلق أو العكس، والواقع (سواد) وأما قوله ويشهد له العقل فلعل وجهه أن النور إنما (سواد) الشمس والقمر والمصباح والأصل عدمها، فالعقل يحكم بأن الأصل الظلمة =

وأما ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[1]فمعناه أنه لا يأتي قبل ما قدر له، وأما ظلمة العدم[2]فشيء آخر (نعم إن قلنا الظلمة عدمية، أي عدم النور فسابقه)[3]، وإضافتها للقدر، إما بمعنى الشرف والعظم[4]، أو بمعنى تقدير الأمور، أي إظهار تلك الشؤون في دواوين الملأ الأعلى (ومواكبهم)[5]، وإن كان المولى قضى الأمور أزلا كما علم، والقدر[6]

= والنور إنما يطرأ بطرأ وأسبابه لعل هذا وجه وإلا فمن أين للعقل الكلام في هذا، وقوله وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى (وآية لهم الليل الخ)) مخطوطة تفسير المعوذتين للإمام محمد بن محمد الأمير الكبير (٤/ب) مركز جمعة الماجد للثقافة والفنون رقم المادة (٢٣١٩١٣) .

(١) يس : ٤٠.

(٢) في حاشية "د" (أي عدم الوجود اهـ).

(٣) ما بين القوسين كتب في النسخة الأم في الهامش وبنهايتها عبارة (صح)، وسقطت من "ب".

(٤) قال الرازي : " نقل عن الزهري أنه قال : ليلة القدر ليلة العظمة والشرف، من قولهم : لفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف " انظر تفسيره (٣٢/ ٢٨) .

(٥) ما بين القوسين سقط من "ج".

(٦) في حاشية "ج" (قوله والقدر في البيضاوي وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها، وكتب الشهاب ما نصه قوله : (وتسميتها بذلك أي بليلة القدر أي بليلة القدر، فالقدر إما بمعنى التقدير لتقدير الأرزاق والآجال فيها، والمراد إظهار تقديره للملائكة إذ التقدير أولى، أو القدر بمعنى الشرف لشرفها، أو شرف المنزل فيها، أو شرف الطاعة فيها أ، و شرف من يحييها) اهـ، وقول المؤلف : أو بمعنى تقدير الأمور فيها، أخذه من قول البيضاوي، واستدل عليه البيضاوي بقوله سبحانه وتعالى " فيها يفرق كل أمر حكيم " وهذا على أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر .)

قال الرازي في تفسيره (٢٨/٣٢) : " واختلفوا في أنه لم سميت هذه الليلة ليلة القدر على وجوه: أحدها أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام ... إلى أن قال : واعلم أن تقدير الله لا يحدث في =

وإن كـــان أصـــله الإيجـــاد والتقـــدير (وهـــو) [١]تعلـــق القـــدرة (حـــادث) [٢] عنـــد الأشـــاعرة[٣]، والقـــضاء قـــديم كـــما في نظـــم

= تلك الليلة، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة، بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا قول اختيار العلماء".

(١) زيادة في (و) .

(٢) ما بين القوسين ورد في (ب)، وفي بقية النسخ (الحادث) وأثبت الأنسب للمعنى .

(٣) انقسم الناس في الإيمان بالقضاء والقدر إلى ثلاثة أقسام : قسم سلبوا قدرة العبد واختياره، وهم الجبرية . وقسم نفوا القدر، وهم القدرية .وقسم توسطوا فأثبتوا القدر وأثبتوا للعبد قدرة واختيارا، وهم أهل السنة والجماعة وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمع السلف الصالح عليه، وهو أن فعل العبد واقع بمشيئة الله وخلقه، والإنسان له اختيار وإرادة، فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم ومع ذلك فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه . (وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم : قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون .) الفتاوى (٨/ ٤٥٠،٤٤٩) .

أما الجبرية فعقيدتهم في هذه المسألة أنه لا فعل لأحد غير الله تعالى،والإنسان مجبور على عمله،والأعمال تنسب إليه مجازا كما تنسب إلى الجماد،فالإنسان والجماد لا يختلفان .والثواب والعقاب جبر،كما أن الأفعال جبر،وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبر . وقول الأشاعرة مثل قول الجبرية في ذلك،إلا أن الأشاعرة قالوا بالكسب، وهذا المذهب في الحقيقة يرجع إلى الجبر، فهم فسروا الكسب بأنه عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، من غير أن يكون لها أثر فيه، وعليه فما دام العبد ليس بفاعل ولا له قدرة مؤثرة في الفعل، فالزعم بأنه كاسب وتسمية فعله كسبا لا حقيقة له، فإنه لا يمكن أن يوجد فرق بين الفعل الذي نفي عن العبد والكسب الذي أثبت له.فالأشاعرة طائفة من الجبرية،لم يجعلوا العبد فاعلا حقيقة، بل جعلوا ما يصدر =

الأجهوري[1]المشهور، لكنهما نظير الفقير والمسكين، والظرف والجار والمجرور .

وقيل : القدر بمعنى الضيق، من قوله : فقدر عليه رزقه فظن أن لن نقدر، لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها[2].

وإن قلنا : أن الملائكة جواهر نورانية لطيفة، تتشكل وتتداخل[3]، فلا مانع أنهم يتشكلون في مواكبها بلا تداخل إظهار لِأُبَّهَتِهَا .

= عنه من أفعال حاصلا بالقدرة القديمة عند الاقتران بالقدرة الحادثة،دون أن يكون للعبد أي تأثير في الفعل.انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٣/ ٢٥٧ـ٢٦٩)؛وانظر أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر للدكتور عبدالله الغفيلي،مجلة البحوث الإسلامية،مجلد٧٩ص١٢٦ـ١٢٨ .

(١) علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد زين زين الدين عبدالرحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري، كان محدثاً فقيهاً درس وأفتى وصنف وألف، من مؤلفاته : شروحه الثلاثة على مختصر خليل في فقه المالكية، وعقيدة منظومة وشرحها شرحاً نفيساً، وشرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، وشرح التهذيب للتفتازاني في المنطق، والنور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، وشرح ألفية ابن مالك، توفي سنة ١٠٦٦هـ . انظر ترجمته في : خلاصة الأثر (٢/ ٢١٦) ؛ إيضاح المكنون (٢/ ٦٨٨)؛ هدية العارفين (١/ ٤٠٣) .

(٢) قال ابن الجوزي :" أنه من الضيق أي هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون قاله الخليل) انظر زاد المسير (٩/ ١٨٢).

(٣) في حواشي "ج"، "د"، "هـ" (قوله وتتداخل لا بمعنى دخول ملك في آخر، بل بمعنى دخول أجزاء الملك في انضمامه وتشكله، كما ورد في تصاغر إسرافيل من خشية الله حتى يصير مثل الوضع أي العصفور كالعهن المنفوش إذا ضم، أو بمعنى دخولها مجتمعة ولو في حيز ضيق كاجتماع الأنوار، فلا يضيق بها الفضاء لأن تحيزها ليس كتحيز الأجسام الكثيفة . مؤلفه).

وإذا وقف القاري على القدر، فالأرجح التفخيم، لزوال علة الترقيق[١]، أعني الكسر، ويقل استصحاب السبب، نعم إن وقف بالروم، أو وجد سبب الترقيق (كالياء في الخير) [٢]، والكسرة في الذكر والإمالة في الدار رقق .

قال في حرز الأماني (ووجه التهاني) [٣]: وترقيقها[٤]مكسورة عند وصلهم.

وتفخيمها في الوقف أجمع أشملا	ولكنها في وقفهم مع غيرها
ترقق بعد الكسر أو ما تميلا	أو الياء تأتي بالسكون ورومهم
كما وصلهم فابل الذكاء مصقلا	وفيما عدا هذا الذي قد وصفته

وليلة القدر باقية على الصحيح[٥]، خلافا لمن قال برفعها[٦]لحديث : (خرجت لأعلمكم بليلة القدر، فتلاحا فلان وفلان، فرفعت) [٧].

(١) في "أ" (التوقيف).

(٢) في "أ" (كالباء في الخبر).

(٣) ما بين القوسين سقط من "أ".

(٤) في الأصل (وترقيقه) وأثبت ما هو موجود في كتاب حرز الأماني (٥٧/١) .

(٥) اختلف العلماء في ليلة القدر، هل هي باقية ؟ أم كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خاصة؟ والذي ذهب إليه الجمهور : أن هذه الليلة باقية في كل عام، وهي مختصة بشهر رمضان. انظر فتح الباري (٤/ ٢٦٣) ؛ تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٦) ؛ تفسير ابن الجوزي في (٩/ ١٨٢).

(٦) ونسب ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٤٦) هذا القول إلى الشيعة .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : (خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال : "خرجت لأخبركم بليلة القدر، =

ورد بأن الذي رفع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه، وعسى أن يكون خير لكم فالتمسوها في العشر الأواخر إذا رفعها بالمرة لا خير فيه، ولا يتأتى معه التماس[1] .

إن قلت : الرفع بسبب الملاحاة يقتضي أنه من شؤم الملاحاة[2]، فكيف يكون خيرا ؟

قلت : هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة، فإذا تلقى بالرضى والتسليم صار خيراً، إن قلت : فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة ؟ وما هو الخير الذي حصل ؟

قلت : الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد في[3]خصوصها، والخير الذي حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيي

= فتلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة ." كتاب صلاة التراويح، باب (رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس)، حديث رقم (١٩١٩)، (٢/ ٧١١) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ آخر، كتاب الصيام، باب(فضل ليلة القدر والحث على طلبها)، حديث رقم (١١٦٧)، (٢/ ٨٢٧).

(١) قال الخازن في تفسيره بعد أن ذكر الحديث : " وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه قال في آخره : (فالتمسوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة) فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها . وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة " (٤/ ٢٥٠) .

(٢) الملاحاة : في اللسان : لحا الرجل لحوا شتمه، ولاحيته ملاحاة ولحاء إذا نازعته . وفي حديث ليلة القدر تلاحى رجلان فرفعت . (١٥/ ٢٤٢) .

(٣) في "أ" (وفي) بزيادة واو .

ليالي كثيرة .

في الجملة قالوا : أخفى الرب أموراً في أمور لحكم ليلة القدر في الليالي، ليحيي[١]جميعها، وساعة (الإجابة في) [٢]الجمعة ليدعو في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الكل، والاسم الأعظم في أسمائه ليدعي[٣]بالجميع، ورضاه في طاعاته[٤]ليحرص العبد على جميع الطاعات، وغضبه في معاصيه لينزجر عن الكل، والولي في المؤمنين ليحسن[٥]الظن بكل منهم، ومجيء الساعة[٦]في الأوقات للخوف منها دائما، وأجل الإنسان عنه ليكون دائما على أهبة .

فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها[٧]. نعم العالم بها أكمل، هذا هو الأظهر[٨].

---

(١) في "ب" (لتحي).

(٢) ما بين القوسين سقط من (أ).

(٣) في "أ"، "ج"، "د" (ليدعو).

(٤) في حواشي "ج"، "د"، "هـ" (أي الرضى الأكمل الذي يكفر الخطايا ويجزل العطايا وإلا فجميع الطاعات مرضية، مؤلفه).

(٥) في "أ" (لحسن).

(٦) في حواشي "ج"، "د"، "هـ" (قوله ومجيء الساعة، لعل المراد ما يشمل مجيء قدومها وأشراطها الكبرى، مؤلفه).

(٧) في حاشية "ج" كتب عند هذه العبارة (مطلب يحصل ثواب ليلة القدر ولو لم يعلمها).

(٨) قال الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٥٤) : " وفي الجملة أخفى الله علم هذه الليلة على الأمة، ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى الصلاة الوسطى في الصلوات، =

قالوا ويسن لمن علم بها أن يكتمها، ووجهه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يعينها .

وقد قالوا : أعلمه الله بكل ما أخفي عنه[1]، بل في الحديث : (تخلقوا بأخلاق الله) [2]

= واسمه الأعظم في الأسماء، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، وغضبه في المعاصي، ورضاه في الطاعات، وقيام الساعة في الأوقات، رحمة منه وحكمه " ..

(١) في حاشية "ج" كتب عند هذه العبارة (مطلب أعلم الله عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم بكل ما أخفي عنه)

والصحيح أن الغيب لله فلا يعلم الغيب إلا الله، فهو مما استأثر به، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة موضحة أن الغيب لا يعلمه إلا الله، قال الله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام :٥٩)، وقال تعالى ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ (الأعراف :١٨٨)

وقال تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ (النمل:٦٥)، إلى غير هذا من الآيات التي تدل على أن الله سبحانه استأثر بعلم الغيب، فإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمداً صلي الله عليه وسلم أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فكيف يقال أنه صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ؟ وأما ما يخبر به الرسل من الأمور المغيبات فإنه شيء يطلعهم الله عليه ليكون حجة لهم على دعوى الرسالة .

وفي حديث جبريل المشهور في مسلم حينما سأل الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة، قال له صلى الله عليه وسلم : "ما المسئول عنها بأعلم من السائل " والنصوص من الكتاب والسنة جاءت صريحة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم من الغيب إلا ما أوحى الله به إليه وعلمه إياه .

(٢) لا يوجد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ، وذكر ابن القيم في مدارج السالكين =

ثم اختلفوا في لزومها ليلة، كما قيل[١]: أنها آخر ليلة من رمضان، للعتق فيها بقدر ما مضى، وقيل أول ليلة منه، وقيل ليلة النصف من شعبان، وتنقلها في العشر الأخير،أو[٢]أوتاره.

وهل العدد[٣]باعتبار ما مضى ؟ أو ما بقي ؟ فيختلف بكمال الشهر ونقصانه، أو في جميع رمضان، أو في العام كله[٤].

قال الخطيب[٥]في تفسيره[٦]:

= (٣/ ٢٤١) أنه باطل لا أصل له، والتعبير بهذا اللفظ جاء على لسان بعض الصوفية .

(١) في "ب" (فقيل).

(٢) في "ب" سقطت (أو).

(٣) في "أ" (الفرد).

(٤) اختلف العلماء في تعيين ليلة القدر، والذي عليه معظم العلماء أنها العشر الأواخر من رمضان، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدل عليه، منها ما رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى أو سابعة تبقى أو في خامسة تبقى) (٤/ ٢٢٦)، وانظر تفصيل المسألة في تفسير الماوردي (٦/ ٣١٢) ؛ وتفسير ابن الجوزي (٩/ ١٨٢ـ١٩٠) ؛ تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٤ـ١٣٧) .

(٥) الخطيب : محمد بن أحمد الشربيني الفقيه الشافعي، من مصنفاته : السراج المنير، الاقناع في حل ألفاظ أبي شجاع في الفروع، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للنووي، تقريرات على كتاب المطول في البلاغة للتفتازاني، توفي سنة ٩٧٧هـ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١) ؛ هدية العارفين (٦/ ٢٥٠) ؛ كشف الظنون (٢/ ١١٣٩) .

(٦) قال الخطيب في تفسيره السراج المنير (٤/ ٦٥٥) : " وقيل : هي دائرة في جميع السنة، لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امرأته، أو عتق عبده بليلة القدر، لا يقع ما لم تنقض سنة من حين =

حتى لو علق طلاق امرأته أو عتق عبده على ليلة القدر لا يقع، ما لم تنقض سنة من حين حلفه، يروى ذلك عن أبي حنيفة . انتهى[1].

قلت : المالكية لا يوافقون على ذلك في الطلاق ؛ لأن قاعدة مذهبهم تنجيز ما علق على مستقبل محقق الوقوع، لئلا يكون كنكاح المتعة .

والمشهور عن أبي بن كعب،وابن عباس[2]،وكثير،أنها ليلة السابع والعشرين،وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر، التي أعز الله بها الدين[3]، وأنزل ملائكة فيها مدد للمسلمين، وأيده بعضهم بطريق الإشارة

= حلف، يروى ذلك عن أبي حنيفة) .

ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٥٢) فقال : " وقال بعضهم : هي في ليالي السنة كلها، وإن من علق طلاق امرأته أو عتق عبده ليلة القدر لم يقع الطلاق ولم ينفذ الفتاق إلى مضي سنة من يوم حلف، وهي إحدى الروايات عن ابن مسعود، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة أنها في جميع السنة).

(١) في "هـ" (اهـ).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٣١٢) ونسبه إلى أبيّ بن كعب وابن عباس . وقال : " واختلف في الدليل، واستدل أبيّ بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من علاماتها أن تصبح الشمس لا شعاع لها، قال : وقد رأيت ذلك في صبيحة سبع وعشرين، واستدل ابن عباس بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سورة القدر ثلاثون كلمة فهي في قوله (سلام هي) الكلمة السابعة والعشرون، فدل أنها فيها ."

(٣) قول المؤلف (وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر التي أعز الله بها الدين) يخالف ما اتفق عليه جمهور العلماء من أن غزوة بدر حصلت صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المبارك .

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٤٧) في حديثه عن ليلة القدر : (.. وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه :﴿يوم =

بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان، واتفق أن كلمة (هي) تمام سبعة وعشرين[١]. وأراد الكلمات الأدائية التي ينطق بها في آداء التلاوة دفعة، وإن احتوت على كلمات كأنزلناه .

وطريق آخر هو أن حروف ليلة القدر تسعة، وقد ذكرت[٢]في السورة ثلاث مرات وثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين [٣].

ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بضبط أول الشهر من أيام الأسبوع، ومع كونه لا مستند له في الحديث قد اضطربت[٤]أقوالهم فيه أيضاً .

= الفرقان﴾ الأنفال :٤١) وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ١٣) : (الأكثر على أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان) . وانظر تفصيل المسألة في كتاب (الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعاً ودراسة) للدكتور محمد العواجي .

(١) في حاشية "ج" (أي من الكلمات الواقعة في السورة ومجموعها ثلاثون)
قال الرازي : " والذي عليه المعظم أنها ليلة السابع والعشرين، وذكروا فيه إمارات ضعيفة أحدها حديث ابن عباس أن السورة ثلاثون كلمة وقوله (هي) هي السابعة والعشرين منها ".

(٢) في "ب"، "د" (ذكره).

(٣) قال القرطبي : " قال أبو بكر الوراق : إن الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر شهر رمضان على كلمات هذه السورة، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار إليها فقال : هي . وأيضاً فإن ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات، وهي تسعة أحرف فتجيء سبعاً وعشرين " وقال الخطيب (٤/ ٦٥٥) : " وهذا استنباط لطيف وليس بدليل "
بينما قال أبو حيان معلقاً على حديث ابن عباس : " ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس وإنما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى) انظر تفسيره (٨/ ٤٩٣).

(٤) في "ب" (اخر طريق).

وقال سيدي أحمد زروق[1] وغيره : لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر.

ونقل نحوه عن ابن العربي[2].

وفي تفسير الخطيب[3]، عن أبي الحسن الشاذلي[4]، إن كان أوله الأحد،

---

(١) أحمد زروق : أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المشهور بأحمد زروق، الفقيه المالكي صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، تلقى عن كبار علماء عصره مثل الحافظ السخاوي والثعالبي، وسلك طريق التصوف، له مؤلفات كثيرة منها : شرح الأسماء الحسنى، العقائد الخمسة، شرح رسالة أبي زيد القيرواني، كتاب قواعد التصوف، توفي سنة ٨٩٩هـ . انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١/ ٢٢٢) ؛ كشف الظنون (٢/ ١٠٣٢) ؛ نيل الابتهاج ص ١٣٠ .

(٢) ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي، العلامة الحافظ القاضي، جمع وصنف وبرع في الأدب والبلاغة، وصنف في الحديث، والفقه، والأصول، وعلوم القرآن، والتواريخ، من أشهر مصنفاته (أحكام القرآن)، توفي سنة ٥٤٣هـ . انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٢٩٤) ؛ نفح الطيب (٢/ ٢٥) .

وقد توسع ابن العربي في هذه المسألة في كتابه أحكام القرآن (٤/ ١٩٦٤_١٩٦٧)، وذكر فيها ثلاثة عشر قولاً مع توجيهها وأدلتها ..

(٣) في تفسير الخطيب (٤/ ٦٥٥) " عن ابن مسعود أنه قال : (من أراد أن يعرف ليلة القدر، فلينظر إلى غرة رمضان، أي أوله فإن كان يوم الأحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين، وإن كان يوم الأثنين فليلة القدر إحدى وعشرين، وإن كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين، وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة عشر، وإن كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين، وإن كان ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر، وإن كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين .

ولم أقف على سند الحديث في كتب الأحاديث والآثار .

(٤) أبو الحسن الشاذلي : علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف، أبو الحسن الهذلي الشاذلي، نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقيا، الضرير الزاهد، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، انتسب في =

فليلة تسع وعشرين، أو الاثنين فإحدى وعشرين، ثم استعمل الترقي والتدلي في الأيام، فالثلاثاء[١] سبع[٢] وعشرون، والأربعاء تسعة عشر، والخميس خمس وعشرون، والجمعة سبعة عشر، والسبت ثلاث وعشرون.

وورد في الحديث : (أن من أحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية[٣])، فإن العافية المعافاة مما يكره في الدين والدنيا والآخرة .

وورد : (من صلى المغرب والعشاء في جماعة، فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر) [٤].

= بعض مصنفاته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، له نظم ونثر ومتشابهات وعبارات فيها رموز، صحب نجم الدين بن الأصفهاني، قال ابن العماد : اشتغل بالعلوم الشرعية ثم سلك منهاج التصوف، توفي سنة ٦٥٦ هـ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب (٥/ ٢٧٩) ؛ السير (٢٢/ ٣٧٧) ؛ طبقات الأولياء ص ٧٥.

(١) "ج" (قوله فالثلاثأ بالمد ويضم قاموس).

(٢) في "أ" (بسبع وعشرين).

(٣) ورد بهذا المعنى كما رواه النسائي في السنن الكبرى، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : إن وافقت ليلة القدر ما أقول، قال : تقولين اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني .) باب (ما يقول إذا وافق ليلة القدر)، حديث رقم (١٠٧٠٩) (٦/ ٢١٩) ؛ وابن ماجه في سننه، باب (الدعاء بالعفو والعافية) حديث رقم (٣٨٥٠) (٢/ ١٢٦٥) ؛ وزاد نسبته السيوطي كما في الدر المنثور (٨/ ٥٨٣) إلى أحمد والترمذي وصححه ومحمد بن نصر والبيهقي .

(٤) جاء في مصنف ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب بلفظ : (من صلى المغرب أو العشاء في جماعة، ليلة القدر فقد أخذ نصيبه منها) حديث رقم (٨٦٩٤) (٢/ ٢٥٢) ؛ وبلفظ آخر في مصنف عبد =

وورد من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل، فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر[1].

وينبغي لمن شق عليه طول القيام، أن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي، فقد ورد أنها أفضل آية في القران، وكالثلاث أو الآيتين من آخر سورة البقرة، فقد ورد من قام بهما في ليلة كفتاه[2]، وكسورة إذا زلزلت ورد أنها تعدل نصف القرآن[3]، وكسورة الكافرون

= الرزاق عن ابن المسيب قال : (من صلى المغرب والعشاء في جماعة،لم تفته خير ليلة القدر) حديث رقم (٢٠١٧) (١/ ٥٢٨) .

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، عن عثمان بن عفان قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله .) كتاب باب (فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة)، حديث رقم (٦٥٦) (١/ ٤٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) كتاب فضائل القرآن، باب (فضل سورة البقرة)، حديث رقم (٥٠٠٩) (٦/ ٤٢٢) ؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ..)، حديث رقم (٨٠٧)(٢/ ٥٥٤) .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب (ما جاء في إذا زلزلت)، حديث رقم (٢٨٩٩) (٥/ ١٦٦) ؛ وأبو عبيد في فضائله، باب (في فضل إذا زلزلت) ص ١٤٠ ؛ والحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، باب (ذكر فضائل سور وآي متفرقة)، حديث رقم (٢٠٧٨)(١/ ٧٥٤) ؛ وزاد نسبته السيوطي في الدر (٨/ ٥٩١) لمحمد بن نصر . والحديث =

(ورد) [١] أنها تعدل ربع القرآن[٢].

والإخلاص تعدل ثلث القران[٣]. ويس ورد أنها قلب القرآن[٤]، وأنها لما قرئت له[٥]. ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل، وأنواع الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويدعو بما أحب لنفسه،

= قال فيه الترمذي : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة)، وقد صححه الحاكم في المستدرك وتعقبه الذهبي بقوله : (بل يمان ضعفوه)، وضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع ص ٧٦ .

(١) ما بين القوسين سقط من "ب".

(٢) سبق ذكره في حديث ابن عباس السابق .

(٣) سبق ذكره في حديث ابن عباس السابق .

(٤) في حواشي "ج"، "د"، "و" (وقلب يس سلام قولا من رب رحيم اهـ، مؤلفه).

(٥) إشارة إلى حديث رواه معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له اقرؤوها على موتاكم " والحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى واللفظ له، باب (ما يقرأ على الميت)، حديث رقم (١٠٩١٤) (٦/ ٢٦٥) ؛ والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٥١١) (٢٠/ ٢٢٠) ؛ وأحمد في مسنده، حديث رقم (٢٠٣١٥) (٥/ ٢٦) ؛ وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب (ما جاء فيما يقال عند المريض إذ حضر)، حديث رقم (١٤٤٨) (١/ ٤٦٦) . والحديث ضعفه الألباني في المشكاة (١/ ٦٦٨) .

وما ورد في يس من (أنها لما قرئت له) هو حديث قال عنه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٣٢: (لا أصل له بهذا اللفظ)، وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٩٠) نقلاً عن القاضي زكريا في حاشية البيضاوي : (موضوع) ، وقد ورد بلفظ : (الفاتحة لما قرئت له)، قال بدر الذين الزركشي في اللآلئ المنثورة ص ٤٦ : (أخرجه البيهقي بإسناده في شعب الإيمان، وأصله في الصحيح) .

ولأحبابه أحياء وأمواتاً، ويتصدق بما تيسر له، ويحفظ جوارحه عن المعاصي، هذا هو الإحياء الذي يغفر به ما تقدم من ذنبه، لا أنواع اللهو واللعب، نسأل الله التوفيق والقبول والرحمة بفضله .

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ ﴾ [1] أي (ما) [2]مقدار شرفها ؟ بدليل ما بعده، لا ما حقيقتها، فإن حقيقتها مدة مخصوصة من الزمن، وفي حقيقة الزمن خلاف مشهور، حتى قيل أنه من مواقف العقول، ومزالق الفحول،كالروح والمكان ونظائرهما . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولولا خوف ملل الطول لسقنا في ذلك شيئا من النقول، وما نقول وقد تعرضنا لذلك في حواشي الشيخ عبدالسلام[3]على جوهرة التوحيد[4].

---

(١) في حاشية "و" (قوله ما ليلة القدر، أي ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، ثم بين ذلك بقوله ليلة القدر الخ، فبين فضلها من ثلاثة أوجه أولها قوله ليلة القدر خير من ألف شهر، والثاني قوله تنزل الملائكة والروح فيها، والثالث قوله سلام هي حتى مطلع الفجر، فهي جمل ثلاث مستأنفه استئنافاً بيانياً في جواب سؤال تقديره : وما فضائلها . اهـ جمل) انظر الفتوحات (٤/ ٥٦٥) .

(٢) ما بين القوسين سقط من "أ"، "د".

(٣) الشيخ عبدالسلام : عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني، الإمام المتقن المحدث الأصولي شيخ المالكية في وقته، و شارح منظومة جوهرة التوحيد وقد سمى شرحه المذكور : إتحاف المريد لشرح جوهرة التوحيد، والجوهرة نظم له على طريقة الأشاعرة في تقرير العقيدة، ومن مصنفاته الأخرى : السراج الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، توفي سنة ١٠٧٨هـ . انظر ترجمته في : خلاصة الأثر (٢/ ٤١٦) ؛ شجرة النور الزكية ص ٣٠٤ ؛ الأعلام (٣/ ٣٥٥) .

(٤) انظر : حاشية العلامة الأمير على شرح الشيخ الإمام عبدالسلام على الجوهرة في علم الكلام، ص ٦٣ .

والاستفهام هنا للتفخيم والتعظيم، كأنه لا يحاط بقدرها . قال سفيان بن عيينة[١]: إن كل ما في القرآن من قوله (وما أدراك) أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، وما فيه (وما يدريك) لم يعلمه الله به، ولما نقل البخاري[٢] في صحيحه[٣]هذا الكلام عن سفيان، تعقبه بعض شراحه بقوله تعالى في حق ابن أم مكتوم ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [٤]﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[٥] ونحوه[٦]. وقد قالوا لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من

(١) سفيان بن عيينة : بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي،ثم المكي، كان إماماً عالماً ثبتاً حجةً، قال أبو حاتم : سفيان ابن عيينة إمام ثقة، وقال أحمد : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنن من سفيان بن عيينة، وقال ابن حجر : ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات، مات سنة ثمان وتسعين ومائة . انظر ترجمته في : الجرح والتعديل ١/ ٣٢ ؛ حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ؛ صفة الصفوة ١/ ٤٧٢ .

(٢) البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه، قال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ له من محمد بن إسماعيل، وقال ابن حجر : جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، مات سنة ست وخمسين ومائتين . انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦٧ ؛ السير ١٢/ ٣٩١ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٢٧ ؛ التهذيب ٩/ ٤١ ؛ التقريب ص ٤٦٨ .

(٣) صحيح البخاري، (باب فضل ليلة القدر وقول الله تعالى﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ قال بن عيينة ما كان في القرآن ﴿ ما أدراك﴾ فقد أعلمه وما قال ﴿ وما يدريك ﴾ فإنه لم يعلمه) . باب (فضل ليلة القدر) (٢/ ٧٠٨) .

(٤) سورة عبس : ٣

(٥) سورة الأحزاب : ٦٣ .

(٦) قال ابن حجر : (ومقصود ابن عيينة، أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر، وقد =

الدنيا، حتى أعلمه الله تعالى بوقت الساعة، وبكل ما أخفي عنه، مما يمكـن البشر علمه[1].

وأما التسوية بين علمه، وعلم الله تعالى، فكفر[2]،كما وضح في محله .

أقول : الظاهر أن مراد سفيان إعلام الله تعالى في ذلـك الـسياق نفـسه كما هنا، وكما في آية القارعة[3]، وآية وما أدراك ما الحطمة[4]، وما أدراك مـا العقبة[5]، وما أدراك ما يوم الدين[6]ونحوها، فلا يرد البحث إن قلـت يـرد وما أدراك ما الحاقة، فإنه لم يعلم بها في نفس السياق .

قلت : قوله ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾[7] إعـلام بهـا بأنهـا [8]التـي

= تعقب هذا الحصر بقوله تعالى (لعله يزكى) فإنها نزلت في ابن أم مكتوم، وقد علم صلى الله عليه وسلم بحاله وأنه ممن تزكى ونفعته الذكرى) فتح الباري (٤/ ٢٥٥).

(١) وكلامه هذا مخالف لحديث جبريل المشهور وهو بعد حجة الوداع، وفيه نفى صلى الله عليه وسلم علمه بقيام الساعة، لما سأله جبريل متى الساعة ؟ قال : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، فهذا الحديث ينفي احتمال أن يكون علمها النبي صلى الله عليه وسلم بعد سؤال جبريل عنها .

(٢) في حاشية "ج" (مطلب التسوية بين علمه تعالى وعلم النبي عليه السلام كفر).

(٣) القارعة : ٣ قوله تعالى (وما أدراك ما القارعة).

(٤) الهمزة : ٥.

(٥) البلد : ١٢.

(٦) الانفطار : ١٧.

(٧)سورة الحاقة : ٤ .

(٨) في "ب"(لأنها).

تقرع القلوب .

وقد قال المفسرون : أنه إظهار في موضع الإضمار لبيان وصفها، ولما تم استطراد طائفة من المكذبين بها بينت بقوله[(١)] تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾[(٢)] الخ .

﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾[(٣)]

أورد[(٤)] أن هذه المدة لابد فيها من ليالي قدر، فيلزم تفضيل الشيء على نفسه، وغيره .

وأجيب : بأن المراد ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، ولا مورد للسؤال من أصله، إلا لو كان المراد ألف شهر من مُدَدِ هذه الأمة، وليس بلازم إلا إن يكون هذا مراد المجيب، أي التفضيل على مطلق العدد في ذاته .

---

(١) في "أ" (بين في قوله).

(٢) سورة الحاقة : ١٣.

(٣) في حاشية "و" (قوله خير من ألف شهر، أي العمل الصالح فيها من صلاة وتسبيح وغيرهما، إن قلت من المعلوم أن الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة، فكيف يقبل استواؤهما، فضلا عن خيرية التي في ليلة على التي في ألف شهر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجرك على قدر نصبك،وأجيب بأن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الفضل، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل لى صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، مع أن صلاة الجماعة قد تنقص عن المنفرد، فإن المسبوق قد ينقص عنه بعض الأركان، بخلاف صلاة المنفرد، فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصورة أكثر ثواباً من الطاعة الكثيرة . اهـ الجمل) انظر الفتوحات (٤/٥٦٦) .

(٤) في "ب" (وأورد).

والألف : قيل المقصود منها مطلق الكثرة، وقيل أخبر صلى الله عليه وسلم بإسرائيلي[1] عَبَدَ الله، أو جاهد هذه المدة، وهي ثلاث وثمانون سنة وثلث، فكأنه استقصر أعمار أمته، فأعطي ليلة القدر، فهي من خصائص هذه الأمة[2].

ولا يقال لابد من تقدير الأمور لغير هذه الأمة، أيضا لأنا نقول اللازم المشترك التقدير الأزلي، وأما إظهار تلك الشؤون في الملأ الأعلى على الوجه المخصوص، فلا مانع فيه من الخصوص .

وقيل حكمة تخصيص العدد : أنه صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية[3] في صورة قردة، تثب على منبره الشريف، في بعض مرائيه المنامية، التي عبرت له[4]، فكأنه تأسف على مدة ملكهم، وهي هذه القدر، فأعطي ليلة القدر جبر لذلك، ذكره السيوطي[5] في

---

(١) روى الطبري عن مجاهد قال : (كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية ليلة القدر خير من ألف شهر، قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.) انظر تفسيره (٣٠/ ٢٥٩).

(٢) في حاشية "ج" (مطلب ليلة القدر من خصائص هذه الأمة).

(٣) في حواشي "ج"، "د" (إلا عثمان وعمر بن عبدالعزيز ونحوهما رضي الله عنهما، مؤلفه).

(٤) في حواشي "ج"، "د" (قوله عبرت بالتخفيف وهو الأفصح إن كنتم للرؤيا تعبرون، وبالتشديد أي فسرت بأن بعض من يخلف يجوز في حكمه، تقرير مؤلفه).

(٥) السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الشافعي، جلال الدين، صاحب المؤلفات النافعة أشهرها تفسيره المعروف بالدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإتقان في =

الدر المنثور[(١)] وغيره[(٢)].

وتفضيلها لما[(٣)] احتوت عليه من مضاعفة ثواب الحسنات، وإجابة

= علوم القرآن، توفي سنة ٩١١هـ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب (٨/ ٥١) ؛ البدر الطالع (١/ ٣٢٨) ؛ معجم المؤلفين (٢/ ٨٢) .

(١) قال السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٩) : أخرجه الترمذي وضعفه وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب باب (ومن سورة القدر) حديث رقم (٣٣٥٠) (٥/ ٤٤٤) وفيه قال الحسن بن علي " .. فإن النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فنزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ يا محمد يعني نهرا في الجنة، ونزلت ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ يملكها بنو أمية يا محمد" قال القاسم :فعددناها فإذا هي ألف يوم لا يزيد يوم ولا ينقص، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه، حديث رقم (٤٧٩٦) (٣/ ١٨٦) وقال : هذا إسناد صحيح ؛ والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٦٠)؛ والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٥٧)

قال ابن كثير : " ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سبق لذم دولة بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم، لا يدل على ذم أيامهم، فإن ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تمدح لتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث ..." انظر تفسيره (٤/ ٥٣١) .

قال الطاهر ابن عاشور :(هو مختل المعنى وسمات الوضع لائحة عليه وهو من وضع أهل النحل المخالفة للجماعة، فالاحتجاج به لا يليق أن يصدر مثله عن الحسن مع فرط علمه وفطنته، وأيَّة ملازمة بين ما زعموه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وبين دفع الحسن التأنيب عن نفسه، ولا شك أن هذا الخبر من وضع دُعاة العباسيين ...الخ) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٠).

(٣) في "د"، "و" (ممّا).

الدعوات، وكثرة النفحات والتجليات، ونزول الرحمات، وغير ذلك مما فضل بعضه أو كله بعدد[1]، وإن تساوت حقائق الأزمنة والأمكنة، لكن يفضل الله ما شاء بما شاء .

وقد اختلف في المفاضلة بينها وبين ليلة الإسراء، فإن هذه شرفت بنزول الكلام، وليلة الإسراء رأى فيها المتكلم جل جلاله[2]، حتى قال بعضهم ليلة الإسراء أفضل في حقه، وليلة القدر أفضل في حق أمته[3].

---

(١) جاء في النسخة الأصل وفي بقية النسخ (بعد)، وأثبت ما جاء في نسخة "أ" (بعدد) لأنها أنسب للمعنى .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٥) : (وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة المسلمين .) وقال في موضع آخر (٦/ ٥٠٩) : (وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل،كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال:"نور أنّى أراه" .

(٣) ذكر الآلوسي في تفسيره (١٥/ ٧) عن الجمهور أفضل الليالي ليلة القدر مطلقاً، وقيل هي أفضل بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى أمته عليه الصلاة والسلام، ورد بأن ما كان أفضل بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم فهو أفضل بالنسبة إلى أمته عليه الصلاة والسلام، فهي أفضل مطلقاً،نعم لم يشرع التعبد فيها والتعبد في ليلة القدر مشروع إلى يوم القيامة والله تعالى أعلم.

وكـذا الخلاف بين الليلتين، وبين ليلة مولده الشريف[١]، فانه مبدأ كل فضل، ومظهر كل تشريف .

قال بعض المحققين : وعلى تقـدير تفـضيل إحـدى الليلتـين عـلى ليلـة القـدر، فمعنـاه[٢] تفـضيل خـصوص تلـك الليلـة التـي ولـد فيهـا بعينهـا، وخصوص تلك الليلة التي أسري فيها، أما نظيرتها من كل عام فليلة القدر أفضل، فلا ثمرة في ذلك باعتبار الحرص على الأعمال، وإنما هو مجرد معرفة قدر واعتقاد لا حرج فيه إن شاء الله تعالى .

﴿ تَنَزَّلُ ﴾ أصله تتنزل، قال في الخلاصة (الألفية) [٣]:

---

(١) يحتفل الصوفية وأتباعهم بما يسمى بالمولد النبوي، والاحتفال بالمولد النبوي ليس لـه أصـل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في سنة خلفائه الراشدين، فهـو مـن محـدثات الأمـور ومن البدع المضلة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٩): (.. وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً.. من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً . مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص..).

(٢) في "ب" (معناه).

(٣) ما بين القوسين سقط من "ب".

والخلاصة : هي منظومة تقع في نحو ألف بيت من الرجز، أودع فيها ابن مالك خلاصة الكافية الشافية من نحو وتصريف، وقام بشرحها كثير من العلماء منهم : الأشموني وابن هشام =

وما بتاءين[1]ابتدي قد يقتصر ..فيه على تاكتبّين العبر[2].

والبزي[3] راوي[4] ابن كثير من السبعة، يشددّ بإدغام التاء في التاء إذا وصله بما قبله، فيلزم التقاء الساكنين مع تنوين شهر[5].

ويجري قول صاحب حرز الأماني :

وإدغام حرف قبله صح ساكن ..عسيرٌ[6]وبالإخفاءِ طَبَّق مَفْصِلاَ، [7]

أي إخفاء السكون حتى كان هناك حركة خفية[8].

= والمرادي وابن عقيل .

(١) في الأصل وبقية النسخ (بتاين) وأثبت ما جاء "أ" (بتائين) كما وردت في الألفية ..

(٢) البيت موجود في ألفية ابن مالك :

وما بتاءين ابتُدِي قد يُقتصر فيه على تاكَبَّن العِبَرَ

انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤/ ٢٥١) .

(٣) البزي : هو أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، فارسي الأصل من أهل همذان، أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي، وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير، كان إماماً في القراءة محققاً ضابطاً لها ثقة فيها، انتهيت إليه مشيخة الإقراء بمكة، توفي سنة ٢٥٠هـ . انظر ترجمته في : النشر (١/ ١٢١) ؛ إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢١) ..

(٤) في "أ" (والبزي راي وابن كثير).

(٥) قال أبو عمرو الداني في حديثه عن تاءات البزي : " البزي يشدد التاء التي في أول الأفعال المستقبلية في حال الوصل في إحدى وثلاثين موضعاً " وذكر منها (وفي القدر) (من ألف شهر تتنزل) انظر التيسير في القراءات السبع ص ٨٣ .

(٦) في "أ"(عسر).

(٧) انظر حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للشاطبي ص ٣٣ .

(٨) في "أ"، "و" (خفيفة).

﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ جمع ملك، والتاء فيه لتأنيث الجمع، وإذا حذفت امتنع صرفه، وبه يلغز.

فيقال: كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها، وأصل ملك ملاك[1].

قال الشهاب في تفسيره سورة البقرة[2]: وقد ورد على الأصل قول الشاعر:

وليست لانسيّ ولكن لِملاك .. تنزل من جوّ السماء فصوبا[3]

واختلف في وزنه، فقال ابن كيسان[4]: فعأل، فالهمزة زائدة، ومادته تدل على الملك والقوة والتمكن.

وقيل: مفعل[5]من لاكه أرسله، كما في القاموس[6].

---

(١) في "ج" (ملأك).

(٢) قال الشهاب " ولا خلاف في أن الأصل في قوله: وليست لانسيّ ولكن لملأك .. تنزل من جو السماء يصوب، وإنما الخلاف في وزنه، فقال ابن كيسان: وزنه فعأل والهمزة زائدة وهو من م ل ك، ومادته تدل على القوة." انظر حاشيته (٢/ ١١٩).

(٣) في حاشية "ج" (قوله وليست لانسي الذي رأيته في الشهاب:

ولست لانسيّ ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب) وانظر حاشية الشهاب (٢(١١٩).

(٤) ابن كيسان: علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان النحوي، لقب بالكسائي لأنه أحرم في كساء، وكان إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بالقراءة، وللإمام الكسائي راويان هما: أبو الحارث والدوري، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر ترجمته في: النشر (١/ ١٧٢)؛ إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٨).

(٥) في "أ" (مفعول).

(٦) قال في القاموس:(" الملأك والملأكة: الرسالة، والملأك :الملك لأنه يبلغ عن الله تعالى، وزنه: =

وقيل مقلوب من الألوكة، وهي الرسالة .

﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ قيل جبريل[١]، فهو عطف خاص لشرفه[٢]، وقيل ملك آخر عظيم الخلقة[٣]، وقيل نوع مخصوص منهم[٤]، وقيل خلق آخر غير الملائكة[٥]، وقيل أرواح بني آدم، وقيل عيسى ينزل مع الملائكة[٦]، وقيل القرآن[٧]. قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾[٨]، إلى غير ذلك .

= مَفْعَلٌ ." باب الكاف، فصل اللام."

(١) قاله سعيد بن جبير . انظر الماوردي (٦/ ٣١٣) .

(٢)قال الرازي (٣٢/ ٣٣):"والأصح أن الروح هاهنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفه والروح في كفه."

(٣) قال الرازي (٣٢/ ٣٣) : "ذكروا في الروح أقوالاً أحدها أنه ملك عظيم لو ألتقم السموات والأرض كان ذلك لقمة واحدة " .

(٤) قال مقاتل : " أنهم أشرف الملائكة وأقربهم إلى الله ". الماوردي (٦/ ٣١٣) .

وقال الرازي (٣٢/ ٣٣):" طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد ".

(٥) قال الماوردي في أحد الأقوال : " أنهم جند من جند الله من غير الملائكة رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً " (٦/ ٣١٣) . وقال الرازي (٣٢/ ٣٣): " خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس ولعلهم خدم أهل الجنة . "

(٦) قال الرازي (٣٢/ ٣٣) : "يحتمل أنه عيسى عليه السلام لأنه اسمه ثم إنه ينزل في مواقفة الملائكة ليطلع على أمة محمد . "

(٧) قال الرازي (٣٢/ ٣٣) : " .. وخامسها القرآن (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)"

في حواشي "ج"، "د" (قوله وقيل القرآن فينزلون بصحفه في مواكبهم تشريفاً لها، ويمكن أنه حكاية للحال الماضية كالتأكيد لأول السورة، مؤلفه).

(٨) الشورى : ٥٢.

﴿ فِيهَا ﴾ فتفتح فيها أبواب السماء للتنزل كما ورد، وبذلك يتحدث الناس عنها مما يرى بعض ذلك وتسطع الأنوار، ويحصل تجل عظيم، حتى قيل تعذب المياه الملحة في البحار، ويطلع الله من شاء ويحجب من شاء .

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ قد تعرضنا في شرح رسالة البسملة لتصريف كلمة رب، وما يتعلق بها[١].

﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ قرئ شاذا من كل امرئ[٢]أي من أجل شأن كل إنسان وما قدر له[٣].

---

(١) قال الأمير في شرح رسالة البسملة والحمدلة للصبان : ("رب" رب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه، الجمع أربابٌ ورُبوبٌ، وإذا دخلت عليه ال اختص بالله تعالى، وقد يخفف وقد تبدل باءه الأخيرة يا كراهة لثقل التضعيف قالوا : لا وربيك، أي لا أفعل وربك، والاسم الرِبابة بالكسر، والربوبية أفاد ذلك في القاموس . وما يقال أنه بمعنى التربية أطلق عليه مبالغة ..، واشتهر احتمال أن أصله رابب حذفت ألفه تخفيفاً، فيكون اسم فاعل أو رَبب فيكون صفة مشبهة، وأدغم على كل، وهذا يقتضي الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة في الزِنة ..الخ كلامه) (ورقة ٤/ ب) محفوظة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم (١٣٠٥) .

(٢) في "ب" (امرءٍ).

(٣) قال الزمخشري : (من كل امرئ) أي من أجل كل إنسان .

وقال الطبري : " عن ابن عباس أنه كان يقرأ من كل امرئ سلام، وهذه القراءة من قرأ بها وجه معنى كل امرئ من كل ملك كان معناه، عنده تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم، من ملك يسلم على المؤمنين والمؤمنات، ولا أرى القراءة بها جائزة لإجماع الحجة من القراء على خلافها، وأنها خلاف لما في مصاحف المسلمين، وذلك أنه ليس في مصحف من مصاحف المسلمين في قوله أمر ياء، وإذا قرئت من كل امرئ لحقتها همزة تصير في الخط ياء ." (٣/ ٢٦٠).

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ أي ذات سلامة من الآفات لا يقدر فيها إلا الخير[1] .

والتوقف بأنه يقع فيها آفات لابد من تقديرها مردود بما علمت أن التقدير اللازم العام أزلي، والمراد هنا إظهار المقادير في مواكب الملأ الأعلى .

وجاز تخصيصه بأنواع النعم والخيرات وبدائع التفضل وعظائم النفحات، ويحتمل ربط هي بما بعده وربط سلام بما قبله، أو يقدر له .

وقيل المراد سلام الملائكة على المؤمنين في زيارتهم إياهم واستغفارهم لهم تداركا لقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [2]لما بين الله لهم من كمالات[3]المؤمنين ما لا يعلمون[4].

﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ قرأ الكسائي من السبعة بكسر اللام، والباقون يفتحونها[5]، وفخمها منهم ورش[1]، وما بعد حتى داخل حكما

(١) قاله مجاهد (إن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر، ولا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان) الماوردي (٦/ ٣١٤).

(٢) البقرة : ٣٠.

(٣) في "ب" (جمالات).

(٤) في "ب" (يفعلون).

(٥) قال السمرقندي : " قرأ الكسائي (حتى مطلع الفجر) بكسر اللام والباقون بنصب اللام، فمن قرأ بالكسر جعله اسما لوقت الطلوع، ومن قرأ بالنصب جعله مصدرا، يعني طلع طلوعاً ومطلعاً " انظر بحر العلوم (٣/ ٥٧٨) .

واختار الثعلبي قراءة كسر اللام بعد عزوها إلى يحي بن وثاب والأعمش والكسائي وخلف وغيرهم وقال : " وهو الاختيار لأن المطلع بفتح اللام بمعنى الطلوع يقال طلعت الشمس =

فيما قبلها.

فقد ورد كما في الدر المنثور أن يومها في الفضل كليلتها، وأن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر، وتكون صافية نقية[٢]، ولا ينافيه تصفيد الشياطين في رمضان كما توهم، إذ قد تطلع بين قرنيه وهو مصفد على تسليم عموم التصفيد على حقيقته .

وقد ورد من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات، كان كمن أدرك ليلة

= طلوعا ومطلعا، فأما المطلع بكسر اللام فإنه موضع الطلوع ولا معنى للاسم في هذا الموضع إنما هو لمعنى المصدر والله أعلم " .

(١) ورش : عثمان بن سعيد بن عبدالله المصري ويكنى بأبي سعيد، و(ورش) لقب به لشدة بياضه، وكان جيد القراءة حسن الصوت، رحل إلى المدينة المنورة ليقرأ على نافع، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، وللإمام ورش طريقان يقرأ بهما وهما : الأزرق والأصبهاني، توفي سنة ١٩٧ هـ . انظر ترجمته في : النشر (١/ ١١٣) ؛ إتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٠) .

(٢) الذي ورد في الدر المنثور (٨/ ٥٨١) (عن ابن مسعود رضي الله عنه في ليلة القدر تحروها لإحدى عشرة بقين صبيحتها يوم بدر، لتسع بقين، ولسبع بقين، فإن الشمس تطلع كل يوم بين قرني الشيطان إلا صبيحة ليلة القدر فإنها تطلع ليس لها شعاع) وعزاه لمحمد ابن نصر؛ ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ (تحروا ليلة القدر لسبع تبقى، تحروها لتسع تبقى، تحروها لإحدى عشرة تبقى صبيحة بدر، فإن الشمس تطلع كل يوم بين قرني الشيطان إلا صبيحة بدر فإنها تطلع بيضاء ليس لها شعاع) حديث رقم (٨٦٧١) (٢/ ٢٥٠) .

القدر[1].

فينبغي الإتيان بذلك كل ليلة .

ونسأل الله تعالى من فضله[2]العفو والعافية فإنه عفو كريم يحب العفو آمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم (تسليما وسلام على المرسلين) [3]والحمد لله رب العالمين[4].

تم وكمل بحمد الله وعونه، والله أعلم.

---

(١) رواه الدولابي في الكنى والأسماء رقم (٩٢٤)، (٢/ ٥٠٩) عن الزهري مرسلا ؛ وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال (٢/ ١٠٠) إلى الدولابي وابن عساكر عن الزهري مرسلا .

(٢) في "أ"، "ج" زيادة (وكرمه).

(٣) ما بين القوسين سقط من "أ"، "ج"، "د".

(٤) في "و" (والصلاة والسلام على أشرف المرسلين آمين).

فهرس المراجع

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر . لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق : أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٩هـ١٩٩٨م، الطبعة الأولى .
- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تقديم وتعليق : الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ)، تحقيق : علي محمد البجادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبدالبر (٤٦٣هـ)، تحقيق : علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق وتعليق، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض .
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (٧٤٩ه)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، طبعة ١٤٠٣ه، بيروت ـ لبنان .

- شرح النبتيتي على معراج الغيطي وهي باسم (إرشاد الحائرين لشرح بهجة السامعين) للشيخ علي بن عبدالقادر النبتيتي، دار الكتب المصرية، رقم الميكروفيلم (٣٣٩١٥) .
- الأعلام . خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م
- أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر، للدكتور عبدالله الغفيلي، مجلة البحوث الإسلامية، مجلد ٧٩ص ١٢٦ـ١٢٨
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . لإسماعيل بن باشا بن محمد البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان .
- البداية والنهاية . للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق : أحمد أبو ملحم و علي نجيب عطوي وآخرون، دار الكتب العمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- البدر الطالع .للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) مكتبة ابن تيمية .
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (٧٤٩ه)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل

إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان .

- البيان في عد آي القرآن، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، منشورات مركز التراث والوثائق بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للشيخ عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .
- التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، المطبعة الرسمية، تونس .
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٧٩١هـ)، دار الفكر، بيروت .
- تفسير التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر .
- تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت .
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم .لأبي الليث نصر بن محمد بن

أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥هـ)، تحقيق وتعليق : السيخ محمد علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م

- تفسير القرآن العظيم .للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق : سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
- تفسير المعوذتين . للإمام محمد بن محمد الأمير الكبير، مخطوطة، عدد أوراقها (١٧ق)، محفوظة بمركز الماجد للثقافة والفنون برقم (٢٣١٩١٣).
- التقريب التهذيب . للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تقديم ودراسة : محمد عدامة، دار الرشيد، حلب ـ سوريا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
- تهذيب الأسماء واللغات . للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .
- تهذيب التهذيب . للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
- التيسير في القراءات السبع . للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الداني (٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية،

بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

- جامع البيان في تأويل القرآن .لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ .
- الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- الجرح والتعديل . للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م .
- حاشية الأمير على شرح الشيخ الإمام عبدالسلام على الجوهرة في علم الكلام، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده .
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع . للقاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي (٥٩٠هـ)، دار الكتاب النفيس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مكتبة ابن تيمية .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر .لعبد الرزاق البيطار، تحقيق محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي – دمشق، ١٣٨٣ هـ .
- الخطط التوفيقية ، لعلي باشا مبارك، محفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٢٧٥١٢١) .

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .لتقي الدين داود المحبي (١١١٠هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور . للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة . لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ .
- الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعاً ودراسة، للدكتور محمد العواجي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات . لأبي الهدى محمد الباقر الكتاني، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٤م،.
- زاد المسير في علم التفسير .لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ .
- السبعة في القراءات . لأبي بكر أحمد بن موسى العباس بن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- سنن أبي داود . للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر .

- سنن ابن ماجة . للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث .
- سنن الترمذي . للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان .
- السنن الكبرى .للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : د.عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
- سير أعلام النبلاء .للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة السابعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت .
- شذرات الذهب . لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث، مصر، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .

- شرح رسالة البسملة والحمدلة للصبان، للعلامة محمد بن محمد الأمير الكبير السنباوي الأزهري، دار الكتب الوطنية بتونس رقم (١٣٠٥) .
- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- صحيح البخاري .للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، د. مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم .للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- صفة الصفوة . للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ)، دار الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته . لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
- الضوء اللامع لأهل القرن السابع . لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان .
- طبقات الأولياء . لأبي حفص سراج الدين ابن الملقن (٨٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
- طبقات الحفاظ . للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٩١١هـ)، تحقيق : علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

- طبقات الشافعية الكبرى .للإمام تاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية .
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار. للشّيخ عبد الرّحمن الجبرتي، دار الجيل – بيروت .
- عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، للإمام محمد بن السيد السنوسي، طبع بمطبعة جريدة الإسلام بمصر، سنة ١٣١٦هـ.
- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، طبعة مصر سنة ١٢٨٣هـ
- غاية النهاية في طبقات القراء . لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ)، عنى بنشره : ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م .
- الفتوحات الإلهية، لسليمان بن عمر العجيلي، المشهور بالجمل

(١٢٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان .

- فضائل القرآن . لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م .
- فضائل القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (٢٩٤هـ)، تحقيق : غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي . لمحمد الحجوي ، المكتبة العلميّة ـ المدينة المنورة .
- فهارس الأزهرية، جامع الأزهر، مكتبة المشيخة الأزهرية .
- فهرس الخزانة التيمورية، المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٣٢٧٠١٩).
- فهرس دار الكتب المصرية، (باب خلق).
- فهرس الفهارس . لعبد الحيّ الكتاني، عناية إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ .
- فهرس الكتب التركية الموجودة بالكتبخانة الخديوية (فهرست الخديوية)، محفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٥١٠٢٧٨) .
- الفوائد الرجالية . المعروف برجال السيد بحر العلوم . لمحمد مهدى بن المرتضى، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م ، دار الزهراء، بيروت.
- فوات الوفيات . لمحمد بن شاكر الكبتي (٧٦٤هـ) تحقيق : د. إحسان

عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان .

- القـاموس المحـيط. لمجـد الـدين محمَّـد بـن يعقـوب الفيروزآبـادي (٨١٧هـ)، القاهرة، مؤسسة الحلبي.
- ـ الكشاف عن حقوق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويـل .لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخـوارزمي (٥٨٣هـ)، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان .
- كشف الخفـاء ومزيـل الإلبـاس عـما اشـتهر مـن الأحاديـث عـلى ألـسنة النـاس، لإسـماعيل بـن محمـد العجلـوني الجراحـي (١١٦٢ه) مكتبـة القدسي، طبعة ١٣٥١ه، القاهرة .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي .
- الكـشف والبيـان . لأبي إسـحاق أحمـد بـن أحمـد بـن إبـراهيم الثعلبـي (٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .
- الكنى والأسماء . لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الـدولابي (٣١٠هـ)، تحقيق : أبـو قتيبـة نظـر محمـد الفـارابي، دار ابـن حـزم، بـيروت ـ لبنـان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .
- كنز الجوهر تاريخ الأزهر . لسليمان رصد الزياتي الحنفي، طبعة هندية، ١٣٢٠هـ .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . لعلاء الدين علي المتقي بن حسام

الدين الهندي البرهان فوري (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة . لنجم الدين الغزي، الناشر : محمد أمين دمج، بيروت ـ لبنان
- لباب التأويل في معاني التنزيل، المسمى : تفسير الخازن . لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه : عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
- لسان العرب .لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، دار الفكر، دار صادر، بيروت .
- لسان الميزان . للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، دار العربية، بيروت ـ لبنان .
- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز .لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر

ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

- المستدرك على الصحيحين .للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .
- المسند .للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، إشراف : د. سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
- مشكاة المصابيح . لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- مصنف ابن أبي شيبة . للإمام أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- المصنف . للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
- المطول على شرح تلخيص مفتاح العلوم . لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢هـ)، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،

بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

- المعجم الكبير .للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم،الموصل، الطبعة الثانية .
- معجم المطبوعات العربية . لجمعه يوسف سركيس، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦ هـ .
- معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة .
- معجم المؤلفين .لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت ـ لبنان .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . لجمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر – بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥ .
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير .لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .
- مفتاح السعادة . لطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ه)، دار الكتاب العربي، طبعة ١٤١٧هـ.

- منهاج السنة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبدالرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- نزول القرآن الكريم، للدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد ين سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- النشر في القراءات العشر . لأبي محمد محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجاري الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه : د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
- النكت والعيون، تفسير الماوردي .لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت ـ لبنان .

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج . لأحمد بابا التنبكتي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٩هـ
- هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٩٥٥م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه : د. إحسان عباس، دار الثقافة : بيروت ـ لبنان .

أهمية القراءات القرآنية في المعاجم
- تهذيب اللغة للأزهري - أنموذجا -

إعـداد

ابن عبدالله واسيني

ابن عبدالله واسيني

- أستاذ مساعد (صنف ب) بجامعة محمد بوضياف، ولاية المسيلة، الجزائر.
- حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص (قرآن كريم ودراسات أدبية) من جامعة أبي بكر بلقايد – ولاية تلمسان – الجزائر.

تمهيد

تمثل المعاجم العربية مصدراً هاماً للباحث في الدراسات اللغوية والأدبية، ولا سيما بعد أن ظهرت تلك المعاجم الكبرى كالعين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري،ومعجم الصحاح للجوهري، ومعجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، ومعجم القاموس المحيط للفيروز أبادي...

وقد شملت هذه المعاجم كثيراً من شؤون الحياة العربية لغوياً وأدبياً وفكرياً وتاريخياً وما إلى ذلك، بالإضافة إلى الهدف الأساسي وهو جمع ألفاظ اللغة وتحديد صيغها ومعانيها وما يَعْرِض لها أحياناً من اختلاف بين لهجات القبائل، أو اختلاف بين آراء أهل اللغة، أو ما أشبه ذلك، وقد اعتمد أصحاب هذه المعاجم على القرآن الكريم وقراءاته وعلى كلام العرب شعرا ونثرا وعلى الحديث النبوي الشريف، كما سنبينه في هذا البحث.

المبحث الأول: ترجمة موجزة لأحمد أبي منصور الأزهري.

يعدّ الأزهري[١] -رحمه الله- من مشاهير العلماء البارزين في اللغة والفقه والدراسات القرآنية، وبحكم أنه قدّم في مجال الدراسات اللغوية عملا متميزا عُدّ من أمهات كتب اللغة العربية ومن أوثق معاجمها ومن أغزرها مادة وأكثرها استيعابا، فلا غرابة أن نجد الأقلام تتهافت على الكتابة عن حياته والترجمة له[٢].

وقد تنوعت الكتب التي ترجمت لأبي منصور الأزهري بين المطوَّل فيه والمقصر، وسأقتصر على بعضها.

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد الأئمة الكبار في لغة العرب وآدابهم"[٣]. والأزهري نسبة إلى جده الأزهري، والهروي نسبة إلى هراة[٤]حيث ولد بها، والشافعي

---

(١) ينظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- لبنان- بيروت -دار صادر-ط:١- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١- د.ت-ج:٤ -ص:٣٣٥. وياقوت الحموي- معجم البلدان- لبنان-بيروت- دار صادر- ط:٢- ١٣١٦هـ-١٨٩٥م -ج:٥- ص:٣٩٦/ ٣٩٧. وابن كثير- البداية و النهاية- لبنان- بيروت- دار المعارف- ط:٢- ١٤٢٦هـ١٩٩٥م-ج:١١- ص:١٤٩/ ١٥٩. وتاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو- مصر- القاهرة- مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط:١- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م- ج:٣ - ج:٦٣.

(٢) أبو منصور الأزهري- تهذيب اللغة - تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار- مصر- القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط:١- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. -ج:١- ص:٥/ ١٦.

(٣) المصدر نفسه -ج:١- ص:٥.

(٤) - هراة - بالفتح- مدينة عظيمة مشهورة، من أمهات مدن خراسان، يقول ياقوت الحموي: =

نسبة إلى مذهبه الفقهي[1].

وُلد الأزهري سنةَ اثنتين وثمانين ومائتين من الهجرة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، بإحدى مدن خراسان التي شهدت قدرا من النشاط العلمي في القرن الرابع، ولا شك أن هذا الجوَّ ترك الأثر على شخصية أبي منصور الأزهري وعلى أمثاله من أهل هذه المدينة ممن عُرفوا بالجد والمثابرة في التحصيل العلمي[2].

وقد أقام الأزهري صدر حياته في مدينة هراة، وسمع بها من الحسين بن إدريس (ت٣٠١هـ) وطائفة من علمائها، ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، وبرز فيه، إلا أنه تحوّل بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعده على ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم[3].

وللأزهري قدم راسخة في علوم الدين واللغة، وكان فقيهاً شافعيَ

= "ولم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أكثر أهلاً منها وقد أصابتها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها وذلك في سنة ٦١٨ ونسب إليها خلق من الأئمة والعلماء، منهم الحسين بن إدريس بن المبارك أحد مشهوري المحدثين بهراة وكان من الثقات"- ياقوت الحموي- معجم البلدان – ج:٥- ص:٣٩٦/ ٣٩٧.

(١) ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج:٣ – ص:٦٣.

(٢) ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:٤ – ص:٣٣٥.

(٣) ينظر: ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج:٨ – ص:١٤٧. وابن كثير– البداية و النهاية- ج:١١- ص:١٤٩/ ١٥٩. والأزهري- تهذيب اللغة- تقديم: د.أحمد عبد الرحمن مخيمر- لبنان- بيروت – دار الكتب العلمية- ط:١-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م- ج:١ – ص: ٥.

المذهب- كما أشرتُ في البداية- لكنه غلب عليه الاشتهار باللغة بسبب معجمه الكبير تهذيب اللغة، فقد كان "جامعاً لشتات اللغة، مطَّلعاً على أسرارها ودقائقها"[١]، قال عنه تاج الدين السبكي:" كان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه، عرّافاً بالمذهب الشافعي، عالي الإسناد، ثخين الورع، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ الشافعي، متحرياً في دينه"[٢] ووصفه الذهبي بالعلاّمة، ثم قال عنه:" وكان رأسا في اللغة والفقه ثقة ثبتا دينا"[٣].

والأزهري أيضا عالم في التفسير؛ إذ ألّف كتابا في التفسير سمّاه" التقريب في التفسير"، كما أنه ضمّن مُعجمَه العديدَ من أقوال المفسِّرين عند ذكره شواهد القرآن الكريم وقراءاته المختلفة أو عند شرحه لمادة معجمه الغزيرة، وهذا يشهد برسوخه في علوم الشريعة والدين واللغة، بل يُصرّح بذلك في المقدمة بقوله:" وكتابي هذا، وإن لم يكن جامعاً لمعاني التنزيل وألفاظ السنن كلّها، فإنه يَحُوز جملاً من فوائدها ونُكتاً من غريبها ومعانيها غير خارج فيها عن مذاهب المفسِّرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويّين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدّين والاستقامة"[٤].

---

(١) ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:٤ – ص:٣٣٥.

(٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج: ٣- ص: ٦٤.

(٣) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- سير أعلام النبلاء- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة – ط:٢- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م- ج:١٦- ص:٣١٥/ ٣١٧.ج:١٦- ص:٣١٦.

(٤) الأزهري- تهذيب اللغة- ج: ١- ص: ٧.

أما مذهبه العقدي، فإن الأزهري سلفي العقيدة، يتّبع منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والأدلة على ذلك كثيرة من معجمه التهذيب، منها قوله في باب (وحد):" وأما قول الناس توحَّد الله بالأمْرِ وتفرّد فإنه وإن كان صحيحاً في العربية فإني لا أُحِبُّ أن أَلْفِظَ بلفْظٍ في صفة الله لم يصِفْ به نَفْسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد ولا المتفرد في صفاته، وإنما تَنْتَهي في صفات الله إلى ما وصف به نفسه، ولا تجاوزه إلى غيره لجوازه في العربية، تعالى الله عن التمثيل والتشبيه علوّاً كبيراً"[1].

فهذا دليل على ما ذكرتُ على عقيدته، إضافة إلى ما ألّفه الدكتور"علي بن نفيع العليان" حول عقيدة الأزهري؛ حيث ألف كتابا سماه "عقيدة الإمام الأزهري صاحب تهذيب اللغة" وقد أفاض حفظه الله في هذه المسألة غاية الإفاضة، وبيّن غاية الإبانة لمن شاء الرجوع إلى كتابه السابق.

وقد ترك لنا الأزهري كُتباً ومؤلفات علمية كثيرة تشهد بتفوّقه وعلمه ورسوخه في العلم منها[2]: تهذيب اللغة، وكتاب الأدوات، والتقريب في التفسير، وتفسير أسماء الله -عز وجل- وتفسير إصلاح المنطق لابن السكيت، وتفسير السبع الطوال، وتفسير شعر أبى تمام، والحيض، وتفسير شواهد غريب الحديث لأبى عبيد، والرد على الليث، وعلل القراءات، وكتاب الروح وما ورد فيها من القرآن والسنة.

أما وفاته، فيكاد المؤرخون يجتمعون على أن وافته كانت بهراة سنة

(١) المصدر نفسه - باب (صدق) ج: ٨ - ص: ٣٥٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة – الأزهري- تقديم عبد السلام هارون –ج:١- ص: ١٣/ ١٥.

سبعين وثلاثمائة (٣٧٠هـ) في ربيع الآخر منها، وقيل في أواخرها، وقيل سنة إحدى وسبعين(٣٧١هـ)حيث يذكرون أنه توفي فجأة دون مرض[1].

فرحمة الله تعالى على هذا العلَم الذي ترك عِلْما يخلّدُ اسمَه في الآخِرين، وينالُ به الرحمةَ والمغفرةَ عند ربِّ العالمين، آمين.

(١) ينظر: عبد الحي بن أحمد الحنبلي- شذرات الذهب- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط و محمد الأرنؤوط- سوريا –دمشق- دار بن كثير- ط:١- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥-ج:٣ - ص:٧٢. و الذهبي- سير أعلام النبلاء –ج: ١٦- ص:٣١٦.

المبحث الثاني :القراءات القرآنية في المعاجم.

المطلب الأول :تعريف المعجم.

لغة:

العَجَمُ ضد العَرَبُ، والأعْجَم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء بيّنة العُجمة والعجماء البهيمة؛ لأنها لا تتكلم(1). وفي الحديث عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ**»(2) أي: هدر لا شيء عليها إن أتلفت شيئاً بالنهار أو الليل دون تفريط من مالكها(3).

والعجماء: كل صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، ولذلك سميت صلاتا

---

(1) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(عجم)-ح:1- ص: 390. محمّد بن محمّد الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان- بيروت –دار صادر- ط:1- 1306هـ1885م- باب (عجم)-ج:1- ص:7811.

(2) رواه: مالك في الموطأ في باب جامع العقل- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي- ط.ط- د.ت- كتاب الحدود-باب جامع العقل-ج: 2- ص:869. ومسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي-د.ط-د.ت- كتاب الحدود-باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار-ج: 3- ص: 1334. والعجماء بالمد هي كل الحيوان سوى الآدمي وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم والجبار بضم الجيم وتخفيف الباء الهدر. ينظر النووي- شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان- بيروت –دار إحياء التراث العربي-ط:3- 1392هـ/ 1972م- ج: 11- ص:225. أبو عمر يوسف ابن عبد البر- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق: محمد الفلاح – ط:1- 1400هـ/ 1980م –ج: 7 – ص:19.

(3) ينظر: ابن حجر – فتح الباري- تحقيق: محب الدين الخطيب – لبنان – بيروت –دار المعرفة- د.ط- د ت- ج: 19- ص: 367- و الباجي- المنتقى – ج:4 – ص: 48

الظهر والعصر بالعجماوين، ويقال للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم. قال امرؤ القيس:

صَـمَّ صَـدَاهَا وَعَـفَا رَسْمُهَا ⁂ واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَـائِلِ

والعُجمة معظم الرمل وأشده تراكماً، سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه[(١)].

من ذلك كله يتضح لنا أن مادة(ع ج م) تدل على الإبهام والغموض وخلاف الإيضاح. ولكنا وجدنا اللغويين يقولون تعجيم الكتاب تنقيطُه كي تستبين عجمته وتتضح، وعلى ذلك فمعنى قولنا أعجمت الكتاب أوضحته وبينته[(٢)].

وقد يتخيل القارئ أن هناك تناقضًا بين المعجم بمعنى الإبهام الكامن في الاستعمالات الأولى، وبين المعجم بمعنى الإيضاح، ولكن بالتأمل لا نرى هناك تناقضًا، وذلك أن الهمزة من (أعجم) إنما هي للإزالة والسلب، كما يقول ابن جني أبو عثمان ابن جني:" إن قولهم أعجمت على وزن أفعلت، والهمزة فيه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات

---

(١) ينظر: أبو عثمان ابن جني – الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م – ج: ٣ – ص:٧٥.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين- تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي- لبنان – بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات- ط:١- ١٤٠٨/ ١٩٨٨م- باب العين والجيم والميم معهما- فصل (عجم)-ج:١ ص:٢٣٧- ٢٣٨. وابن منظور- لسان العرب- لبنان – بيروت- دار إحياء التراث العربي- ط:١- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م – باب (عجم)-ج:١٢ – ص: ٣٨٥.

والإيجاب، نحو أكرمت زيداً أي أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه أي أثبت له الإحسان، فقد تأتي الهمزة أيضاً يراد بها السلب والنفي، مثل أشكيت زيداً، أي زلت له عما يشكوه"[1].

من ذلك نستنتج أن مادة *عجم* تدل على الإبهام والإخفاء، إلا أن كلمة معجم مشتقة من الفعل "أعجم" المزيد بالهمزة، فأصبح معنى "أعجم" أزال العُجْمة والإبهام.

ومن ذلك قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ سورة طه- الآية:١٥**. أي: أكاد أظهرها[2].

وعلى هذا الأساس يكون قولنا أعجمت الكتاب معناه أزلت منه استعجامه،كما كان **﴿أخفيها﴾** أزيل عنها خفاءها. ونظيره أيضاً أشكلت الكتاب إذا أزلت عنه إشكاله[3].

اصطلاحا:

المعجم اصطلاحا كتاب يضم كلمات لغة ما، كلّها أو جلّها، مرتبة ترتيباً خاصاً مشروحة بما يزيل خفاءها وإبهامها، ومضبوطة ضبطاً يبين حركاتها وحروفها مقرونة بما يوضح صيغها، واشتقاقاتها، وكيفية نطقها. أو هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، مشروحة

---

(١) أبو عثمان ابن جني – سر صناعة الإعراب– تحقيق: د .حسن هنداوي – سوريا– دمشق– دار القلم– ط:١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م -ج: ١– ص: ٣٧.

(٢) ينظر : أبو محمود الزمخشري – الكشاف– ج: ٣ – ص: ٥٨.

(٣) أبو عثمان ابن جني– سر صناعة الإعراب– ج: ١– ص: ٣٩/ ٤٠.

شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده.

أو هو كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع.

والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها[١].

بعدما عرفنا معنى المعجم في اللغة والاصطلاح، أشير هنا إلي أن هناك مصطلحاً آخر اشتهر بين الناس وهو القاموس، ويعنون به المعجم سواء أكان خاصاً باللغة العربية، أم بأي لغة أجنبية، أم كان مزدوج اللغة.

ومعنى كلمة القاموس: أبعد موضع غوراً في البحر[٢].

وكلمة القاموس هذه صارت مرادفة لمصطلح المعجم بسبب تسمية مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي معجمه بـ: القاموس المحيط، وكأنه- رحمه الله - أراد أن يصف معجمه بالغزارة لما اشتمل عليه من مادة علمية، اعتبرها هو رصينة، يتضح لنا ذلك من قوله في مقدمته: " ... وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات منَّ الله تعالى بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة...

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار- مقدمة الصحاح - ص٣٨.

(٢) الأزهري -تهذيب اللغة ـ مادة (قمس)- ج: ٨- ص: ٣٢٣.

وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم"[1].

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن القاموس المحيط الذي عنون به الفيروز آبادي معجمه، وصفٌ لهذا المعجم بأنه بحر واسع أو عميق، كما نسمي بعض كتبنا الشامل، أو الكامل، أو الوافي أو نحو ذلك.

(١) – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – القاموس المحيط – ج: ١ – ص: ٣.

المطلب الثاني: مناهج المعاجم:

اختلفت مناهج اللغويين في إيراد أبواب المعجم؛ فمنهم من اختار جمع المواد حسب الألفاظ مرتبا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع المواد حسب الموضوعات مبوبا لها حسب المعاني، وقد اختلفت طرق الترتيب لدى الطائفتين؛ فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف[١]، أو على الحروف الهجائية ناظرة إلى الحرف الأول للفظة[٢] أو الحرف الأخير لها وتجعله بابا والحرف الأول فصلا[٣]، وذهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب[٤]، والاستشهاد بكل منها أو لبعضها أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ وشرحها.

فيمكن أن نستنتج أن للعلماء منهجين في ترتيب معاجمهم:

المنهج الأول: حسب المعاني

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى معانيها؛ فيجمعون الكلمات التي تتعلّق بموضوع واحد في موضعٍ واحد؛ بحيث تكون تلك الكلمات المرتبطة بتلك العلاقة اللغوية مجموعةً في رسالة واحدة، وتُسمّى هذه المؤلفات التي تشتمل على هذه المفردات معاجم المعاني أو معاجم

---

(١) من ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٢) كمعجم المقاييس لابن فارس.

(٣) كالصحاح للجوهري.

(٤) كمعجم النخل والنخيل للأصمعي.

الموضوعات.

المنهج الثاني: حسب الألفاظ

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى ألفاظها، فتُرتّب الألفاظ اللغوية على ترتيبٍ معيّنٍ ينظر إلى الحروف التي تتكوّن منها، سواءً كان الترتيب مبنيّاً على الحرف الأول فالثاني، أم على الحرف الأخير فالأول، أم على أقصى حروف الكلمة مخرجاً ثمّ الذي يليه.

والمعجم الذي بين أيدينا ينتمي إلى المنهج الثاني أي مدرسة التقلبات الصوتية؛ فصاحبنا الأزهري -رحمه الله- اعتمد المنهج الصوتي وسار في طريقة التقلبات أي تقليب الحروف المكونة للباب.

المطلب الثالث: أهمية المعاجم.

كان الهدف العام من تأليف المعاجم العربية خاصّةً وكتب اللغة عموما هو حراسةُ القرآن الكريم من أن يقتحمه لحن في النطق أو خطأ في الفهم، وحمايةُ اللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانةُ هذه الثروة اللغوية والأدبية من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية اضمحلالها وما ينشأ عن ذلك من الجهل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول الأزهري في هذا الصدد:" فعلينا أن نجتهدَ في تعلُّم ما يُتوصَّل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ثم السُّنن المبيِّنة لجمل التنزيل الموضّحة للتأويل لتنتفيَ عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزَّيْغ والإلحاد ثم على رءوس ذوي الأهواء والبِدَع الذين تأوَّلوا بآرائهم المدخولة، فأخطئوا وتكلَّموا في كتاب الله -جلّ وعزّ- بلكنتهم العجميّةِ دونَ معرفة ثاقبة فضلُّوا وأضلُّوا"[1]

لذلك شمر كثير من العلماء و المفسرين واللغويين ومن بينهم أئمة اللسان وأصحاب المعاجم لذلك، وكتبوا فيه الدواوين وألفوا فيه الكتب، وقامت كل طائفة بفن من فنونه؛ فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه

(١) - الأزهري - تهذيب اللغة-ج:١ - ص :٤.

وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته وغير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، فسمّوا القرّاء، واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به...[١].

ولعلّ ابن منظور صاحب المعجم المشهور، لسان العرب، كان موفّقا عندما ذكر أهمية معجمه بقوله في مقدمته:" وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسَّكُ بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم..." ويوضِّح غرضه من هذا العمل اللغوي الضخم فيقول: "فإنِّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبوية..." إلى أن يقول: "وذلك لما رأيتهُ في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتَّى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعَدُّ لحنًا مردودًا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجُمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية"[٢].

يظهر كلام ابن منظور أنه جعل الهدف من تأليفه المعجم هو حفظ أصول اللغة العربية وحمايتها من اللحن.

---

(١) جلال الدين السيوطي– الإتقان غي علوم القرآن– تحقيق: سعيد المندوب– لبنان– بيروت– دار الفكر– ط:١– ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص: ٧٢٧.

(٢) ابن منظور– لسان العرب– ج:١ –ص: ١٢– ١٣.

ويمكن أن نستنتج أهمية المعاجم وفوائدها كما يلي:

- ✓ معرفة الضبط الصحيح للكلمة بحركاتها وتصريفاتها.
- ✓ الكشف عن معاني المفردات الغريبة والغامضة.
- ✓ معرفة أصل اللفظ، واشتقاقاته.
- ✓ التعرّف على جميع دلالات اللفظ الواحد أو الألفاظ التي لها أكثر من دلالة فيجعلنا نتعرف على بعض الظواهر اللغوية، مثل: الاشتراك اللفظي والأضداد...
- ✓ معرفة الألفاظ الفصيحة، وتمييزها عن الألفاظ العامية.
- ✓ معرفة تاريخ اللفظ وتطور دلالاته، واستعمالاته.
- ✓ معرفة الألفاظ والكلمات القديمة التي هجرها الاستعمال.
- ✓ معرفة معنى الكلمة وهي مفردة، ومعناها في السياق مع مثيلاتها من الكلمات.
- ✓ معرفة بعض الشواهد اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية وكذلك الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية وأصحابها.
- ✓ جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون، وذلك بإطلاق أسماء على المخترعات الجديدة من مخزون اللغة اللفظي؛ مثل: كلمة حاسوب وكلمة مذياع، وكلمة هاتف، وطابعة وغيرها من الألفاظ الجديدة.
- ✓ المحافظة على سلامة اللغة وحمايتها من الاندثار.

وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المعجميّ اتّسع بمختلف أشكاله في اللغة العربية في عصرنا الحاضر؛ فاتّسع على مستوى فردي، بجهود علماء ولغويِّين ومتخصّصين أمثال المنجد والمعجم والقاموس، وعلى مستوى المؤسسات في الأقطار العربية، مثل مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، والهيئات العلمية، والجامعات، وعلى مستوى قومي، مثل المنظمات العربية المتخصّصة، والاتحادات المهنية العربية.

وكل هذه المعاجم والهيئات والمؤسسات العلمية هدفها خدمة القرّاء وأعني بهم الطلاب والكتّاب والأساتذة والمحامين والصحفيين والخطباء والوعاظ وأمثالهم، وبعبارة أخرى أولئك الذين يستخدمون اللغة في الكلام والكتابة، ويَمُدُّهم بمعلومات لغوية عن الكلمات والتعبيرات وعن معانيها واستعمالاتها ومجالاتها، وكذا التفريق بين صحيحها وخطئها وأفصحها...

كما أن الحاجة ماسة إلى استخدام المعجم في كل مراحل الدراسة؛ فالتلميذ الصغير تقابله كلمات صعبة كثيرة يقف أمامها حائرا، والمدرسُ كثيرا ما تصادفه كلمات غريبة تحتاج إلي البحث والكشف عن مدلولاتها المختلفة، وإن تحديد مفهوم الكلمة يساعد علي وضوح الفكرة المتضمنة في العبارة، ويؤدي ذلك إلى الفهم العلمي السليم الذي يدفع بالمعرفة خطوات إلي الأمام.

المبحث الثالث:

أهمية القراءات القرآنية في المعاجم وموقف العلماء منها:

لقد وصل إلينا القرآن الكريم بعيداً عن أيّ زيغ أو تحريف، ومن هذا المنظور كان لزاماً على علماء اللغة والمعاجم والنّحو الحفاظ عليه من أيّ لحنٍ قد يأتيه من أولئك الذين اعتنقوا الإسلام من غير العرب، أو ممَّن كان لاحتكاكهم بالشّعوب الأخرى أثر في لغتهم، فأصاب لسانهم لكنةٌ أبعدتهم عن الفصاحة.

ويجب ألاَّ ننسى أنَّ القرآن الكريم أحد السبل الرئيسية للبحث في لغة العرب نثرها وشعرها؛ لتكون معينة على فهمه وتفسيره، فهو من هذه الجهة دافع إلى البحث في اللغة، ومن جهة ثانية يُعدُّ وسيلة من وسائل حفظ اللغة، فقراءاته تعدّ وسيلة الاحتجاج التي يعتمدها النّحاة واللغويون في ضبط اللغة وتقعيدها؛ حيث إنّ الكثير من القرَّاء أسّسوا قواعد اللغة العربية على ما جاء في القرآن، ولا عجب في ذلك فجلهمّ من النحاة؛ "فمن البصريين: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى ابن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن الكوفيين: علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفرّاء"[1].

أضف إلى ذلك أن هناك صلةً قويّة بين القراءات القرآنية بأوجهها

---

(١) د. مهدي المخزومي- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط٣- ١٩٨٦م- ص: ٣٨٢.

المتعـدّدة، وبـين الدراسـات المعجميـة واللغويـة، النحويـة منهـا والـصرفية والبلاغية؛ حيث إنّ اللغـة هـي الـسبيل القويمـة إلى فهـم كتـاب الله تعـالى، ومعرفة دقائقه وخوافيه التي لا يَعْقِلُهَا إلاّ العلماء الذين اتجهوا إلى المحافظة على لغة القرآن الكريم بقراءاتـه المختلفـة ومـا لهـما مـن تـراث؛ فـشرعوا في وضع العلوم اللغوية والأدبية خدمة لهما، فكان علم النحو، وعلم الصرف وعلوم اللغة الأخرى، لتقويم اللسان و ضـبط اللغـة ومـا يَعْـرِض لهـا مـن أخطاء، ولا سيما أن العربية جعلت تحتكّ بلغة الأعاجم بعد الفتح، وأخـذ يتسرّب إلى بعض الناطقين بها شيء من عوارض اللّحن، فجمعوا مفرداتها وتعبيراتها من ألسنة البدو، وجمعوا الشعر من رُواته، وأنشأوا علومَ النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير[1].

فاهتمام العلماء بوضع العلوم جعلهم يهتمون بجمع اللـغة لاسـتنباط القـواعد منها، وجمع اللغـة دعـا إلى جمـع القـرآن الكـريم بقراءاتـه القرآنيـة المختلفـة-المتـواترة منهـا والـشاذة- والحـديث الـشريف وكـلام العـرب المستشهد بهم ليتاح لعـالم اللغـة والأدب أن يـستند في قواعـده عـلى شـاهد ثابت موثّق.

وإذا كـان المحققـون مـن الفقهـاء والقـراء والأصـوليين ينظـرون إلى

(١) ينظر: الجاحظ- البيان والتبيين لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م-ج:١- ص: ٩٩. وجلال الدين السيوطي- المزهر في علوم اللغـة والأدب- تحقيـق: محمد علي منصور- دار الكتب العلمية- لبنـان- ط:١- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م- ج: ٢ - ص: ٣٤١.

القراءات القرآنية باعتبارها وسيلة تعبُّد، وطريق تقرُّب إلى الله -تعالى- وشرطًا من شروط صحة الصلاة، ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل، فإن أصحاب المعاجم واللغويين نظروا إليها نظرة مغايرة؛ لأن هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنما هي مجرّد إثبات حكم لغوي أو بلاغي، ولذا فقد وضعوا شرطًا واحدًا- كما ذكرنا سابقا- لصحّة الاستدلال اللغوي بالقراءة، وهو صحّة نقلها عن القارئ الثقة حتى ولو كان فردًا، سواء رُويت القراءة بطريق التواتر، أو الآحاد، وسواء كانت سبعية، أو عشرية، أو أكثر من ذلك[1].

والقراءة من زاوية الاستشهاد اللغوي تعدّ نصًّا عربيّا رواه أو قرأ به مَن يوثق في عربيته، ولهذا فهي- حتى على فرض اختلاف العلماء في صحّة التعبّد والصلاة بها- تحقق الشرط اللغوي، وهو النقل عن العربي الثقة، حتى ولو كان فردًا.

كما أن جوهر الاختلاف بين العلماء يتمثّل في اختلاف موقفهم في الاستشهاد بالصيغ والتراكيب والصرف والنحو، فأما المعجم فكان يعتمد على المعنى، وهو غير موضع للنزاع عند العلماء، لأن ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع يُسْتَشْهَدُ عليها حتى بغير الموثوق بفصاحتهم، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره، يقول صاحب خزانة الأدب:" علوم

(١) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار. ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:١-١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م-ج:١ -ص: ٣٢.

الأدب ستة: اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والثلاثة الأُوَلُ لا يُستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة، فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل"[1].

ويقول ابن جُني في الخصائص عن الاستشهاد بشعر المتنبي: "...فإنَّ المعاني يتناهبها المولَّدون كما يتناهبها المتقدمون"[2]

ويقول أيضاً في المحتسب " فإن المعاني لا يرفعها تقدُّمٌ، ولا يُزْري بها تأخُّرٌ. فأما الألفاظ فلعمري أني هذا الموضع معتبر فيها، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولَّد الآخر أشبه"[3].

فإذا أُخذت المعاني من شعر المولّدين والمحدثين وغيرهم، كما مرّ بنا، فمن باب أولى أخذ القراءات التي تواترت عن رجال، لا يقدح في فصاحتهم ولا علمهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم إلى جبريل عليه السلام ثم إلى رب العزة والجلال.

من ذلك قول الخليل:" وقوله تعالى {**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**}

---

(١) عبد القادر البغدادي - خزانة الأدب- تحقيق: عبد السلام هرون- مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- د.ط- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩-ج:١- ص: ٢٩.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص -ج : ١ - ص: ٢٤.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها -ج :١- ص:٢٣١. وينظر: جلال الدين السيوطي -المزهر في اللغة - ص: ٢٩.

سورة التكوير- الآية : ٢٤. وما هو على الغيب بضنين؛ أي بمكتوم لما أوحي إليه من القرآن، وقرأت عائشة بظنين أي بمتهم"[١].فإنه نسب القراءة لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي من هي في العلم والفصاحة والثقة.

وإذا اعتبرنا أن هذه القراءات القرآنية بمثابة لهجات عربية نزل القرآن بها على سبيل التيسير على الأمة على وجه من وجوه معنى الأحرف السبعة، فإن هذه اللهجات لا يقدح في فصاحتها ولا تبعد من حيز الاستدلال والاستشهاد.

يقول ابنُ جني في الخصائص:" اللغاتُ على اختلافها كلُّها حجة، ألا ترى أن لغةَ الحجاز في إعمال ما، ولغةَ تميم في تَرْكِه، كلٌّ منهما يَقْبلهُ القياس، فليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحقَّ بذلك من الأخرى، لكن غايةُ مَا لَك في ذلك أن تتخيَّر إحداهما فتقوِّيها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبلُ لها، وأشدُّ نسباً بها، فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآنُ بسبع لغاتٍ كلُّها شافٍ كافٍ، هذا إذا كانت اللغتان في القياس سواء، أو متقاربتين، فإن قلّت إحداهما جــدّاً، وكثرت الأخرى جداً أخذتَ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً... فالواجبُ في مثل ذلك استعمالُ ما هو أقوى وأشيع، ومع ذلك لو استعمله إنسان لم يكن مُخْطِئاً لكلام العرب،

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين-باب (ضن)-ج:٧- ص:١٠.

فإن الناطق على قياس لغةٍ من لغات العرب مصيب غير مخطئ، لكنه مخطئ لأجود اللغتين، فإن احتاج لذلك في شعر أو سجع فإنه غير ملوم ولا منكَر عليه"(1).

فإذا كان ردّ لغة على حساب لغة أخرى غير ممكن في الاستدلال - إلا التفضيل- فالقراءات القرآنية لها المزية في عدم ردّ بعضها لمكانتها وقدسيتها، أما القراءة الصحيحة المتواترة فهي قرآن كريم لا يجوز القدح في كلمة منها مهما كان الأمر.

من هذا يتضح لنا جليا أن وجود القراءات القرآنية في المعاجم كان القصد منه الاستدلال بها من كل النواحي اللغوية والمعنوية والبلاغية؛ كإثبات وجود اللفظ في اللغة، أو ضبط نطقه، أو ذكر معناه، وغيرها. على ما سنبينه في ما يلي:

أولا: الناحية اللغوية.

لقد أورد علماء المعاجم القراءات القرآنية للاستشهاد بها من الناحية اللغوية أي للتدليل على صحة المعلومة اللغوية المقدمة في متن المعجم؛ فإذا وردت أي لفظة في قراءة من القراءات فيحكم على صحّتها، وصحّة معناها، على النحو الذي سأبينه في هذه الأمثلة:

✓ **التدليل على صحة المفردة المذكورة في المعجم**؛ كجواز توالي ساكنين في كلمة واحدة، وذلك نحو قراءة نافع لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ

(1)- أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - ج :1- ص: 24.

صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام - الآية : ١٦٢. بتسكين الياء الثانية من محياي[١].

قال ابن سيدا المرسي: "... وأما قول العرب" التقت حلقتا البطان" بغير حذف ألف حلقتا لسكونها وسكون اللام، فإنهم جمعوا فيه بين ساكنين في الوصل غير مدغم أحدهما في الآخر، وعلى هذا قراءة نافع **﴿وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي﴾** بسكون ياء محياي لكنها ملفوظ بها ممدودة، وهذا مع كون الأول منهما حرف مدّ"[٢].

فقد استدل ابن سيدا على جواز توالي الساكنين بقراءة نافع، وهي قراءة متواترة.

الاستدلال **على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف؛** فإن ذلك وإن عدّه بعض العلماء سمجًا في الشعر، وأنه يتسامح فيه للضرورة الشعرية، فإن ورود القراءة القرآنية بهذا يُبعد القول بسماجته، والقراءة الدالة على ذلك قوله تبارك تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ﴾ سورة الأنعام - الآية : ١٣٧**. برفع قتلُ على أنه نائب فاعل، ونصب أولادهم على المفعولية، وجر

---

(١) أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة- تحقيق : بدر الدين قهواجي و بشير حويجاتي- دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا- ط:١- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م -ج: ٣ -ص: ٤٤٠ . وينظر: أبو الفتح عثمان بن جني- الخصائص- ص: ٢٧.

(٢) أبو الحسن بن سيدا المرسي- المحكم والمحيط الأعظم- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- لبنان- بيروت-دار الكتب العلمية-ط:١-١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م-باب (حلق)-ج:٣- ص:٧. وينظر: ابن منظور- لسان العرب-باب(حلق)-ج:١٠- ص: ٦٣.

شركائِهم بالإضافة إلى قتل وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، وهذه قراءة ابن عامر أحد القراء السبعة[١].

وقد عارض بعض النحاة هذه القراءة، وبعض المفسرين أمثال الزمخشري الذي ردّ هذه القراءة حيث قال في الكشاف، متابعاً النحاة:" وأما قراءة ابن عامر﴿**قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ**﴾ **سورة الأنعام- الآية: ١٣٧** برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن الكريم المعجز بحسن نظمه وجزالته؟ والذي حمله – أي ابن عامر – على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء، لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم ولوجد في ذلك مندوحة عن هذا الانكباب[٢].

وقد فصّل القرطبي تفصيلا تاما ورائعا في الوقت نفسه في تفسير هذه الآية الكريمة بعدما ذَكَر القراءات الأربع لها[٣]، أعرضتُ عن ذلك صفحا مخافة التطوال، ومخافة الخروج عن الموضوع الذي نحن بصدد معالجته.

---

(١) أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة ج:٣ – ص:٤١٠.

(٢) الزمخشري- الكشاف- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- لبنان -بيروت– دار إحياء التراث العربي –د.ط–د.ت–ج:٢ – ص: ٥٤.

(٣) ينظر: محمد أبو عبد الله القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان- بيروت–دار إحياء التراث العربي–ط:١–١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م–ج:٧– ص:٩١–٩٣.

ثانيا: الناحية المعنوية.

كثيراً ما كان اختلاف وجوه القراءة يؤدّي إلى اختلاف وجهات النظر في معاني اللفظ القرآني، وفق الوجه المختار، فمن القرّاء من وافق اختياره معنى اللفظ وأبقى عليه، ومنهم من خالف اختياره معنى اللفظ ووجه إلى معنى آخر غير الأول، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

✓ اختلاف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾ **سورة الإسراء- الآية :١٠٦**. فقرأتُهُ عامة قرّاء الأمصار فَرَقْنَاه بتخفيف الراء بمعنى أحكمناه وفصّلناه وبينّاه. وذكر عن ابن عباس أنّه كان يقرؤه بتشديد الراء ﴿**فرّقناه**﴾، بمعنى نزّلناه شيئاً بعد شيء، آية بعد آية.

قال محمّد بن محمّد الزَّبيدي في معجمه" تاج العروس" في هذه الآية":﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ**﴾ أي فصّلْناه وأحْكَمْناه وبيّنّا فيه الأحكامَ هذا على قِراءَةِ من خفّف، ومن شدّد قال معناهُ أنزلْناه مُفرَّقاً في أيّامٍ"[(١)].

قال الطبري:" وأولى القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليه الحُجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن"[(٢)].

---

(١) محمّد بن محمّد الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان- بيروت – دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م- باب (عجم)-ج:١- ص:٧٨١١.

(٢) الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن –- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١- ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م–ج:١٥ – ص :١٧٨.

اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى في سورة الكهف في قصة ذي القرنين:﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**﴾ **سورة الكهف- الآية :٩٦**. فمن قرأه بالمدّ آتوني جعله من الإعطاء، ومَنْ قرأه أْتُوني جعله من المجيء، والوجه أن يكون ها هنا من الإعطاء؛ لأنه لو أراد المجيء، لأتى معه بالباء، كما قال تعالى:﴿ **وَأْتُوني بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِيْن**﴾ **سورة يوسف- الآية :٩٣**.

إن اختلاف القرّاء في قراءة هذه الحروف وأشباهها، دفع أصحاب المعاجم إلى التماس معاني المفردات لدعم الوجه المختار، وتوجيهه، وتوضيحه، ممّا أدى بهم إلى أن يُسْهِموا في شرحِ مفرداتِ عدد غيرِ قليلٍ من مفردات القرآن.

من هنا يمكن القول أن القراءات القرآنية قد أدلت بحظ وافر في مجال التأليف المعجمي واللغوي وفي الغرض الرئيسي للمعاجم لما لها من أهمية في كثرة الألفاظ والعبارات وتنوع المعاني والدلالات.

وكتطبيق لما سبق رأيت من زيادة التوضيح أن أتطرق لأهمية القراءات في معجم تهذيب اللغة.

المبحث الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

بعد تتبعنا للقراءات القرآنية الموجودة في متن معجم تهذيب اللغة للأزهري -رحمه الله- ظهر لنا بجلاء ووضوح المكانة العلمية للكتاب من ناحية، والعصر الزاهر الذي عاش فيه المؤلف من ناحية أخرى، وكان هذا الزمن غنيا بكتب القراءات وتوجيهاتها وأصحابها، فلم تكن، القراءات في هذا الزمن، مضطربة وقليلة بالنحو الذي عُرِف وشاع فيما قبل، فلم يكن

بعيدا عن زمن ابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات في القرن الرابع الهجري، ومن علماء القراءات الذين سبقوه أو المعاصرين له الذين عاش معهم وأخذ عنهم أمثال: أبي عمرو بن العلاء،وأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، وقد ذكرهم الأزهري في مقدمة كتابه[١].

والذي يبدو من تصفح المعاجم اللفظيّة القديمة هو أنّ أصحابها لم يكن بينهم خلاف في الاحتجاج بالقرآن ولا بقراءاته المتعددة، ومن هنا رأينا المعاجم اللفظيّة تحفل بهذين المصدرين، ويعدّ تهذيب اللغة من أبرز معاجم الألفاظ في هذا الجانب، فقد اعتنى بالشواهد القرآنية، والقراءات القرآنية عناية فائقة؛ ولا غرابة في ذلك فقد ربط الأزهريّ خاصّةً وعلماء المعاجم واللغة عامّة بين فهم اللغة ومعرفة الكتاب العظيم والسنة الشريفة، يقول الأزهريّ:" نزل القرآن الكريم والمخاطبون به عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع، أنزله -جل ذكره- بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلّمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه يفهمها"[٢].

ومما يبرز قيمة القراءات القرآنية في معجم الأزهري بعض الأمور

---

(١) ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج: ١ - ص: ١٨

(٢) المصدر نفسه- ج: ١ - ص: ٣/ ٤.

أجملها في ما يلي:

أولا: لكم الهائل من القراءات القرآنية التي تكاد توجد في كل باب من أبواب كتابه، فلا تجد في فصل من فصوله إلاّ واستشهد بوجه من وجوه القراءات أو شرح قراءة أو بيّن قاعدة نحوية أو صرفية.

فنجده في باب(جمع) يذكر الأزهري أكثر من ثلاثة شواهد للقراءات القرآنية؛ منها قوله نقلا عن الفراء:"... وإذا أردت كسبَ المال قلت جمَّعت المال كقول الله تعالى:﴿**الَّذِي جَمَّعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ**﴾ **سورة الهمزة- الأية: ٠٢**. وقد يجوز﴿**الَّذِى جَمَعَ**﴾ بالتخفيف"[١].

وقوله في الآية الكريمة:﴿ **فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ**﴾ **سورة يونس- الأية: ٧١**:" ومن قرأ ﴿ **فَاجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ**﴾ بألف موصولة فإنه يعطف ﴿ شركاءكم ﴾ مع ﴿**أمركمْ** ﴾ ويجوز فاجمعوا أمركم على شركائكم"[٢].

وكذلك قوله:" وقال الله جلّ وعزّ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ **سورة الجمعة- الأية:٩**، قال الفراء: خفّفها الأعمش وثقَّلها عاصمٌ، وأهل الحجاز قال وفيها لغة الجُمْعة، وهي لبني عُقيل قال: ولو قرئ بها لكان صواباً، قال والذين قالوا ﴿**الجُمعَةَ**﴾ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنّه يجمع الناس، كما يقال رجلٌ هُمَزة لُمَزة ضُحَكة"[٣].

---

(١) المصدر نفسه -باب (جمع)- ج: ١- ص: ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه -باب (جمع)- ج: ١- ص: ٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه -باب (جمع) الجزء والصفحة

هذا الكم الهائل من شواهد القرءات القرآنية تنبئ على مدى اهتمام الأزهري بالقراءات، حتى أنه في الباب السابق(باب جمع) يجعل أكثر من ورقة من أصل ورقتين يتحدث فيها عن القراءات القرآنية.

ثانيا: تصديره بعض أبواب معجمه بقراءات قرآنية وإبراز دلالاتها، من ذلك باب (عجب)حيث صدرها بقوله:" عجب قال الله جلّ وعزّ: ﴿ **طِينٍ لاَّزِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخُرُونَ** ﴾ **سورة الصافات- الآية: ١٢**. قرأ حمزة والكسائي ﴿ **بل عجبتُ ويسخرون**﴾ بضم التاء، وهكذا قرأ عليّ وابن عباس وقرأ ابن كَثِير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمروبنصب التاء[١].

فصدّر الأزهري هذا الباب بقراءة من القراءات القرآنية، وهذا دليل على الأهمية التي يُولِها لها.

ثالثا: اعتماده على أصحاب القراءات المشهورين وعلماء اللغة الذين كان لهم قدم راسخة في مجال القراءات وتوجيهها من كل النواحي، من ذلك اعتماده على الفراء: وهو أكثر العلماء ذكرا في معجم الأزهري، بل يكاد يذكره في كل استشهاداته إمّا في القراءات القرآنية أو في توجيهها.

أمّا في أخذه القراءاتِ عنه فقول المصنف:" وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهَّ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ **سورة التحريم - الآية**: ٨. قرأها أهل المدينة بفتح النون، وذُكر عن عاصم﴿**نُصوحاً**﴾ بضم النون"[٢].

(١) الأزهري- تهذيب اللغة-باب(عجب)-ج :١ - ص :٢٤٧.

(٢) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(نصح)-ج :٤ - ص :٢٥٠.

فالملاحظ في هذا المثال أن الأزهري -رحمه الله- أخذ القراءة عن الفرّاء وهي فتح النون في نصوحا وهي قراءة أهل المدينة، وضمُها وهي قراءة عاصم.

وأما في توجيه بعض القراءات نجد أن المصنف عندما ذكر قوله تعالى تبارك وتعالى:﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾ **سورة الانفطار- الآية:٧** في مادة (عدل)وجّه القراءات الواردة فيها بقوله:" قال الفراء: من خفف فوجهه- والله أعلم- فصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير. ومن قرأ: فعدّلك فشدد- وهو أعجب الوجهين إلى الفراء وأجودهما في العربية- ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق"[1].

فاعتمد في توجيه هذه القراءة على الفرّاء كما لاحظنا، ومن العلماء الذين كان اعتماده عليهم في ذلك: أبو جعفر النحاس، والكسائي، وثعلب، وأبو الحسن الأخفش، وقطرب وأبو جعفر الزجاج، والمبرد...وغيره، فكان يورد الأزهري أقوال هؤلاء العلماء في ذكره القراءات وتوجيهاتها وشرحها.

والأمثلة كثيرة مبثوثة في كل معجمه. وهذا شيء طيّب يحسب للمصنف؛ إذ أنه بذلك أعطى كتابَه صبغةً علميةً موثقةً بالأدلة.

رابعا: بعض العبارات المبثوثة في المعجم الدالة على أهمية القراءات القرآنية عند أبي منصور الزهري؛ ففي مادة* عثا * عند قوله تعالى:﴿**كُلُوا**

(١) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(عدل)- ج :٢ - ص :٢١٢.

وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة البقرة- الآية: ٦٠.

يقول الأزهري:" القرّاء كلّهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء مِن عَثِى يَعْثى عُثُوّا ... وفيه لغتان أخريان لم يُقرأ بواحدة منهما عثا يعثو مثل سما يسمو، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ ولا تَعْثُوا، بالضم، ولكن القراءة سنَّة، ولا يقرأ إلاّ بما قرأ به القراء..."[1]

ويقول في مادة*صدق*عند قوله تعالى: ﴿**وآتوا النِّساء صَدُقاتهنَّ نِحْلَةً**﴾ سورة النساء الآية: ٠٤. "يجوز صُدَقاتِهنَّ بضم الصاد وفتح الدال ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا يقرأ من هذه اللغات إلا بما قرئ به لأن القراءة سُنَّةٌ"[2].

فالأزهري في هذين المثالين يذكر لغات لفظتي عثا وصدقاتهن من حيث هي لغات العرب، ويبيّن ما جاءت به القراءة القرآنية ويركز على سنيّة القراءة ولا يُجوِّز في القرآن القراءةَ بغير ما قرأ به القرآن.

وإذا وافقت لغة العرب وجوه القراءة أشار إليها وبيّن عدم الفرق بينهما، من ذلك في لفظة كره؛ حيث ذكر فيها وجهين، بفتح الكاف وبضمها، وقال:" ولا أعلم ما بين الأحرف التي ضمها هؤلاء وبين التي فتحوها فرقا في العربية ولا في سنة تتبع"[3].

(١) الأزهري- تهذيب اللغة-باب (عثا) ج: ٣ - ص: ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه - باب (صدق) ج: ٨ - ص: ٣٥٦.

(٣) المصدر نفسه- باب (كره) ج: ٦ - ص: ١٣.

الخاتمة:

بعد التطواف بمباحث هذا المقال يمكن الوصول إلى بعض النتائج أجملها في مايلي:

أولا: إنَّ موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمّة في الدّرس اللغوي العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها بعض القبائل العربي، ولهذا تعدّ مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي والأدبي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه، ولاسيما دارس العربية.

ثانيا: اعتمد الكثير من المؤلفين القدامى في تحليلهم لمادتهم على القرآن الكريم بقراءاته المختلفة، كالمعاجم والتفاسير وكتب النحو والبلاغة وغيرهما، ومنهم الأزهري أبو منصور.

ثالثا: للقراءات القرآنية أثر في المعاجم وكتب اللغة؛ أي لها أثرها في تعدّد المعاني واتساعها.

رابعا: اعتمد الأزهري في استشهاداته على القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة لأنه كان يهتم بإدراج المعاني اللغوية التي تستقى من القراءات.

تلكم إذن أهمية القراءات القرآنية في كلام العرب عموما وفي المعاجم خصوصا، وإن الكم الهائل من وجوه القراءات التي تحويها المعاجم لدليل

قاطع على أن التأيف المعجمي قد تعزّز وقويَ عودُه بتلك القراءا ت القرآنية بكل أنواعها وأقسامها، وسواء أكانت صحيحة أم شاذة، لأن الغرض من تأليف المعاجم هو المساهمة في ازدياد الدلالات، وهذه الأخيرة ليس لها شروط في الأخذ والاستدلال والاستشهاد.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأزهري- تهذيب اللغة - تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار- مصر- القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط:١- ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- الجاحظ- البيان والتبيين- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط-١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- الزمخشري- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- لبنان - بيروت -دار إحياء التراث العربي -د.ط-د.ت.
- السيوطي:الإتقان في علوم القرآن- تحقيق: سعيد المندوب - لبنان- بيروت- دار الفكر -ط:١- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م..
- المزهر في علوم اللغة والأدب-- تحقيق: محمد علي منصور- دار الكتب العلمية- لبنان- ط:١- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- أبو الحسن بن سيدا المرسي- المحكم والمحيط الأعظم- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- لبنان-بيروت-دار الكتب العلمية-ط:١- ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي -شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان - بيروت -دار إحياء التراث العربي - ط:٢- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

- أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة- تحقيق: بدر الدين قهواجي و بشير حويجاتي - دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا- ط:١-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- أبو عمر يوسف ابن عبد البر - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق: محمد الفلاح - ط:١- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ابن جني: - الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- - المحتسب - تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:١- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- - سر صناعة الإعراب- تحقيق: د. حسن هنداوي – سوريا- دمشق- دار القلم- ط:١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن حجر العسقلاني- فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت – دار المعرفة- د.ط- د ت.
- ابن خلكان– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- لبنان- بيروت –دار صادر-ط:١- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١-د.ت.
- ابن كثير– البداية و النهاية- لبنان- بيروت– دار المعارف- ط:٢- ١٤٢٦هـ١٩٩٥م-ج:١١- ص:١٤٩/ ١٥٩.
- ابن منظور-لسان العرب-لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- ط:١- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- تحقيق: د. مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي- لبنان- بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات- ط:١- ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.
- مجمد أبو عبد الله القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي-ط:١-١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م-ج:٧- ص: ٩١-٩٣.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– د.ط- د.ت.
- عبد القادر البغدادي – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق: عبد السلام هرون- مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- د.ط- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مالك بن أنس الأصبحب- الموطأ – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي- ط.ط- د.ت.
- محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١- ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان - بيروت – دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م.
- د.مهدي المخزومي- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط٣- ١٩٨٦م.

بر الوالدين في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

د. حامد بن يعقوب الفريح

د. حامد بن يعقوب الفريح

- عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة الدمام .
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس)..
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (الأماني في تفسير الكلام الرباني للإمام الكوراني من أول الفاتحة إلى آخر آل عمران – دراسة وتحقيق).

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله نبعاً صافياً لا يغور ماؤه، ولا ينضب معينه، والصلاة والسلام على خير من تلقّى القرآن وحفظه وتلاه، وفهمه وعمل بمقتضاه، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالإحسان إلى الوالدين، وجعل طاعتهما والبِرَّ بهما من أفضل الطاعات وأجلّ القربات، ويكفي في ذلك أنّ الله قرن الإحسان إليهما بالأمر بعبادته وتوحيده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الإسراء: ٢٣، ونهى عن عقوقهما وشدّد في ذلك غاية التشديد، وحسبنا في ذلك أنّ القرآن عطف الأمر بالإحسان للوالدين على النهي عن الشرك بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الأنعام: ١٥١ .

ولمّا كان لبِرِّ الوالدين هذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة في دين الإسلام، ونظراً لما يُلحظ من تفريط أو تقصير وخاصة في زماننا هذا في أمر هذه العبادة العظيمة، ولما نرى من ازدياد صور العقوق، وحيث إنّ القرآن الكريم وهو كتاب الهداية، ودستور هذه الأمّة، ومصدر عزّها ورفعتها، قد أولى هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، لذا أحببت أن أعيش في رحابه، استلهم هديه، واستضيء بنوره، وارتوي من معينه الصافي، واستخرج درره

النفيسة، وكنوزه الثمينة، لكي أقطف من جنانه أزهاراً ورياحين، يفوح شذاها، وينتشر عطرها؛ لكي أرسم صوراً جميلة معبرة عن الإحسان إلى الوالدين، فكان هذا البحث الذي هو بعنوان بر الوالدين في القرآن الكريم(دراسة موضوعية) والذي أهدف من خلاله إلى ما يلي:

أولاً: بيان منزلة بِرِّ الوالدين في دين الإسلام من خلال اعتناء القرآن والسنة بهذا الخلق العظيم.

ثانياً: التحذير من خطورة عقوق الوالدين، والعقوبات المترتبة على ذلك في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: إبراز صور البِرِّ والإحسان للوالدين والتي ذكرها القرآن الكريم، من أجل تطبيقها والعمل بها.

رابعاً: عرض الأساليب القرآنية التي تناول فيها القرآن الكريم الحديث عن بر الوالدين، والتي تدلّ على اهتمام القرآن بهذا الخلق الجليل.

وموضوع بر الوالدين من حيث الكتابة فيه موضوع كتب فيه قديماً وحديثاً، ويمكن أن نقسم التصنيف فيه إلى قسمين: دراسات عامة تتعلق ببر الوالدين وهي كثيرة جداً، ومن أمثلتها:

١- بر الوالدين ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده، لأبي بكر الطرطوشي.
٢- بر الوالدين، لأبي الفرج ابن الجوزي.
٣- مختصر بر الوالدين، عبد الرؤوف الحناوي.
٤- من وصايا القرآن الكريم: البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات، أحمد

عبد الغني النحولي.

٥- بر الوالدين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، نظام سكجها.

والقسم الثاني: دراسات قرآنية، وهذا لم أطلع فيه-في حدود بحثي القاصر- إلاّ على دراستين:

١- بر الوالدين في القرآن الكريم(تفسير موضوعي)، للدكتور منظور محمد رمضان، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية(١٤٢٧هـ) وهو بحث ماتع، إلاّ أنّه أفرد الموضوعين الأخيرين وهما: التحذير من عقوق الوالدين، وصور من بر وإحسان السلف، بفصلين مستقلين، إلاّ أنّهما يمكن أن يضمنا في الفصول السابقة، لأنّ الموضوع الأول يشتمل عن أحاديث في الترهيب من العقوق، والثاني يتناول أمثلة ونماذج من بر السلف، فلا حاجة لإفرادهما بمباحث مستقلة.

٢- من معالم الهدي القرآني في بر الوالدين، للدكتور سليمان البيرة، وهو كتاب مطبوع [1]، ذكر فيه المؤلف بعد مقدمة طويلة عن أهمية البر ومكانته وآثاره، ذكر خمسة معالم قرآنية رائعة من الهدي القرآني في بر الوالدين.

هذا وقد سرت في بحث الموضوع وفق المنهج التالي:

أولاً: جمعت الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين أو

(١) وأصل الكتاب كما ذكر المؤلف في المقدمة محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، في مادة التفسير الموضوعي.

أشارت إليه، وقد تجاوز عددها العشرين آية[١]

ثانياً: قمت بدراسة تفسير هذه الآيات من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، وحاولت أن استنبط الأساليب التي وردت في هذه الآيات في الدعوة إلى بر الوالدين، فأذكر الأسلوب ثمّ أورد الآية أو الآيات التي تدلّ عليها، وأبيّن وجه الدلالة في الآية مستعيناً بأقوال أهل التفسير.

ثالثاً: قمت باستخلاص صور بر الوالدين من الآيات القرآنية، واجتهدت أن أضع عنواناً للصورة من لفظ القرآن مثل: الإحسان إليهما، وشكرهما، أو أختار عنواناً يدلّ على المعنى مثل: التواضع ولين الجانب، ثمّ أبيّن المراد بهذه الصورة، واذكر الآيات التي تدلّ عليها، وأوضح ما يحتاج من الألفاظ إلى إيضاح، واستشهد بالأحاديث النبوية في نفس الباب إن وجدت، أو أقوال الصحابة والتابعين في التدليل على المعنى المراد.

رابعاً: جعلت التعليقات والمسائل البلاغية والنحوية واللطائف في الهامش؛ حتى لا أخرج عن الموضوع القرآني.

خامساً: أكتفي في العزو إلى المرجع بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة، واذكر اسم المؤلف إن كان الكتاب غير مشتهر، وباقي المعلومات عن الكتاب اذكرها في نهاية البحث.

سادساً: بالنسبة للأحاديث؛ إن كانت في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما ذكرت من صححه من أهل العلم.

(١) سيأتي ذكر هذه الآيات والحديث عمّا فيها من المعاني التي تتعلق ببر الوالدين في ثنايا الدراسة.

وسوف أجعل البحث ينتظم بإذن الله في تمهيد ومحورين وخاتمة:

التمهيد: ويتضمن الحديث عن معنى بر الوالدين من حيث اللغة والاصطلاح، ومعاني البِرّ في القرآن.

المحور الأول: ويشتمل على ذكر جملة من الأساليب التي وردت في القرآن في الدعوة إلى بِرِّ الوالدين والإحسان إليهما، وهي إجمالاً أربعة أساليب، وتفصيلاً عشرة أساليب.

المحور الثانيّ: ويشتمل على عشر صور من البِرّ والإحسان للوالدين ذكرها القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث،

هذا وأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث كلّ من قرأه أو سمعه، وأن يكتب ذلك في موازين أعمالنا، وأن يجعلنا والمسلمين أجمعين من البارّين بوالديهم، المحسنين إليهم، الملتمسين برضاهم رضا الله، إنّه هو خير مسؤول، وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

البِرُّ لغة:

البِرُّ مصدر مأخوذ من مادّة "ب ر ر" التي يقول عنها ابن فارس: الباء والراء في المضاعف أربعة أصول[1]: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت، فأمّا الصدق فقولهم: صدق فلان وبرَّ، وبرَّت يمينه صدقت، وأبرَّها أمضاها على الصدق، وتقول: برَّ الله حجّك وأبرَّه، وحجَّة مبرورة، أي قُبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم يبرَّ ربّه أي يطيعه، وهو من الصدق، ومن هذا الباب قولهم : هو يبَّر ذا قرابته، وأصله الصدق في المحبة، يقال (في الوصف منه): رجل بَرٌّ وبارٌّ[2]، ويرجع برُّ الوالدين إلى المعنى الأول وهو الصدق، وجمع البَرِّ أبرار وجمع البارِّ بَرَرَة[3]وجاء في الصحاح: البِرُّ خلاف العقوق، وبَرِرْت والدي(بفتح الراء الأولى وكسرها) أَبَرُّه بِرّاً فأنا بَرٌّ به وبارٌّ به، والمضارع منه على وزن يفْعَل عند من يكسر الراء، وعلى وزن يفْعِلُ عند من يفتحها، تقول: قد بَرَّ والده يبَرُّه ويبِرُّه بِرّاً، فيبَرُّ على بَرِرْت ويبِرُّ على برَرِت[4].

والبِرُّ إذا أضيف إلى الوالدين أو إلى ذي القرابة كان معناه ضد العقوق، يقول صاحب اللسان: وهو–أي البِرُّ– في حقهما وحق الأقربين

(١) المقصود أنّ لها أربعة معانٍ أصلية.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس(١:١٧٧).

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٢:٥٨٨)،والقاموس المحيط (١:٦٩٥).

(٤) انظر: الصحاح (٢:٥٨٨)، وانظر أيضا: اللسان(٤:٥٣).

من الأهل ضد العقوق[١].

ومن معاني البِرِّ أيضا: الطاعة، والخير، والصلاح، والصلة، والإكرام، واللطف، وحسن الخلق، والاتساع في الإحسان[٢].

وفي التنزيل ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ الطور: ٢٨، وقد فسّر ابن عباس البرّ باللطيف[٣].

والوالدان: تثنية والد من الولادة لاستبقاء ما يتوقع زواله بظهور صورة منه بخلق صورة نوعه، والمراد بهما الأب والأم، وكلّ منهما يطلق عليه والد، وقيل: الوالد للأب وحده، وثنيّا تغليباً للمذكّر[٤].

البِرُّ بالوالدين اصطلاحاً:

في ضوء المعاني السابقة للفظة"البِرّ" يمكن أن نعرّف بِرّ الوالدين اصطلاحاً بأنّه: الإحسان إلى الوالدين، والتعطّف عليهما، والرفق بهما، والرعاية لأحوالهما، وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما بعد موتهما[٥].

ويمكن بعبارة أخرى أن نقول أنّ برّ الوالدين هو: الصدق في إيصال كلّ ما فيه خير لهما، ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، سواءً كان ذلك في حياتهما

(١) انظر: اللسان (٥٤:٤) وقد عرف ابن منظور العقوق هنا بأنه (الإساءة إليهم والتضييع لحقهم).

(٢) انظر: اللسان (٥١:٤)، القاموس المحيط (٦٩٥:١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(١١٦:١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره(٣٠:٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، وهي طريق صحيحة.

(٤) انظر: فيض القدير للمناوي(١٦٥:١).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم، لمجموعة من المؤلفين(٧٦٧:٣).

أو بعد موتهما.

فقولنا: الصدق، يخرج به ما إذا كان الإحسان لهما من أجل منفعة دنيوية، فهذا لا يسمى بِراً، وإن كان إحساناً.

وقولنا: إيصال كلّ ما فيه خير لهما، يدخل فيه كلّ أنواع الخير ولو كان يسيراً، كالتبسّم في وجهيهما.

وقولنا: ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، يدخل فيه كلّ صور العقوق ولو كان بالإشارة، فليس ذلك من البر.

وقولنا: في حياتهما أو بعد موتهما، شامل لبرهما بعد موتهما من الدعاء لهما وإكرام صديقهما.

هذا وقد وردت لفظة البرِّ – بالكسر – في القرآن الكريم في آيات عديدة، ومن خلال دراسة هذه الآيات، يمكن أن نقول أنّ البر يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: فعل جميع ما أمر الله به من الطاعات الظاهرة والباطنة، كما في قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ البقرة: ١٧٧، وقوله ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ البقرة: ٤٤، وقوله ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ البقرة: ١٨٩، فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى[1]، وقد يجمع بينهما كما في قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: ٢، فيكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان، وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته، أو

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية(٧:١٦٥)، جامع العلوم والحكم(ص٢٣٨).

البر فعل الواجبات، والتقوى اجتناب المحرمات[١]، وقد يكون مسمّى البرّ إذا أطلق هو مسمّى الإيمان، فقد روي أنّ أبا ذر سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فتلا عليه قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[٢].

وقد يفسّر البر بالجنة، وهو قول كثير من أهل التأويل كما قال الطبري[٣]، وهذا باعتبار المآل؛ لأنّ بر الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إيّاه بإدخاله الجنة[٤]، وهو تفسير بالمعنى كما قال ابن عطية[٥].

الثاني: معاملة الخلق بالإحسان إليهم وإيصال الخير لهم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ الممتحنة: ٨، وقوله تعالى ﴿ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾البقرة: ٢٢٤ ، ومنه الإحسان إلى الوالدين كما قال الله في وصف يحيى -عليه السلام- ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ مريم: ١٤.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم(ص٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(١:٢٨٧) وهو منقطع فإنّ مجاهداً لم يدرك أبا ذر كما قال ابن كثير في تفسيره(١:٢٩٦)، لكن يشهد له ما روي عن أبي ذر والحسن بن علي وعطاء أنّهم فسروا البر بالإيمان.انظر: فتاوى ابن تيمية(٧:١٨٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري(٣:٣٤٧) ونسبه لعمرو بن ميمون والسدي، وانظر: زاد المسير(١:٤٢٠) وزاد نسبته لابن عباس ومجاهد، وانظر: تفسير القرطبي(٤:٨٦) وزاد نسبته لابن مسعود وعطاء..

(٤) انظر: تفسير الطبري(٣:٣٤٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز(٣:١٥٧)..

المحور الأول

أساليب القرآن في الدعوة إلى بِرّ الوالدين

لقد تنوّعت أساليب القرآن في الدعوة إلى بر الوالدين وتعددت، وهذا التنوّع يدلّ دلالة واضحة على أهمية هذا الواجب، والمكانة العظيمة التي يحظى بها في دين الإسلام، ومن خلال جمع الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين والنظر فيها نلاحظ التنوّع في أساليب عرض الموضوع، تارة في الأمر به، وأخرى في النهي عن ضدّه، وثالثة في الحثّ عليه، ورابعة في مدح فاعله، وخامسة في جعله من صفات الأنبياء، وهكذا، وإليك بالتفصيل هذه الأساليب التي جاءت في القرآن:

الأسلوب الأول: أسلوب التعظيم:

إنّ من الأساليب التي استخدمها القرآن في الدعوة إلى بر الوالدين أسلوب التعظيم، أي تعظيم شأن بر الوالدين والرفع من قدره، وهذا التعظيم يتضح من خلال الوجوه التالية:

أولاً: اقتران الإحسان للوالدين بعبادة الله وتوحيده:

لا ريب أنّ عبادة الله وتوحيده من أعظم الأعمال، بل إنّ الله – عز وجلّ – لم يخلق الجنّ والإنس إلاّ من أجل عبادته وحده، قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، ولم يرسل الرسل وينزل الكتب إلاّ لتوحيده سبحانه وإفراده بالعبادة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، فحينما تأتي الدعوة إلى بِرّ الوالدين مقرونة بأعظم الأعمال وأجلّها وهو

عبادة الله وتوحيده، فهذا إنّما يدلّ على عظم برّ الوالدين عند الله، ومكانته في دين الله، ويؤكد وجوب الإحسان إليهما.

وقد جاء الأمر ببِرّ الوالدين مقروناً بالأمر بعبادة الله وتوحيده في أربعة مواضع في القرآن، وهي:

١-قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ [1] إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة: ٨٣، وهذه الآية في سياق مجادلة بني إسرائيل وتوقيفهم على مساويهم، وإثبات سوء صنيع الموجودين منهم زمن القرآن[2]، وفيه زيادة تأكيد على الإحسان للوالدين؛ لأنّه ممّا أخذ على بني إسرائيل الميثاق به، فتارك ذلك ناقض للميثاق وفيه شبه بهؤلاء القوم.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ النساء: ٣٦، وهنا اقترن الإحسان للوالدين بالأمر بالعبادة والنهي عن الشرك وهذا أبلغ؛ لأنّ مجموع الجملتين في قوة صيغة الحصر؛ إذ مفاده: اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره فاشتمل على معنى إثبات ونفي[3].

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الأنعام: ١٥١، وهنا لمّا عطف الأمر بالإحسان

---

(١) هذا خبر في معنى الأمر، ومجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر؛ لأنّ الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى إنّه يخبر عنه(التحرير والتنوير١:٥٨٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(١:٥٨٢).

(٣) انظر: المرجع السابق(٥:٤٨).

للوالدين على النهي عن الشرك، وتقدمهما فعل التحريم واشتركا في الدخول تحت حكمه، علم أنّ التحريم راجع إلى ضدّه وهو الإساءة إلى الوالدين[1]، وقد جمع الرسول-صلى الله عليه وسلم- بين الإشراك بالله وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ...الحديث[2].

٤-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣،ومناسبة اقتران برّ الوالدين بإفراد الله بالعبادة من حيث أنّه تعالى هو الموجد حقيقة، والوالدان وساطة في إنشائه، وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه، وهما ساعيان في مصالحه[3].

ثانياً: جعل شكرهما مقروناً بشكر الله:

منزلة الشكر من أعلى منازل العبادة، وهو نصف الإيمان، وقد أمر الله به، ونهى عن ضدّه، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره[4]، وقد قرن الله شكر الوالدين بشكر الله.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ لقمان: ١٤، وهذا الاقتران يدلّ على

---

(١) انظر: البحر المحيط(٧:٣٥)

وإنّما عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناءً بالوالدين؛ لأنّ الله أراد برّهما، والبر إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب. انظر: التحرير والتنوير(٨:١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح(٧:٩٣).

(٣) انظر: الكشاف(٢:٤٨) بتصرف، وانظر أيضاً: التحرير والتنوير(١٥:٦٨).

(٤) انظر: تهذيب مدارج السالكين، لعبدالمنعم صالح العزي(٢:٦٠٩).

أهمية برّ الوالدين، وأن قبول شكر الله مرتبط بشكر الوالدين، قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة إلاّ بقرينتها ....، قال: وأمّا الثالثة، فقوله تعالى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ لقمان: ١٤، فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه[١]، فكما أنّ الإنسان مأمور بشكر الله على نعمه، فهو أيضاً مطالب بشكر الوالدين على تربيتهما له، وعلاجهما فيه ما عالجا من المشقة حتى استحكمت قواه، فالله سائله عمّا كان من شكره لنعمه عليه، وعمّا كان من شكره لوالديه[٢].

ثالثاً: وصف بعض الأنبياء بصفة البر:

الأنبياء أفضل الخلق، وقد أُمر النبيّ محمد_صلى الله عليه وسلّم- بالاقتداء بهم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾الأنعام: ٩٠، وأُمرنا نحن بالتأسّي برسولنا

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: ٢١، لذلك علينا أن نقتدي بكلّ خلق اتّصف به الأنبياء، وقد جاء في القرآن وصف اثنين من الأنبياء بأنّهما كانا بارّين، قال الله في وصف يحيى - عليه السلام - ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، وقال الله على لسان عيسى-عليه السلام- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ مريم: ٣٢، والبَرُّ-بفتح الباء-وصف على وزن المصدر،

(١) انظر: تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي(ص٣٩٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢١:٧٠).

فالوصف به مبالغة، أي: كثير البِرّ والإكرام والتبجيل لوالديه[1]، ولا شك أنّ في كون هذه الصفة من صفات الأنبياء فإنّ ذلك أدعى للنفس أن تهفو للاقتداء بها والتخلّق بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الأسلوب الثاني: أسلوب الأمر والنهي:

من الأساليب التي استخدمها القرآن في الدعوة إلى برّ الوالدين أسلوب الأمر والنهي، والأمر يدلّ على الوجوب كما عند الأصوليين[2]، وقد جاء الأمر ببِرّ الوالدين في القرآن بألفاظ متعددة منها:

-لفظ "وصّى" في ثلاثة مواضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ العنكبوت: ٨،

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ لقمان: ١٤، وقَالَ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ الأحقاف: ١٥، والتوصية العهد المؤكد في الأمر الهام، وفيها التحريض على المأمور به، وهي أبلغ من مطلق الأمر، والتشديد يدلّ على المبالغة والتكثير[3].

-لفظ "قضى" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ الإسراء: ٢٣، وقضى هنا بمعنى أمر وألزم وأوجب عليكم[4]، أي: وقضى

---

(١) انظر: البحر المحيط(٧:٢٤٦)، والتحرير والتنوير(١٦:٧٧).

(٢) انظر: نشر البنود على مراقي السعود، لسيدي عبدالله الشنقيطي(١:١٢١).

(٣) انظر: البحرالمحيط(١:٦٣٣)، والتحرير والتنوير(١:٧٢٧)(٢٠:٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم(سورة البقرة) للشيخ محمد العثيمين(٢:٧٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز(١٠:٢٧٧)، وتفسير القرطبي(١٠:١٥٥).

إحساناً بالوالدين، كما يقتضيه العطف[١].

ولم يقتصر القرآن في الدعوة إلى برّ الوالدين على الأمر به فحسب، بل نهى عن كلّ ما من شأنه أن يحصل منه الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ الإسراء: ٢٣، فيفهم منه النهي ممّا هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى[٢]، ثمّ ارتقى إلى النهي عمّا هو من حيث الوضع أشدّ من"أف" وهو نهرهما، وإن كان النهي الأول يدلّ عليه؛ لأنّه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى بجهة الأولى[٣]، والنهي يدلّ على التحريم، ولذلك يجب على المسلم الابتعاد عمّا حرّم الله من عقوق الوالدين وإن كان بأقلّ الأذى وهو كلمة"أف".

الأسلوب الثالث: أسلوب المدح والذم:

وهذا أيضاً من الأساليب التي وردت في القرآن في الحثّ على هذه العبادة العظيمة، فإنّ من الأمور التي تحفّز المسلم وتدفعه إلى فعل تكليف ما، سماعه لعبارات المدح والثناء التي يُوصف بها من يؤدي هذا التكليف، ولذلك تكرّر هذا الأمر بكثرة في القرآن الكريم[٤].

فقد مدح الله البارّ بوالديه في أكثر من موضع في القرآن، قال الله مادحاً

(١) انظر: التحرير والتنوير(١٥:٦٧).

(٢) انظر: المرجع السابق(١٥:٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

(٤) راجع على سبيل المثال: أوصاف عباد الرحمن في سورة الفرقان، وصفات المؤمنين في سورة المؤمنون..

يحيى عليه السلام﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ مريم: ١٤،وأثنى سبحانه على عيسى عليه السلام، فقال﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ مريم: ٣٢، وقد استخدم الرسول- صلى الله عليه وسلّم-هذا الأسلوب، وذلك حين قال:" يأتي عليكم أويس بن عامر[١]مع أمداد أهل اليمن، له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبرّه"[٢]، وكذلك قوله :"دخلت الجنّة فسمعت فيها قراءةً، فقلت: من هذا"؟ قالوا: حارثة بن النعمان[٣]، فقال رسول الله:" كذلكم البِرّ، كذلكم البِرّ"[٤] ، وكان أبرّ الناس بأمّه.

وكما أنّ القرآن الكريم أثنى على من اتصف بصفة البر، فإنّه ذكر بعض صور عقوق الوالدين بأسلوب الذم من أجل تنفير النفوس المؤمنة من هذا الخلق السيء، وتحبيبها في ما يقابله من الخلق الحسن المتمثل في بر الوالدين، ومن هذه الصور ما ورد في سورة الكهف في قصة موسى مع الخَضِر، حينما بيّن له سبب قتله للغلام، بأنّه أراد أن يبدل أبويه المؤمنين بولد أقرب عطفاً

---

(١) هو سيد التابعين في زمانه، أبو عمرو أويس بن عامر القرني اليماني، الزاهد المشهور، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه من القدوم عليه برّه بأمّه، استشهد مع علي بصفين.انظر: الإصابة في تمييز الصحابة(١١٨:١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦٩:٤).

(٣) هو حارثة بن النعمان بن نفيع بن زيد الأنصاري، شهد بدراً، وأدرك خلافة معاوية ومات فيها بعد أن ذهب بصره. انظر: الإصابة (٣١٢:١).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٢٩:٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر أيضاً: شرح السنة للبغوي(٧:١٣) وقال المحقق: إسناده صحيح.

ورحمة بأن يكون أبرّ بهما وأشفق عليهما[١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ الكهف: ٨١.

وصورة أخرى ذكرها القرآن في معرض الذم، وهي صورة ذلك الكافر المنكر للبعث الذي عقّ والديه المؤمنين وأساء لهما، وذكر ما آل إليه من المصير السيء، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: ١٧ .

وقد استخدم النبيّ-صلى الله عليه وسلّم-هذا الأسلوب في أحاديث كثيرة من أجل تحذير المؤمنين من العقوق، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة-رضي الله عنه-عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال"رغم أنف، ثمّ رغم أنف، ثمّ رغم أنف" قيل: من يا رسول الله؟ قال:"من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة"[٢].

الأسلوب الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب:

إنّ من الأساليب التربوية الجميلة في القرآن الجمع بين الترغيب والترهيب، فإذا ذكر الترغيب في فعل أمر من الأمور غالباً ما يعقبه ذكر

---

(١) انظر: تفسير الرازي(١٣٧:٢١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٧٨:٤)

ومعنى رغم أنفه: ألصق بالرغام، وهو التراب، هذا هو الأصل، ثمّ استعمل في الذل والعجز والانقياد على كره. انظر: النهاية في غريب الحديث(٣٢٨:٢).

الترهيب من تركه، وهكذا بالنسبة لبرّ الوالدين، فكما أنّ القرآن رغّب فيه وذكر الثواب المترتّب على فعله، فهو أيضاً في المقابل حذّر من تركه وذكر العقاب المترتب على التفريط فيه.

ولا شك أنّ من الأمور التي تدفع المسلم للامتثال والاستجابة لأمر الله في الإحسان للوالدين، هو أن يذكر الثواب الذي أعده الله-عزّ وجلّ- لمن برّ والديه وأحسن لهما، وقد ذكر القرآن صورة معبرة لذلك المؤمن الذي لا يفتر عن الإحسان لوالديه حتى في زمن بلوغه الأشدّ، فلا يشغله الدعاء لنفسه ولذريته عن الدعاء لهما والإحسان إليهما بظهر الغيب، فلا جرم أنّ إحسانه إليهما في المواجهة حاصل بفحوى الخطاب[1]، فكان جزاؤه بحساب أحسن الأعمال، والسيئات مغفورة متجاوز عنها، والمآل إلى الجنّة مع أصحابها الأصلاء[2]، فحسن الجزاء من حسن العمل، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن الروح الأمين-عليه السلام-قال: "يؤتى بحسنات العبد وسيئاته، فيقتص بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة" قال: فدخلت على يزداد[3]فحدّث بمثل هذا الحديث، قال: فإن ذهبت الحسنة؟ قال:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ

(١) انظر: التحرير والتنوير(٢٦:٣٢) بتصرف.

(٢) انظر: في ظلال القرآن(٦:٣٢٦٣).

(٣) أزداد، ويقال يزداد ابن فساءة، فارسي يماني، مختلف في صحبته. انظر: تقريب التهذيب (ص٩٧).

ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ الأحقاف: ١٦[١] ، وفي الآية إشارة إلى أنّ الإحسان للوالدين والدعاء لهما من أفضل الأعمال فهو أحسن ما عملوا، وقد تُقبل منهم ما هو أحسن ما عملوا[٢]، وجاء في السنّة ما يؤكد هذا المعنى، وهو أنّ برّ الوالدين من أفضل الأعمال، فقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أي العمل أفضل؟ قال:"الصلاة لوقتها" قال: ثمّ أيّ؟ قال"بر الوالدين"قال: ثمّ أيّ؟ قال:" الجهاد في سبيل الله"[٣] ، وفي رواية أخرى أنّه سئل عن أقرب الأعمال إلى الجنة، وفي رواية ثالثة أنّه سئل عن أحب الأعمال إلى الله، وفي كلّ مرة يجيب بنفس الجواب[٤].

هذا وقد ورد عن النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- أحاديث كثيرة تبيّن ما يناله البارّ بوالديه في الدنيا، وما أعده الله له من الأجر الجزيل والثواب العظيم في الآخرة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: من سرّه أن يُمدّ له في عمره ويُزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه[٥]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد[٦]، ومنها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٠:٣٢٩٤)وإسناده جيد لا بأس به كما قال ابن كثير في تفسيره(٧:٢٦٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(٢٦:٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(١:٨٩).

(٤) انظر: المرجع السابق(١:٩٠).

(٥) رواه أحمد(٤:١٦٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٥٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٦) أخرجه الحاكم(٤:١٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، والترمذي(٤:٢٧٤) ولم يرفعه وقال: هذا =

أنّ رجلاً أتى أبا الدرداء-رضي الله عنه-فقال: إنّ لي امرأة، وإنّ أمي تأمرني بطلاقها، فقال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: "الوالد أوسط أبواب الجنة" فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه"[1] [1]، وجاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: " هل لك من أمّ"؟ قال: نعم، قال:" فالزمها، فإنّ الجنة عند رجليها"[2] ، وفي رواية قال له:" ألك والدان"، قلت: نعم، قال: الزمهما فإنّ الجنة تحت أرجلهما"[3].

وفي مقابل الصورة الجميلة التي ذكرها القرآن الكريم في الترغيب في بر الوالدين، هناك صورة أخرى في الترهيب من عقوق الوالدين والتنفير منه، فحينما ذُكر الإنسان البار بوالديه وما آل إليه من قبول لأحسن ما عمل، ومن تجاوز للسيئات، وصحبة لأهل الجنّة، ذُكر العاقّ بوالديه وما آل إليه من العذاب والخسران، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ الأحقاف:

= أصح..

(1) أخرجه ابن ماجه (١:٣٨٧)، والترمذي (٤:٢٧٥) واللفظ له، وقال: وهذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٢:١٧٥)

(2) أخرجه ابن ماجة (٢:١٣٢)، والنسائي (٦:١١) واللفظ له، وأحمد(٤:٤٤٧)، والحاكم (٢:١١٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه(٢:١٢٥).

(3) أخرجه الطبراني في الكبير(٢:٢٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٥٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

١٨، أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[١].

وقد جاء في سنة النبيّ ﷺ التحذير من عقوق الوالدين وما يترتب عليه من العقاب، ويكفي في ذلك حرمانه من نظر الله إليه ومن دخول الجنة، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة؛ العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة؛ العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى[٢].

ولا تقتصر عقوبة العاق لوالديه على الجزاء الأخروي، بل يعجل الله تعالى له العقوبة في الدنيا، فعن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" كلّ الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة؛ إلاّ عقوق الوالدين، فإنّ الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات"[٣]، وفي قصة جريج العابد عبرة وعظة، كيف أنّه لمّا قدّم صلاته على إجابة دعوة أمّه حين دعته، استجاب الله لدعاء أمّه عليه، حين قالت: اللهم فلا تمته حتى تريه وجوه المومسات[٤]، فعجل الله له عقوبة العقوق في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير(٧:٢٦٧).

(٢) أخرجه النسائي(٥:٨٠) واللفظ له، وأحمد(٢:٢٩٥)، والحاكم(٤:١٦٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي(٢:٥٤١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨:٢٧٠): رواه البزار بإسنادين، ورجالها ثقات..

(٣) أخرجه الحاكم(٤:١٧٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) المومسات: جمع مومسة، وهن الزواني البغايا المتجاهرات بذلك.

(٥) القصة بطولها أخرجها مسلم في صحيحه(٤:١٩٧٦).

وبعد فهذه جملة من الأساليب التي وردت في القرآن في الدعوة لبِرّ الوالدين، وهي كما ترى أساليب متعددة ومتنوعة، الغرض منها بيان عظم هذا الخلق ومنزلته عند الله وفضله وثوابه، من أجل تعلّق النفوس المؤمنة به، وتحبيبها إليه، وجعلها تبذل كلّ ما تستطيع من أجل القيام به، فهل نعرف لبر الوالدين- بعد هذا كلّه - مكانته وعلوّ شأنه، أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لنكون من البارّين بوالدينا، المحسنين إليهم، إنّه سميع مجيب.

المحور الثاني
صور بِرّ الوالدين في القرآن

ذكرنا في التمهيد أنّ لفظة البِرّ يتّسع مدلولها لتشمل العديد من المعاني: كالصدق، والطاعة، والخير، والصلاح، والصلة، والإكرام، واللطف، والاتساع في الإحسان. وهذه المعاني في الحقيقة ما هي إلاّ صور ومجالات للفظة" البِرّ" ذات المدلول الواسع، وعلى الرغم من أنّ الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بِرّ الوالدين آيات معدودة، إلاّ أنّ هذه الآيات -كما سنرى- تضمّنت العديد من صور البِرّ بالوالدين، ولا شك أنّ في هذا دلالة أولاً على أنّ هذا القرآن معجز في بيانه، حيث إنّ الألفاظ القليلة حوت المعاني الكثيرة، وثانياً على سعة مفهوم البِرّ وأنّه يشتمل على الكثير من الصور والمجالات. ومن خلال النظر في الآيات الكريمة التي تناولت بِرّ الوالدين في القرآن، وبعد قراءتها وتدبرها، والغوص في معانيها، يمكننا أن نذكر جملة من هذه الصور، وهي كالتالي:

أولاً: الإحسان إليهما:

الإحسان ضد الإساءة، والمراد به فعل ما هو حَسَن، والحَسَنُ وصف مشتق من الحُسْن[1]، وهو كما يقول صاحب التعريفات: ما يكون متعلَّق المدح في العاجل والثواب في الآجل[2]، وهو بهذا المعنى العام تتسع دائرته لتشمل جوانب متعددة، منها الإحسان للوالدين، الذي أمر الله به في أكثر

(١) انظر: لسان العرب(١٣:١١٤).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني(ص٨٣).

من موضع في القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ في خمسة مواضع[١]، والمعنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً[٢]؛ وهو شامل للإحسان بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وجميع طرق الإحسان؛ لأنّ الله أطلق؛ فكلّ ما يسمّى إحساناً فهو داخل في الآية[٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾العنكبوت: ٨، والوصيّة تفيد الأمر المؤكّد، والحُسْن: اسم مصدر، أي: إيصاءً ذا حسن، أو على سبيل المبالغة، أي: هو في ذاته حسن[٤]، والمعنى: أمرنا الإنسان على سبيل العهد المؤكّد بالرأفة والرحمة والإحسان إلى الوالدين، فهما سبب وجوده، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق[٥].

ثانياً: عدم التضجّر منهما ولو بكلمة "أفٍّ"

ومن صور البرّ بالوالدين والإحسان إليهما، أن لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ [٦] عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

---

(١) البقرة(٨٣)، النساء(٣٦)، الأنعام(١٥١)، الإسراء(٢٣)، الأحقاف(١٥).

(٢) وأصله"وإحساناً بالوالدين"وقدّم المتعلّق على متعلّقه وهما"بالوالدين إحساناً" للإهتمام به، والباء فيه للتعدية، وإنّما عُدّي الإحسان بالباء لتضمينه معنى البرّ، والتعريف في"الوالدين"للاستغراق.انظر: التحرير والتنوير(٥:٤٩)(١٥:٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم(الفاتحة-البقرة)، للشيخ ابن عثيمين(١:٢٦٧)، والتحرير والتنوير(١٥:٦٨)..

(٤) انظر: البحر المحيط(٨:٣٤٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير(٦:٢٧٤) بتصرف.

(٦) وجه تعدد فاعل"يبلغنّ" مظهراً دون جعله بضمير التثنية الاهتمام بتخصيص كل حالة من =

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ الإسراء: ٢٣، وأفٍّ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وقد وردت أقوال كثيرة في معنى هذه الكلمة(١)، وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما"أفٍّ"خاصة، وإنّما المقصود النهي عن الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة(٢)، وبأنّها غير دالّة على أكثر من حصول التضجّر لقائلها دون شتم أو ذمّ، فيفهم منه النهي ممّا هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى(٣)، وعن الحسين بن علي-رضي الله عنهما- مرفوعاً:" لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لحرمه"(٤) .

وخص حالة الكبر بالذكر؛ لأنّها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برّه لتغيّر الحال عليهما بالضعف والكبر ؛ فألزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر ممّا ألزمه من قبل، وأيضاً فطول المكث معهما يوجب الاستثقال للمرء، ويحصل الملل ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه(٥).

ثالثاً: ألاّ يتعرض لزجرهما والغلظة عليهما:

ومن البرّ بهما والإحسان إليهما ألاّ ينهرهما، وأن يتجنب غليظ القول المؤذي

= أحوال الوالدين بالذكر؛ لأنّ لكل حالة بواعث على التفريط في واجب الإحسان إليهما.انظر: التحرير والتنوير(١٥:٦٩).

(١) راجع: الدر المنثور للسيوطي(٤:٣٠٩)، تفسير القرطبي(١٠:١٥٨).

(٢) قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنّما صارت قولة"أفٍّ"للأبوين أردأ شيء لأنّه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردّ الوصيّة.انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير(١٥:٧٠)، والمحرر الوجيز(١٠:٢٧٩).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني(٣:٢٢٠) ونسبه للديلمي.

(٥) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٨) بتصرف واختصار.

الموجب الذي يؤدّي إلى نفورهما، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ الإسراء: ٢٣، والنهر: الزجر بمغالظة[١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ الضحى: ١٠ والمعنى: لا يصدر منك إليهما فعل قبيح[٢]، فأيّ فعل أو حركة قبيحة تعدّ من النهر، ولو كانت بالإشارة، وفسّره عطاء بن أبي رباح بقوله: لا تنفض يدك إلى والديك[٣].

ولمّا نهى سبحانه وتعالى أن يقول لهما ما يدلّ على التضجّر منهما، ارتقى إلى النهي عما هو من حيث الوضع أشدّ من ذلك وهو نهرهما، وإن كان الأول يدلّ على الثاني؛ لأنّه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى بجهة الأولى؛ لئلا يُحسب أنّ ذلك-أيّ قول"أفٍّ"-تأديب لصلاحهما وليس بالأذى[٤].

رابعاً: التلطّف معهما بالقول :

ومن صور البرّ بالوالدين في القرآن أن يتلطّف معهما بالقول الحسن والكلام الطيب الذي يحمل كلّ عبارات التأدّب والاحترام والتبجيل،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء: ٢٣، والقول الكريم: الجامع للمحاسن من اللين وجودة اللفظ وتضمّن البر[٥]، والمعنى: قل لهم قولاً

---

(١) انظر: مفردات الراغب(ص٨٢٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٥:٦١).

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٤) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧)، والتحرير والتنوير(١٥:٧٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز(١٠:٢٧٩).

جميلاً حسناً ليّناً سهلاً[١]، وهذه صورة من البِرّ أرفع من التي قبلها، فإنّه لّما نهاه عن القول المؤذي، وكان ذلك لا يستلزم الأمر بالقول الطيّب، أمره تعالى بأن يقول لهما القول الطيّب السّار الحسن[٢].

وقد وردت عبارات عن السلف تفسّر المراد بالقول الكريم في الآية، فعن سعيد بن المسيب، قال: هو قول العبد المذنب للسيد الفظ[٣]، وقال قتادة: قولاً ليناً سهلاً[٤]، وعن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-قال: أن تقول لهما: يا أبتاه يا أمّاه[٥]، وهذا من قبيل التفسير بالمثال؛ فالآية عامّة فيدخل في معناها كلّ قولٍ يدلّ على التعظيم والتوقير والاحترام، والتلطّف في الكلام،كما يقتضيه حسن الأدب معهما، فهذا إبراهيم- عليه الصلاة والسلام -خاطب أباه مع كفره مترفقاً به متلطّفاً في ندائه بوصف الأبوّة الحاني ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ مريم: ٤٢، الذي كرره أربع مرات، مظهراً شدّة نصحه لأبيه، وشفقته عليه، ورحمته به،قال في الكشاف:انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق

(١) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٢) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٥:٦٥).

(٤) المرجع السابق(٥:٦٥).

(٥) انظر: البحر المحيط(٧:٣٧).

مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن[1].

وحسن أدب إبراهيم مع أبيه يتجلى في الوجوه التالية:

أولاً: أنّه خاطبه بوصف الأبوّة إشارة إلى أنّه مخلص له في النصيحة.

ثانياً: استفتح كلّ نصيحة بقوله﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ توسلاً إليه واستدراراً لعطفه.

ثالثاً: أنّه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه[2].

رابعاً: دعاه إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسمّ أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له[3].

خامساً: تأدب معه إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكّر العذاب[4].

خامساً: التواضع ولين الجانب:

وهذه أيضاً من الصور الجميلة التي ذكرها القرآن لبرِّ الوالدين، فإنّه لّما نهى عن الفعل القبيح أمره بالفعل الحسن، وهو أن يتواضع لهما تواضعاً يصل إلى درجة الذُلّ لهما، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

---

(١) انظر: الكشاف(٢:٤١٢).

(٢) المرجع السابق(٢:٤١٢).

(٣) انظر: تفسير أبو السعود(٥:٢٦٧).

(٤) انظر: البحر المحيط(٧:٢٦٩).

ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ الإسراء:٢٤، و"من" هنا لبيان الجنس، أي: أنّ هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن تكون ابتدائية، أي الذل الناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو المداهنة(١)، والآية فيها تصوير معبّر رائع، إذ صوّرت التواضع للوالدين في تذلل طائر عندما يعتريه خوف من طائر أشدّ منه فإنّه يخفض جناحه متذللاً(٢)، وقيل: إنّ الطائر إذا ضمّ فرخه إليه للتربية خفض جناحه، فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير، وكأنّه قيل للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا بك حال صغرك(٣). وعن عروة بن الزبير قال: هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه(٤). وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم مع والديه من الرحمة بهما، والحنوّ عليهما، واللطف بهما، ولين الجانب لهما، والتذلل في أقواله وسكناته ونظراته، وعدم الامتناع عمّا يريدانه ما لم يكن لله فيه معصية، بحيث يكون حاله معهما من التذلل والانكسار كحال العبد مع سيّده.

سادساً: الدعاء لهما:

ومن صور البِرِّ بالوالدين الترحّم عليهما والدعاء لهما، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك(٥)، قَالَ تَعَالَىٰ:

(١) انظر: المحرر الوجيز(١٠:٢٨٠)، والتحرير والتنوير(١٥:٧١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير(١٥:٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط(٧:٣٨) ونسبه للقفال.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره(١٥:٦٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٩).

﴿ وَقُل رَّبِّ [1] ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٤، فإنّه لمّا ذكر رحمة الولد بأبويه، كان مناسبا أن ينتقل إلى أمر الولد بطلب الرحمة من الله، وخصّ طلب الرحمة بالذكر؛ لأنّها شاملة لخيري الدنيا والآخرة، ثمّ نبّه على العلّة الموجبة للإحسان إليهما، والبر بهما، واسترحام الله لهما، وهي تربيتهما له صغيراً، وتلك الحالة ممّا تزيده إشفاقاً ورحمة لهما وحناناً عليهما؛ إذ هي تذكير لحالة إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه[2]، وهذا الإحسان والبر بالوالدين لا يمكن أن يكافئ -مهما بلغ- ما قام به الوالدان من التربية والرعاية للولد وهو في حال الصغر، ولذلك جاء في الحديث "لا يجزي ولد والداً إلاّ أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه"[3] ، وفي الآية إشارة إلى أنّ الدعاء لهما مستجاب لأنّ الله أمر به، وهذا الدعاء للوالدين لا يكون فقط في حياتهما، بل هو من البرّ والإحسان حتى بعد موتهما، ويدلّ على ذلك ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّ رجلاً سأله: هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال:" نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما"[4] ، وفي الحديث "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاثة، وذكر منها: أو ولد صالح يدعو له"[5].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي

(١) لاحظ كيف أنّه أُمر أن يدعو الله بوصف الربوبية المبنية على الرحمة الواسعة للخلق.

(٢) انظر: البحر المحيط(٧:٣٩)، وتفسير القرطبي(١٠:١٦٠).

(٣) رواه مسلم في الصحيح(٢:١١٤٨) .

(٤) أخرجه أبو داود(٢:٧٥٨)، والحاكم(٤:١٧١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه(٣:١٢٥٥).

وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ إبراهيم: ٤١، وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ نوح: ٢٨، وفي الآيتين تعليم للمؤمنين بأن يدعوا للوالدين ويستغفروا لهم، وهذا كلّه في الأبوين المؤمنين؛ لأنّ الله نهى عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولي قربى، وذكر عن ابن عباس وقتادة أنّ هذا كلّه منسوخ بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ ﴾ التوبة: ١١٣، وقيل: الدعاء بالرحمة الدنيوية للأبوين المشركين ما داما حيين[١].

سابعاً: طاعتهما في غير معصية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ[٢] بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾العنكبوت: ٨، أيّ: إن طلبا منك والداك وألزماك أن تشرك بالله إلهاً ليس لك به علم، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنّه "لا طاعة في معصية الله إنّما الطاعة في المعروف"[٣]، ويلحق بطلب الشرك سائر المعاصي، ومفهوم المخالفة للآية يدلّ على وجوب طاعة الوالدين إذا لم يأمرا بالشرك بالله أو

(١) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٦٠).

(٢) في سورة لقمان ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ ﴾ وحرف "على" يدلّ على تمكّن المجاهدة، أي: مجاهدة قوية للإشراك، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الشرك. انظر: التحرير والتنوير (٢١:١٦٠).

(٣) قاله النبيّ صلى الله عليه وسلّم في قصة الجيش الذي بعثه، وأمّر عليهم رجلاً فأوقد ناراً، وأمرهم أن يدخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وامتنع آخرون، فذكر ذلك لرسول الله فقال هذا القول. انظر: صحيح مسلم(٣:١٤٦٩).

أي معصية أخرى، وعلى هذا فإذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، ما لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب[1].

وقد ذكر القرآن الكريم مثالاً رائعاً في طاعة الابن لأبيه والاستجابة لأمره، وذلك في قصة إسماعيل -عليه السلام- لمّا عرض عليه أبوه أمر الذبح، سلّم نفسه إليه طلباً لمرضاة الله ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ الصافات: ١٠٢، ولكن الله أكرمه وفداه بذبح عظيم.

وقد جاءت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم تؤكد على وجوب طاعة الوالدين، وأنّها مقدّمة على كثير من الأعمال، بل حتى على الجهاد في سبيل الله، كما في حديث الرجل الذي هاجر إلى رسول الله من اليمن يريد الجهاد، فقال له: " هل لك أحد باليمن؟" فقال : أبواي، قال:" أذنا لك؟" قال: لا، فقال:" ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلاّ فبِرَّهما"[2].

ثامناً: مصاحبتهما بالمعروف:

ومن صور البر والإحسان بالوالدين مصاحبتهما بالمعروف، قال تعالى: ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾لقمان: ١٥، وهذا أمر، والأمر يدلّ على الوجوب، والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص حلفت أمّه أن لا

(١) انظر: تفسير القرطبي(١٠:١٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه(٢:٢١)، وصححه الألباني.انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢:٤٨١).

تكلّمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أنّ الله وصّاك بوالديك، وأنا أمّك، وأنا آمرك بهذا، فنزلت هذه الآية[١]، فأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يداريها ويترضاها بالإحسان، وإذا كان هذا في حق الوالدين الكافرين، فالأمر بمصاحبتهما بالمعروف آكد وأولى إذا كانا مؤمنين.

والمصاحبة: المعاشرة[٢]، ومنه قول النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- لّما سأله رجل: من أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمّك[٣]، والمعروف: الشيء المتعارف المألوف الذي لا ينكر، فهو الشيء الحسن، أي صاحب والديك صحبة حسنة[٤]، وهذه المصاحبة تشمل كلّ ما من شأنه أن يحقق العشرة الجميلة من إطعامهما، وكسوتهما، وخدمتهما إذا احتاجا، وإجابة دعوتهما، وامتثال أمرهما، إلى آخر ذلك من صنائع المعروف وأوجه البر والإحسان.

تاسعاً: شكرهما :

ومن صور البر التي ذكرت في القرآن شكر الوالدين على ما تحملا، وخاصة الأم من معاناة في الحمل والولادة، والحضانة، والتربية، قال تعالى:

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ لقمان: ١٤، ولّما خصّ تعالى الأمّ بالحمل والرضاع حصل لها بذلك ثلاث

(١) أخرجه مسلم في صحيحه(٤ :١٨٧٧).

(٢) انظر: لسان العرب(١ :٥١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(٤ :١٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: التحرير والتنوير(٢١ :١٦١).

مراتب، وللأب واحدة، وأشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل: من أبَرّ؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أمّك، قال: ثمّ من؟قال: أبوك[1]، فجعل له الربع من المبرّة كما في الآية[2]، والآية فيها الأمر بشكر الوالدين، والمعنى: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك[3]، فالمنعم الحقيقي هو الله تعالى فشكره واجب، وقد يكون أحد المخلوقين صاحب نعمة على الإنسان، فشكره أيضاً واجب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[4] ، وليس لأحد من الخلق نعمة على الإنسان مثل الوالدين، ولذلك بدأ الله بشكر نعمة الخالق، فقال﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ثمّ أردفه بشكر نعمة الوالدين، فقال﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وحقيقة الشكر هو تصور النعمة وإظهارها، ويكون بالقلب بمعرفة النعمة، وباللسان بالثناء على المنعم، وبالجوارح وذلك بمكافأته بقدر ما يستحق[5]، وإذا تصورنا نعم الوالدين الكثيرة، فلا يمكن أن يبلغ الإنسان حق الشكر لهذه النعم مهما قدّم من أعمال البرّ والإحسان، وقد شهد ابن عمر- رضي الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٤:٢٧٣) وحسنه.

(٢) انظر: تفسير القرطبي(١٤:٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢١:٧٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٤:٢٩٩) من حديث أبي سعيد، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: مفردات الراغب(ص٤٦١).

عنه -رجلاً يمانياً يطوف بالبيت وقد حمل أمّه وراء ظهره، فقال لابن عمر: أتراني جزيتها، قال : لا، ولا بزفرة واحدة[١].

عاشراً: الإنفاق عليهما إذا احتاجا:

ومن صور البر والإحسان بالوالدين النفقة عليهما إذا احتاجا لـذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ[٢] ﴾ البقرة: ٢١٥، والآية تدلّ على الأمر بالإنفاق على الوالدين والترغيب فيه[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾الإسراء: ٢٣، ومن الإحسان الإنفاق عليهما عند حاجتهما، وقال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾لقمان: ١٥، ومن المعروف القيام بكفايتهما عند الحاجة، وقد جاءت سنّة الرسول-صلى الله عليه وسلّم- لتؤكد هذا الأمر، وهو وجوب نفقة الابن على أبيه؛ لأنّه مأمور ببرِّ أبيه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: " إنّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنّ أولادكم من كسبكم"[٤] ، ومنها قوله صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(ص٢٠).

(٢) اللام في قوله"للوالدين" للمِلْك، بمعنى الاستحقاق، أي: فالحقيق بها الوالدان. انظر: التحرير والتنوير(٢:٣١٨).

(٣) ذهب ابن مسعود والسديّ إلى أنّ الآية منسوخة بأية الزكاة، وفيه نظر كما قال ابن كثير، وذهب ابن جريج ومقاتل وابن زيد إلى أنّها مبيّنة لمصارف صدقة التطوع، وهو الأولى كما قال ابن العربي في الأحكام.

انظر: تفسير الطبري(٢:٣٤٣)، وزاد المسير(١:٢٣٤)، وتفسير ابن كثير(١:٣٦٧)، وأحكام القرآن لابن العربي(١:١٤٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده(٧:٦٣)عن عائشة مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء(٦:٦٥).

وسلم: "أنت ومالك لوالدك"[1] وأجمع أهل العلم على أنّ نفقة الوالدين الفقيرين اللذين لا كسب لهما ولا مال، واجبة في مال الولد[2]، وهذه النفقة على الوالدين تجب على الولد بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الوالدان فقيرين، لا مال لهما ولا كسب يستغنون به عن إنفاق غيرهم.

الثاني: أن يكون ما ينفق عليهم فاضلاً عن نفقة نفسه وزوجته وأولاده وخادمه.

الثالث: أن يكون الوالدان مسلمين؛ لأنّ النفقة مواساة على سبيل البرّ والصلة، فلم تجب مع اختلاف الدين، وذهب الشافعي إلى وجوبها؛ لعموم قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ولقوله في الوالدين المشركين ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[3].

وبعد فهذه عشر صور من البرّ بالوالدين والإحسان إليهما تناولها القرآن الكريم، وأكدتها السنّة النبوية المشرفة، وكانت مثلاً تطبيقياً حيّاً في حياة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روى أبو الطفيل[4]-رضي الله عنه-

---

(١) رواه أبو داود في سننه(٣١١:٢)وحسّنه الألباني في الإرواء(٣٢٥:٣).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة(٣٧٣:١١) ونسبه لابن المنذر.

(٣) انظر: المغني(٣٧٤:١١-٣٧٦)، والشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ ابن عثيمين(٥١٣:١٣).

(٤) هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثي، ولد عام أحد، رأى النبي صلى الله وسلم وهو شاب وحفظ عنه أحاديث وعُمّر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة. انظر: الإصابة(١١٠:٧).

قال: رأيت رسول الله يقسم لحماً بالجعرانة وأنا يومئذٍ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبيّ فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمّه التي أرضعته[١]، وسار الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم- على هذا الهدي القويم، فامتثلوا لخطاب القرآن وتوجيهات نبيّهم محمد-صلى الله عليه وسلّم-فارتسمت هذه الصور واقعاً عملياً في سلوكهم وأخلاقهم، فهذا الصحابي أبو هريرة- رضي الله عنه-كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب بيت أمّه، فقال: السلام عليك يا أمّاه، فتقول: وعليك السلام، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بَرَرتني كبيراً[٢]، فما أحوجنا في هذا الزمان الذي يعاني فيه الآباء والأمهات من عقوق أبنائهم إلى أن نهتدي بهدي القرآن، وأن نقتدي بخير الأنام، وأن نسير على خطى أولئك العظام، لكي ننال رضى الملك العلاّم.

ويحسن التنبيه إلى أنّ هذه الصور لا تختص بأن يكون الوالدان مسلمين، بل إن كانا كافرين فإنّه يبرّهما ويحسن إليهما إذا كانا لهما عهد[٣]، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ الممتحنة: ٨ ، وفي صحيح البخاري عن أسماء[٤]، قالت: أتتني

(١) أخرجه أبو داود (٢:٧٥٨)، والحاكم(٤:١٨١) وصححه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(ص٢١).

(٣) يستثنى من هذه الصور الدعاء والنفقة، فقد ذكرنا الخلاف في ذلك.

(٤) هي أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، زوج الزبير بن العوام، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة، =

أمّي راغبة في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسألت النبيّ آصِلُها؟ قال : نعم، قال ابن عيينة[1]: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾لقمان: ١٥، وفيها أمر بمصاحبة الوالدين بالمعروف، وقد ذكرنا سابقاً أنّ هذه الآية نزلت في قصة سعد بن أبي وقاص مع أمّه وكانت مشركة[3]، والمصاحبة بالمعروف تشمل جميع مجالات البر والإحسان.

وممّا يدلّ أيضاً على أنّ هذه الصور من البر والإحسان لا تختص بالوالدين المسلمين، عموم الأدلة الواردة في القرآن في الأمر بالإحسان للوالدين، كقوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣، وقوله ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾العنكبوت: ٨، وقوله تعالى﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ لقمان: ١٤،وقوله ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ لقمان: ١٤.

= وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر(ص٧٤٣).

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران: ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثمّ المكي، ثقة حافظ فقيه إمام، مات في رجب سنة ثمان وتسعين، وله إحدى وتسعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (ص٢٤٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري(٧:٩٤).

(٣) انظر: (ص٢٥) من هذا البحث.

فهذه الآيات تدلّ بعمومها على وجوب البرّ والإحسان للوالدين وإن كانا كافرين، ولا يستثنى من ذلك إلاّ ما جاء الدليل باستثنائه من هذه الصور، وهو الدعاء لهما والنفقة عليهما، وقد بينّا الخلاف في ذلك.

الخاتمة

الحمد لله الذي لا تعدّ نعمه ولا تحصى، والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة والهدى، وعلى آله وصحبه أولي النجابة والتقى، وبعد:

فإنّي في ختام هذا البحث وبعد هذه الجولة الماتعة مع موضوع" برّ الوالدين في القرآن الكريم"، وقبل أن ترتفع أصابع يدي عن لوحة المفاتيح، وينقطع حبل أفكاري، أحب أن أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أهم نتائج البحث:

أولاً: أنّ القرآن الكريم أولى موضوع بر الوالدين عناية كبيرة، ويكفي في ذلك أنّه قرنه بعبادة الله وتوحيده.

ثانياً: أنّ بر الوالدين مفهوم واسع يتضمن إيصال كلّ ما فيه خير لهما، ودفع كلّ ما فيه ضرر عليهما، سواءً كان ذلك في حياتهما أو بعد موتهما.

ثالثاُ: أنّ القرآن الكريم دعا إلى بر الوالدين بطرق متعددة وأساليب متنوعة، وهذا يدلّ على شرف هذا الخلق وعظمته ومنزلته عند الله، ويدلّ أيضاً على فضله وثوابه.

رابعاً: على الرغم من أنّ الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين آيات معدودة، إلاّ أنّها تضمنت العديد من صور بر الوالدين، وهذا يدلّ على سعة مفهوم البر، وأنّه يشتمل على الكثير من الصور والمجالات.

خامساً: عظمة هذا الدين، وأنّ ما فيه من الهداية والخير في مجال البر

بالوالدين والإحسان إليهما، لحري بأن ينقذ البشرية ممّا هي من الشقاء والنكد في حياتها عموماً، وفي الإحسان للوالدين بوجه خاص.

أهم التوصيات:

أولاً: نظراً لأهمية هذا الموضوع، فإنّه يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتأليف.

ثانياً: استخلاص النماذج التي أوردها القرآن الكريم في برّ الوالدين، وإفرادها بالدراسة والتحليل، ومن هذه النماذج:

١- نموذج إبراهيم عليه السلام.

٢- نموذج إسماعيل عليه السلام.

٣- نموذج يحيى عليه السلام.

أسال الله أن يوفقنا لتدبّر كتابه العزيز، والوقوف على أسراره وعجائبه، واستخراج درره وكنوزه، والامتثال لهديه، والاستضاءه بنوره، إنّه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر ابن العربي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ.
- الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- بر الوالدين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- بر الوالدين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، نظام سكجها، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٣هـ.
- بر الوالدين ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٦٠٦هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- الترغيب والترهيب، للإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق محي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.
- تفسير أبو السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.
- تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا، مكتبة دار السلام.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم(الفاتحة-البقرة)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار

الرشيد، سوريا، ط٤، ١٤١٢هـ.

- تهذيب مدارج السالكين، كتبه الإمام ابن القيم الجوزية، هذّبه عبدالمنعم صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الجامع الصحيح، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق كما الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، للإمام عبدالرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ.
- سنن ابن ماجه، للحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به: عبد الفتاح غدة، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- شرح السنّة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٨هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٨، ١٣٩٩هـ.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٢،١هـ.
- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣هـ.
- مختصر بر الوالدين، عبد الرؤوف الحناوي، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبدالله الحاكم، مع تضمينات الإمام الذهبي، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٢،١هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المغني، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٥، ١٤٢٦هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني،تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١٤١٢،١هـ.
- من معالم الهدي القرآني في بر الوالدين، د: سليمان الصادق البيرة، مطبعة سفير، الرياض.
- من وصايا القرآن الكريم: البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات، أحمد عبد الغني النحولي، مكتبة ابن كثير، الكويت، ١٤٢٤هـ.
- موسوعة نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، جدة، ط٢، ١٤١٩هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- نشر البنود على مراقي السعود، سيدي عبدالله الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، ط١٣٨٣،١هـ.

أساليب الشيطان في إغواء بني آدم
كما جاءت في القرآن الكريم

إعداد:

د. محمّد بن عبد العزيز المسند

د. محمد بن عبدالعزيز المسند

- أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بجامعة الملك سعود.
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين وعاقبة ذلك في ضوء القرآن الكريم).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأطروحته (اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير، من أول سورة المائدة الى آخر سورة الإسراء – جمعاً ودراسة).

المقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أمّا بعد:

فإنّ الشيطان الرجيم هو عدوّ الإنسان الأوّل منذ خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ وأسجد له ملائكته، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولّما كانت هذه الدار دار ابتلاء واختبار؛ فإنّ الله مكّن لهذا الشيطان، وأمهله فيها ليتحقّق ما أراده الله من اختبار عباده وامتحانهم، حتى قال إبليس ـ عليه لعنة الله ـ: وعزّتك يا ربّ لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم!، فقال الربّ: **" وعزّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني"**[1]. ومع هذا فإنّ الله ـ جلّت قدرته ـ قد حذّر عباده من هذا العدوّ المبين، وكشف لهم في كتابه الكريم عن أساليبه ووسائله في الإغواء والإضلال، ليكونوا منها على حذر، ومع ذلك؛ فلا يكاد أحد من الناس يسلم من الوقوع في حبائله المنصوبة بأساليبه المتنوّعة، التي ربّما خفيت حتى على بعض المنتسبين إلى العلم والفقه والدين فضلاً عن غيرهم من العامة، وفي هذا تكمن أهمية هذا الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أهمية الموضوع كما سبق.
٢. حاجة كلّ الناس إليه على اختلاف مراتبهم وأجناسهم وأعمارهم.
٣. اهتمام القرآن الكريم بهذه القضية، وكثرة طَرْقه لها في مواضع

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم: ١١٢٢٣، وحسّن إسناده الألباني كما في صحيح الجامع الصغير: ٢/ ٧٢، برقم: ١٦٤٦.

عديدة، وبأساليب متنوعة.

٤. عدم وجود دراسة عُنيت بالاستقراء التام والدقيق لهـذه الأسـاليب في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ حسب اطلاعي.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على فهارس مراكـز البحـوث والمكتبـات العامـة، كمركـز الملك فيصل للبحوث، ومكتبة الملك فهد ومكتبة الملك عبد العزيز وغيرها لم أظفر ببحث مستقلّ عُني بجمع أساليب الشيطان في الإغواء واستقرائها من كتاب الله عزّ وجلّ، عدا بعض الدراسـات التـي عنيـت بالحـديث عـن عداوة الشيطان للإنسان بشكل عام، مع الإشارة إلى بعض هذه الأسـاليب ضمناً دون استقصاء، ومن أهمّ هذه الدراسات:

١. **عداوة الشيطان للإنـسان وعلاجهـا في ضـوء القـرآن الكـريم** (دراسـة موضوعية) للباحث عبد المنعم بن حوّاس الحوّاس[1]، والكتـاب مـن عنوانه يتحدث عن عداوة الشيطان للإنسان بـشكل عـام، وهـو بحـث قيم مفصّل، وقد تطرّق الباحث لأساليب الشيطان في إغواء بني آدم في بعض مباحث الكتاب، فبلـغ مـا ذكـره منهـا: ثمانيـة أسـاليب فقـط، ولم يذكر كل أسلوب على حـدة بـل أدخـل بعـضها في بعـض، فعـلى سـبيل المثال ذكـر مـن الأسـاليب الرئيـسة: (أمـره بالفحـشاء) وأدخـل تحتـه: الوسوسة والنزغ والهمز والاستفزاز.. وهلم جرّاً.. وهو خلاف المنهج

(١) من مطبوعات دار ابن الجوزي بالـدمام ١٤٢٥هـ. وهـو في الأصـل رسـالة ماجـستير سـجلت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الذي سرت عليه، مع قلّة ما ذكره من الأساليب.

٢. (**عداوة الشيطان للإنسان**) للشيخ محمد متولي الشعراوي[١] وهو كتيب صغير الحجم، ومضمونه كسابقه لكن بشكل مختصر، وفيه فوائد ونكات لطيفة جداً، لكن يغلب عليه الجانب الوعظي والخطابي، لذا جاء خالياً من التوثيق تماماً إلا من تخريج الآيات والأحاديث. ولم يُذكر فيه من أساليب الشيطان إلا الوسوسة في الصلاة ونحوها.

هذه أهم الدراسات التي اطلعت عليها.

منهج البحث:

لقد قمت باستقراء أساليب الشيطان في الإغواء وجمعها من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ فبلغ ما جمعته منها أربعة وثلاثين أسلوباً، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاصّ، فصغتها في هذا البحث. وقد سلكت في كتابة هذا البحث مسلك الإيجاز مع التوضيح والبيان؛ فأذكر الأسلوب مع دليله من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ ثم أذكر له تعريفاً مختصراً ـ إن احتاج الأمر إلى ذلك ـ ثمّ أشرع في بيان هذا الأسلوب بما يجلّي حقيقته دون تشعيب وتشتيت، مع الحرص على تحقيق معناه مقارنة بما قد يشتبه به أو يتقاطع معه في المعنى من الأساليب الأخرى[٢].. وربّما استأنست بذكر بعض الآثار والأخبار

---

(١) من مطبوعات دار القلم ببيروت، أشرف عليه واعتنى به أحمد الزعبي.

(٢) إنّ ممّا لاحظته عند مراجعتي للكثير من كتب التفسير المختلفة؛ إنّ بعض المفسّرين يفسّر بعض هذه الأساليب ببعضها الآخر لتقريب المعنى، مع اختلاف في معانيها ومدلولاتها اللغوية، والله ـ عزّ وجلّ ـ إنّما نوّع في ذكر هذه الأساليب ـ والله تعالى أعلم ـ لتنوّع معانيها، واختلاف =

الإسرائيلية التي تدعم المعنى، ولا تتضمّن حكماً شرعياً، مسترشداً بقول النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **" وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج "**[(١)]، مع عدم التسليم بكلّ ما فيها من غرائب، وقد جرى على ذلك عدد كبير من السلف.

خطة البحث:

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أمّا المقدّمة فهي التي بين يديك، وأمّا التمهيد فقد قسّمته إلى مطلبين: أحدهما ذكرت فيه معنى الأسلوب وما يتعلّق به، والثاني ذكرت فيه أسباب عداوة الشيطان للإنسان وسعيه لإضلاله.

وأمّا المبحثان: فالأوّل ذكرت فيه **الأساليب العامّة** التي لا يختصّ بها أحد دون أحد من بني آدم. والمبحث الثاني ذكرت فيه **الأساليب الخاصّة** التي يختصّ بها بعض بني آدم دون بعض، وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين، الأوّل ذكرت فيه الأساليب التي يختصّ بها أولياء الشيطان. والمطلب الثاني ذكرت فيه الأساليب التي يختصّ بها أولياء الرحمن.

وأمّا الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد.

= مدلولاتها.. وهي قد تتقاطع فيما بينها، لكن يبقى لكلّ أسلوب من هذه الأساليب المتنوعة مدلوله الخاصّ الذي لا يشاركه فيه غيره مشاركة تامّة، وإن تقاطع معه في بعض المعاني، وهو ضرب من ضروب الإعجاز البياني في القرآن.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، برقم: ٣٤٦١.

التمهيد

المبحث الأوّل: تعريف الأسلوب:

الأُسْلُوبُ في اللغة هو " الطريقُ تأْخذ فيه. ويُجمَعُ على (أَسالِيبَ)"[1].
وقد سَلَكَ أُسْلُوبَه : أي سلك طَرِيقَتَه[2].

فأساليب الشيطان في الإغواء هي طرقه التي يسلكها للتوصّل إلى مراده من الإغواء والإضلال.

المبحث الثاني: أسباب عداوة الشيطان لبني آدم.

إنّه ما من عداوة تحصل بين اثنين أو طرفين إلا ولها سبب أو أسباب، وكذلك عداوة الشيطان لآدم وذريّته لها أسباب نبّه عليها المولى ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه الكريم، فمن هذه الأسباب:

١. **الاستكبار**: قال تعالى: (إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) [ص ٧٤].

فالاستكبار عمل قلبي تتولّد عنه خصال ذميمة، من أشنعها: دفع الحقّ وردّه، واحتقار الناس، كما جاء في الحديث الصحيح: " **الكبر بطر الحقّ، وغمط الناس** "[3]. فهذا الخُلُق الذميم لا يصدر إلا من النفوس اللئيمة المتشبّعة بالعجب والغرور ورؤية النفس، واحتقار الآخرين وازدرائهم،

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ١/ ٤٧١، مادة : (سلب).

(٢)ينظر: تاج العروس للزبيدي: ١/ ٥٨٩، مادة (سلب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص ٣٣، برقم: ١٤٧.

ومن ابتلي بذلك فقلّ أن يُرجى منه خير، ولهذا روي عن بعض السلف أنّه قال: " **إذا كانت خطيئة الرجل في كِبْر فلا ترجه** ".

٢. **الحسد**: وهو الذي حمل إبليس على أن يقول: ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾[الأعراف: ١٢]. فقد حسد إبليسُ آدمَ لّما أمر الله ملائكته بالسجود له، فقال إبليس قولته هذه حسداً منه وغروراً، وليبرر رفضه للسجود لآدم، فكان أن استحقّ الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

والحسد خُلُق ذميم أيضاً، لا سيما إذا كان سبباً في إيذاء الآخرين، وردّ الحقّ المبين، ولهذا قال بعض أهل العلم: " **ما خلا جسد من حسد، ولكنّ الكريم يخفيه، واللئيم يبديه** "، وهذا الثاني هو ما حدث من إبليس اللعين، فكانت النتيجة ما حصل من الطرد والإبعاد كما سبق. فإذا كان هذا هو حال الحسد إذا انفرد، فكيف إذا اجتمع معه الخُلُق الأوّل وهو الاستكبار!.

٣. **جحد نعمة الله**، قال تعالى: ﴿ .. وكان من الكافرين ﴾[البقرة: ٣٤].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: " ﴿ وكان ﴾ يعني إبليس ﴿ من الكافرين﴾: من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم "[1]. وجحد النعمة سبب من أسباب الكفر، وعصيان الأمر.

٤. **غلبة الأصل والطبع**، قال تعالى: ﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه..﴾[الكهف:

(١) جامع البيان: ١/ ٢٦١.

٥٠]، فإنّ لأصل الشيء وما تطبّع عليه أثراً في سلوكه وخُلُقه، لا سيما إذا اقترن بها سبق من الكبر والحسد وجحود النعمة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: " وقوله : ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ أي خانه أصله، فإنّه خُلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور، كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنّه قال: (**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق إبليس من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**)[1]، فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه، وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنّه كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة. ونبّه تعالى ههنا على أنّه من الجنّ، أي على أنّه خلق من نار كما قال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾. قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنّه لأصل الجنّ، كما أنّ آدم عليه السلام أصل البشر. رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه "[2].

هذا ما ظهر لي من أسباب عداوة الشيطان لبني آدم، والمتأمّل في هذه الأسباب يجد أنّها لا تكاد تنفكّ عن بعضها، وهكذا هي شأن السيّئة تجرّ أمثالها، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة: ص ٧٥٥، برقم: ٢٩٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٢١.

المبحث الأوّل

(الأساليب العامّة)

وهي بإجمال:

١. الوسوسة.
٢. النزغ.
٣. الاستدراج.
٤. التزيين.
٥. الصدّ.
٦. التنسية
٧. المسّ.
٨. الهمز.
٩. الإضلال.
١٠. التمنية.
١١. الأمر.
١٢. الوعد.
١٣. الفتنة.
١٤. الاستفزاز.
١٥. الإجلاب بالخيل والرجِل.
١٦. المشاركة في الأموال والأولاد.
١٧. الكيد.

١٨. الاحتناك.

١٩. التغرير.

التفصيل:

الأسلوب الأوّل: (الوسوسة):

قال تعالى: ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾[الناس: ٥].

والوسوسة هي حديث النفس يلقيه الشيطان في قلب ابن آدم إذا غفل[١]، وهي أصل أساليب الشيطان في الإغواء، ولذا قال الله تعالى: ﴿**ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾[الزخرف: ٣٦]، وبهذه الوسوسة ـ مع أساليب أخرى كما سيأتي ـ تمكّن الشيطان اللعين من إخراج أبوينا آدم وحوّاء من الجنّة وقد قصّ الله علينا خبرهما في أكثر من موضع من القرآن، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين** ﴾ [الأعراف: ٢٠].

ومن ذلك أيضاً ـ وهو كثير ـ: ما يلقيه الشيطان في بعض نفوس المؤمنين من الخواطر الرديئة المتعلّقة بذات الله تعالى، أو ببعض العبادات، ليطفيء شعلة الإيمان في قلوبهم، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء ناس من أصحاب النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فسألوه: إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم به! قال: " **وقد**

(١)ينظر: معالم التنزيل للبغوي: ١/ ٢١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧/ ١٥٨.

وجدتموه؟ "، قالوا: نعم. قال: **" ذاك صريح الإيمان "**[١].

وفي رواية عند أحمد عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال: يا رسول الله، إنّي لأحدّث نفسي بالشيء، لأنّ أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أتكلّم به.. قال: فقال النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **" الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة"**[٢].

وعلاج ذلك أن لا يصغي الإنسان لهذه الوساوس، ويقاومها، ويعلم أنّها لا تضرّه، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقول: آمنت بالله ورسله، مع المحافظة على أذكار الصباح والمساء، وقد قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كاشفاً عن حقيقة هذه الوسوسة وعلاجها: **" إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول الله. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول الله. فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسوله"**[٣].

هذا ما يتعلّق بذات الله ـ عزّ وجلّ ـ، أمّا ما يتعلّق بالعبادات فهو أضرب، منها:

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان.. برقم: ٢٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: ٢٠٩٧. وأبو داود في كتاب الأدب، باب في ردّ الوسوسة، برقم: ٥٠٧١ وصحّحه الألباني كما في تخريجه على كتاب الإيمان لابن تيمية: ١/ ١٠٢ .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ١٨٩٦، وصحّح إسناده الألباني كما في صحيح الجامع: ٢/ ٧٤، برقم: ١٦٥٢.

- **التشكيك في الطهارة**، ففي الحديث عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنّه قال: " **إنّ الشيطان يأتي أحدكم في صلاته فيقول: إنك قد أحدثت فليقل: كذبت، إلا ما وجد ريحه بأنفه أو سمع صوته بأذنه**"[1].

وفي رواية: " **إنّ الشيطان يأتي أحدكم في صلاته، فيأخذ بشعرة من دبره، فيرى أنّه قد أحدث، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً** "[2].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنّ الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة فيبلّ إحليله حتى يريه أنّه قد أحدث، فمن رأى به ذلك فلينتضح بالماء [أي قبل الصلاة] فمن رأى به من ذلك شيء فليقل هو عمل الماء[3].

- التشكيك في عدد الركعات، قال ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: " **إنّ الشيطان يأتي أحدكم في صلاته فيدخل بينه وبين نفسه حتى لا يدري زاد أو نقص؛ فإذا كان ذلك فليسجد سجدتين قبل أن يسلم، ثم يسلم**"[4].

كفانا الله شرّ الشيطان ووساوسه.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: ٢٩.

(٢)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٩٢٣٠. وله شاهد في الصحيح من حديث عبّاد ابن تميم عن عمّه أنّه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يخيّل إليه أنّه يجد الشيء في الصلاة؟ فقال: " لا ينفتل ـ أو لا ينصرف ـ حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً " أخرجه البخاري برقم: ١٣٧، ومسلم برقم: ٣٦١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه برقم: ١٧٧٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم: ١٢١٦. وصحّح إسناده الألباني في صحيح الجامع: ٢/ ٧٤، برقم: ١٦٥١.

الأسلوب الثاني: (النزغ):

قال تعالى: ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً** ﴾[الإسراء: ٥٣].

وأصل النزغ هو الفساد وذلك بأن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم، ونزغ الشيطان بينهم: أفسد وأغرى. وأصله من نزغ الرايض الدابة؛ إذا نخسها وحملها على الجري[١].

وأمّا علاجه في كتاب الله فبأمرين، أحدهما بعدي وهو: الاستعاذة بالله كما قال تعالى: (**وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم**) [الأعراف: ٢٠٠].

والثاني قبلي وهو: القول الحسن كما سبق في الآية الأولى، فإنّ بعض الأقوال غير الحسنة ـ ولو على سبيل المزاح ـ قد تورث الأحقاد والعداوات بين الأخلاء، فضلاً عمّن هم دون ذلك، وقد ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ مثالاً لهذا النزغ، وهو ما حصل ليوسف ـ عليه السلام ـ مع إخوته، وقد أشار إلى ذلك بقوله بعد اجتماع الشمل: ﴿ **وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي** ﴾[يوسف: ١٠٠]، وقد جعل يوسف ـ عليه السلام ـ نفسه طرفاً فيما حصل بينه وبين إخوته، مع أنّه كان مظلوماً معتدى عليه؛ تكرّماً منه وحسن أدب مع إخوته..

وإنّ ممّا ينهى عنه في هذا المقام ممّا قد يكون سبباً لنزغ الشيطان؛

---

(١)ينظر: لسان العرب: ٦/ ٤٣٩٧، مادة (نزغ).

الإشارة بالسلاح ونحوه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **" لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنّه لا يدري لعلّ الشيطان ينزغ في يده، فيقع في حفرة من النار "**[1].

الأسلوب الثالث: (الاستدراج):

قال تعالى: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشيطان..** ﴾ [النور: ٢١].

وذلك أنّ الشيطان لا يأمر ابن آدم بالوقوع في المعصية الكبرى من أوّل وهلة، لكنه يسلك معه مسلك التدرّج، فيأمره أوّلاً ببعض مقدّماتها، ثم لا يزال به حتى يوقعه فيها، بل ربّما أمره أوّلاً بفعل الخير ليوقعه في الشرّ وهو لا يشعر بذلك، ومن ذلك ما أشار الله إليه في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾[الحشر: ١٦].

أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يُؤتى من كلّ أرض فيُسأل عن الفقه، وكان عالمًا، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس، وإنهم أرادوا أن يسافروا، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة،

---

(١)أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ " من حمل علينا السلاح فليس منا "، برقم: ٦٦٦١، ومسلم في البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، برقم: ٢٦٠٧.

فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها؛ فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه؛ فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أحدًا أوثق في أنفسنا، ولا أحفظ لما وُلِّيَ منك لما جعل عندك، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجع، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله؛ فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرَأَت، وعاد إليها حسنها، فاطلع إليها فوجدها متصنعة، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندّمه الشيطان فزين له قتلها؛ قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها؛ فلما قدم إخوتها سألوه ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا: قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويخبرون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا زيَّنت لك الزنى وقتلها بعد الزنى، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفتطيعني؟ قال: نعم قال: فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل، فذلك قوله:(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) الآية.. [1].

وغالب الفواحش الكبرى التي تقع في هذا الزمن وفي كلّ زمان إنّما

---

(١) جامع البيان: ١٢/ ٤٧.

يظفر بها الشيطان بهذا الأسلوب الماكر.

الأسلوب الرابع: (التزيين):

قال تعالى: ﴿ **وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾[الأنعام: ٤٣].

أي: حسّنه لهم[(١)].

وهو وعد قطعه الشيطان على نفسه لّما لعنه الله وأخرجه من الجنّة، فقال الله تعالى حاكياً مقولته: ﴿ **قال ربّ بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض..** ﴾[الحجر: ٣٩].

ومن ذلك: ما فعله بكفّار قريش يوم بدر حيث زيّن لهم أعمالهم، وقال لهم: ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم.. ﴾[الأنفال: ٤٨]، ثم خذلهم، ونكص على عقبيه لّما رأى بعينيه جنود الله تعالى تقاتل مع المؤمنين.

وكذلك فعل بأقوام كثيرين من الأمم السابقة كان منتهى أمرهم إلى الهلاك والدمار، كما قال تعالى: ﴿ **وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين** ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

ولا يزال يزيّن لأقوام كثيرين أعمالهم المنكرة ويحسّنها لهم حتى يرديهم ويلحقهم بمن قبلهم من أشياعهم، ولا عصمة من مكره إلا بالتمسّك بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم.

الأسلوب الخامس: (الصدّ):

وهو ثمرة عن الذي قبله، فإنّ من زيّن له الشيطان سوء عمله؛ صدّه

---

(١)ينظر: المصدر السابق: ٥/ ١٩١.

وصرفه عن صراط الله المستقيم.

قال تعالى: (**وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون**) [النمل: ٢٤]. أي صرفهم عنه.

وقد حذّر الله من هذا الأسلوب الشيطاني فقال: ﴿ **ولا يصدّنّكم الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين** ﴾[الزخرف: ٦٢]. وقال سبحانه ـ مبيّناً بعض أدواته في الصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ـ: ﴿ **إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾[المائدة: ٩١].

وقد ورد في الحديث: " **إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول**[1]**؟! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتُنكح المرأة، ويُقسم المال؟! فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة، ومن قُتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة. قال: وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة، أو وقصته دابّة كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة** "[2].

(١)الطِّوَل والطِّيَل بالكسر: الحبْل الطّويل يُشَدُّ أحد طَرَفَيه في وتِد أو غَيره والطَّرَف الآخر في يَد الفَرس ليَدُورَ فيه ويَرْعَى ولا يَذْهَب لوجْهِه. (النهاية في غريب الأثر: ٣/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم: ٤٣٤٢، وأحمد في المسند برقم: ١٥٩٣٨، وغيرهما، =

ولأتباع الشيطان وجنده نصيب كبير من ذلك بصدّهم الناس عن الحقّ، وتزيين الباطل لهم، لا سيّما في هذا الزمن، زمن الفضاء المفتوح، والثورة الإعلامية الهائلة، بل ربّما فاق بعضهم إبليس في ذلك، كما قال الشاعر:

وكنت فتى من جـــند إبليس فارتقى

بي الحال حتى صار إبليس من جندي! [1]

الأسلوب السادس: (التنسية):

قال تعالى: ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾[التوبة: ٦٧].

وهذا ـ كما يدلّ عليه السياق ـ في حقّ المنافقين الذين استولى الشيطان على قلوبهم وتمكّن منها، فلم يبق فيها متّسع لذكر الله إلا على سبيل النفاق والرياء.. وقد حذّر الله عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه: ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾[الحشر: ١٩]. ومع ذلك فقد يتسلّط الشيطان بهذا الأسلوب على عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين على حين غرّة، ليفوّت عليهم خيراً يرجونه، ومن ذلك ما حدث لفتى موسى ـ عليه السلام ـ حين نسي الحوت عند صخرة أويا إليها: ﴿**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنّي نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره..** ﴾[الكهف: ٦٣].

= وصحّح إسناده الألباني كما في صحيح الجامع: ٢/ ٧٣، برقم: ١٦٤٨.

(١)هذا البيت نسبه الرازي في تفسيره إلى الخوارزمي. وينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي: ١/ ٦٩.

ومن ذلك: ما ذكره الله ـ عزّ وجلّ ـ مخاطباً نبيّه، ومحذّراً: ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإمّا ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وهذا الإنساء الذي يحصل للمؤمنين من قبل الشيطان اللعين؛ إنساء عارض سرعان ما يزول ويستدرك أثره، بخلاف تنسيته لحزبه من أهل الكفر والنفاق؛ فهي تنسية مطبقة تستولي على قلوبهم وعقولهم، نسأل الله السلامة والعافية.

الأسلوب السابع: (المسّ):

قال تعالى: ﴿ **واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب** ﴾[ص: ٤١].

ومسّ الشيطان: إلحاق الأذى بالممسوس في جسده وماله وأهله[1]، وهذا ما فعله الشيطان بنبيّ الله أيّوب ـ عليه السلام ـ الذي يُضرب به المثل في الصبر.. وقصّته ذكرها أهل السير والتفسير.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: " يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب ـ عليه السلام ـ وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليماً سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه، غير أنّ زوجته حفظت ودّه لإيمانها بالله ورسوله، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه

(١)هذا معنى ما ذكر أئمّة التفسير كالطبري: ١٠/ ٥٨٨، وابن كثير: ٤/ ٥١ وغيرهما.

وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك في مال جزيل، وأولاد، وسعة طائلة من الدنيا، فَسُلبَ جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها، ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته ـ رضي الله عنها ـ فإنها كانت لا تفارقه صباحا ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس، ثم تعود إليه قريبًا. فلما طال المطال، واشتد الحال، وانتهى القدر المقدور، وتم الأجل المقدّر، تضرّع إلى ربّ العالمين وإله المرسلين، فقال: ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٣] وفي هذه الآية الكريمة قال: ﴿ **أني مسنّي الشيطان بنصب وعذاب** ﴾، قيل: بنصب في بدني، وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله، ففعل فأنبع الله عيناً وأمره أن يغتسل منها، فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، ولهذا قال تعالى: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾"[1].

وقد يصل الأمر بالممسوس إلى التخبّط كما في قوله تعالى: ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ..**﴾[البقرة: ٢٧٥]. وهذا ـ في الغالب ـ إنّما يكون للغافلين المعرضين عن ذكر الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٩. وهذه من الإسرائيليات التي يستأنس بها ـ كما أشرت إلى ذلك في المقدّمة ـ وإن كان فيها شيء من الغرابة.

ومن المسّ ما جاء في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: " **ما من مولود إلا الشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّهِ الشيطان إيّاه، إلا مريم وابنها**" ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ **وإنّي أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم**﴾[1].

وهذا المسّ مسّ يسير ظاهر بالأصبع كما جاء في رواية أخرى للحديث : " **كلّ مولود من بني آدم يمسّه الشيطان بأصبعه، إلا مريم ابنة عمران وابنها عيسى عليهما السلام** "[2].

ولعلّ الحكمة منه: إشعارُ الشيطان وإعلانُه بداية معركته مع ابن آدم في الإضلال والإغواء والتسلّط. والله تعالى أعلم.

الأسلوب الثامن: (الهمز):

قال تعالى: ﴿ **وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: " الهمزات جمع هَمْزة، وهي في اللغة: الدفعة باليد أو بغيرها. وهمزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم كما قاله المفسرون، يقال: همزة ولمزه ونخسه؛ أي دفعه. وقيل: الهمز كلام من وراء القفا، واللمز المواجهة "[3].

(١) أخرجه أحمد في المسند: برقم: ٧٦٩٠.

(٢) المصدر السابق، برقم: ٧٨٦١.

(٣)فتح القدير: ٣/ ٥٨٨.

والتحقيق ـ والله تعالى أعلم ـ أنّ المراد بالهمز في هذه الآية: الخنق الذي هو تضييق مجاري النفَس[1] وما يتبع ذلك من نخس الشياطين ودفعها.. وذلك أنّ سياق الآية إنّما جاء في الدفع بالتي هي أحسن في مقابلة أذى الآخرين وافتراءاتهم وكيدهم: ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيّئة نحن أعلم بما يصفون** ﴾، والشياطين تجد ضالّتها في مثل هذه الأحوال، فتتسلّط على ابن آدم بتضييق مجرى نفَسه، ثمّ نخسه ودفعه إلى الانتقام والتشفّي، ممّا قد يؤدي إلى أذى النفس قبل أذى الآخرين. ولعلّ في هذا تفسيراً لما يحدث لبعض النفوس من إقدامها على قتل نفسها ـ وهو ما يسمّى بالانتحار ـ، أو قتل غيرها هيجاناً، والله تعالى أعلم..

ولمّا كان خنق الشياطين قد يعقبه تلبّس لبدن الإنسي؛ أعقب ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ بقوله: ﴿ **وأعوذ بك ربّ أن يحضرون** ﴾[المؤمنون: ٩٨]. ويشهد لذلك ما رواه أبو داود أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان يدعو: " **اللهم إنّي أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردّي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت..**"[2]، ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية[3].

---

(١)ذكر ذلك الإمام الطبريّ في تفسيره: ٩/ ٢١٤، ولم يذكر غيره.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، برقم: ١٥٤٧. وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود: ١/ ٢٨٨.

(٣)ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٥٤. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ١٤٨.

الأسلوب التاسع: (الإضلال):

قال تعالى حاكياً قول إبليس: ﴿ **ولأضلّنّهم..** ﴾[النساء: ١١٩].

وهو نتيجة حتمية لاتّباع الشيطان وطاعته وتولّيه، وقد سمّى الله ذلك عبادة، فقال سبحانه: ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً..** ﴾[يس: ٦٠-٦٢].

بل إنّ ذلك قد كُتب وقُضي كما قال تعالى: ﴿ **كتب عليه أنّه من تولاه فأنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾[الحج: ٤]، أي قضي على الشيطان أنّه يضلّ من اتّبعه وتولاه. قاله أكثر المفسّرين[١].

فالإضلال هو غرض إبليس الأوّل من عباد الله، ولهذا بدأ به مقسِماً كما في قوله في الآية الأولى: ﴿ **ولأضلنّهم ولأمنّينّهم ..** ﴾. أي: والله لأضلنّهم[٢].. وهذا هو المتوقّع من العدوّ الأوّل لبني آدم: ﴿ **إنّه عدوّ مضلّ مبين** ﴾[القصص: ١٥]. هذا فيمن تولاه وأطاعه، أمّا من تولّى الله وأطاعه، فلا سبيل للشيطان عليه: ﴿ **إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتّبعك من الغاوين** ﴾[الحجر: ٤٢].

وقد جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال: " **إذا أصبح إبليس، بثّ جنوده فيقول:**

---

(١)ينظر: جامع البيان: ٩/ ١٠٩، ومعالم التنزيل: ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٠٦، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ص ٩٤٨.

(٢)ينظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٣/ ٣٦٨.

من أضلّ اليوم مسلماً ألبسته التاج. قال: فيخرج هذا فيقول: لم أزل به حتى طلّق امرأته. فيقول: أوشك أن يتزوج. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى عقّ والديه. فيقول: أوشك أن يبرّ. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك. فيقول: أنت أنت. ويجيء فيقول: لم أزل به حتى زنى. فيقول: أنت أنت. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل. فيقول: أنت أنت. ويلبسه التاج "[1].

الأسلوب العاشر: (التمنية):

قال تعالى: ﴿ **ولأمنّينّهم..** ﴾[النساء: ١١٩].

وهذا هو الغرض الثاني للشيطان بعد الإضلال كما سبق.

وقد ذكر ابن الجوزيّ ـ رحمه الله ـ في قوله ﴿ ولأمنينّهم ﴾ أربعة أقوال:

- أحدها: أنّه الكذب الذي يخبرهم به، يقول لهم لا جنّة ولا نار ولا بعث.
- والثاني: أنّه التسويف بالتوبة...
- والثالث: أنّه إيهامهم أنّهم سينالون من الآخرة حظّاً.. قاله الزجاج[2].
- والرابع أنّه تزيين الأماني لهم. قاله أبو سليمان الدمشقي"[3].

وأرجح هذه الأقوال ـ والله تعالى أعلم ـ ما ذهب إليه الزجّاج ـ رحمه الله ـ وهو أن يقصّر ابنُ آدم في العمل فيمنّيه الشيطان أنّ له حظّاً في الآخرة،

---

(١) أخرجه ابن حبّان في صحيحه: ١٤/ ٦٨، برقم: ٦١٨٩. وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تخريجه على صحيح ابن حبّان نفسه.

(٢)ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٠٩.

(٣)زاد المسير: ص ٣٢٧. (باختصار يسير).

ولهذا جاء في الأثر المشهور: " **ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال** "[١].

ويشهد لذلك من السياق: مجيء هذا الأسلوب بعد الإضلال، فإنّ الشيطان إذا عجز عن إضلال ابن آدم؛ منّاه بأنّ له ثواباً في الآخرة ولو قصّر في العمل، أو تركه بالكليّة كما هي طريقة أهل الإرجاء وأشباههم الذين يرون أنّ مجرّد وجود الإيمان في القلب مع النطق باللسان كافٍ في دخول الجنّة!...

أمّا ما روي أنّه يقول لهم: لا جنّة ولا نار ولا بعث؛ فهو بعيد، إذ هو داخل في الأوّل (الإضلال)..

وكذلك ما روي أنّه التسويف في التوبة، إذ هو داخل في الإملاء، الذي سيأتي الحديث عنه إن شاء الله في مبحث الأساليب الخاصّة[٢].

وأمّا قول أبي سليمان الدمشقي؛ فليس فيه بيان للمراد بالأمانيّ التي توعّد بها الشيطان بني آدم، وإنّما ذكر تزيين الأماني، ولم يبيّن المراد بهذه الأمانيّ، والله تعالى أعلم.

---

(١)هذا الأثر يروى مرفوعاً، والصواب أنّه من قول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ. ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة للالكائي: ٤/ ٨٣٩، برقم: ١٥١٦، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي: ٦/ ٢٢٨. وشعب الإيمان للبيهقي: ١/ ٨٠، برقم: ٦٦.

(٢) ينظر: ص ٢٨.

الأسلوب الحادي عشر: (الأمر):

قال تعالى: ﴿ **إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾[البقرة: ١٦٩].

فهو أمر صريح يلقيه الشيطان في روع ابن آدم حين يغفل عن ذكر الله، فأمّا المؤمن ذو البصيرة فيعصي الشيطان، ويستعيذ بالله من شرّه. وأمّا الغافل السادر في غيّه والجاهل فيطيعه، فيقع في شراكه.

وأمّا ما يأمر به الشيطان ؛ فهو ـ كما جاء في الآية ـ: السوء والفحشاء والقول على الله بغير علم، وقد بدأ الله بالأدنى منها قبل الأعلى للتنبيه على أسلوب من أساليب الشيطان سبق ذكره، وهو التدرّج[١].

والسوء قيل: هو ما لا حدّ فيه. والفحشاء ما فيه حدّ.. حكي ذلك عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره، وقيل غير ذلك[٢].

قال ابن عباس: " إنّما سمّي سوءًا لأنّه تسوء عواقبه. وقيل: لأنّه يسوء إظهاره. والفحشاء من فحش الشيء؛ إذا جاز قدره. وأعظم الفواحش وأقبحها: الزنى"[٣].

وأمّا القول على بغير علم فهو أخطرها وأشنعها، ومنه: تحريم ما أحلّ الله، أو تحليل ما حرّمه، كما كان يفعل أهل الجاهلية، وذكره الله عنهم في أكثر من آية، وهو عامّ في كلّ من تجرأ على الله ودينه، وقال فيه برأيه أو بعقله

---

(١)ينظر: ص .

(٢)ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٢٠٥.

(٣)زاد المسير: ص: ١٠٠.

أو بما تهوى نفسه بغير هدى من الله. وما أكثرهم في هذا الزمان! عصمنا الله من ذلك بمنّه وكرمه ورحمته.

وإنّ ممّا يأمر به الشيطان أيضاً: ما ذكره الله ـ عزّ وجلّ ـ في موضع آخر وهو قوله: ﴿ .. **ولآمرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله**﴾ [النساء: ١١٩].

قال ابن جرير ـ رحمه الله،: " والبتك: القطع، وهو في هذا الموضع : قطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة "[١].

وهي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا؛ شقّوا أذنها لطواغيتهم، ثمّ امتنعوا من الانتفاع بها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها الْمُعْيي لم يركبها.. سوّل لهم إبليس أنّ هذا قربة إلى الله تعالى[٢].

وأمّا تغيير خلق الله ففيه خمسة أقوال ذكرها ابن الجوزيّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره، وهي:

١. أنّه تغيير دين الله. ومن ذلك: تحليل الحرام وتحريم الحلال.
٢. أنه تغيير الخلق بالخصاء المعروف.
٣. أنه التغيير بالوشم ونحوه.
٤. أنّه تغيير أمر الله.
٥. أنّه عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرموا من الأنعام.

---

(١)جامع البيان: ٤/ ٢٨١.

(٢)ينظر: زاد المسير: ص ٣٢٧، ومعاني القرآن الكريم للنحّاس: ٢/ ١٩٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ٤/ ٢٥٨. والمعيي هو المنقطع به. ينظر: لسان العرب: ٤/ ٤١، مادة (بحر).

وإنما خلق ذلك للانتفاع[1].

قال الإمام الطبريّ ـ رحمه الله ـ: " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : معناه: ﴿ **ولآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله** ﴾ قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أنّ ذلك معناه، وهي قوله:﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾[الروم: ٣٠]، وإذا كان ذلك معناه؛ دخل في ذلك فعل كلّ ما نهى الله عنه من خصاء ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه، ووشره وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كلّ ما أمر الله به؛ لأنّ الشيطان لا شكّ أنّه يدعو إلى جميع معاصي الله، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمرِه نصيبَه المفروض من عباد الله بتغيير ما خلق الله من دينه"[2].

وهذا الذي قاله الطبريّ رحمه الله ـ في نظري ـ فيه نظر، فإنّ التغيير ـ لمن تأمّل كتاب الله ـ ليس بمعنى التبديل، والفرق بينهما أنّ التغيير يكون في الشيء الواحد، بتغييره من حال إلى حال، أو من صفة إلى صفة، مع بقاء الأصل، كالوشم والوشر والنمص ونحو ذلك. ومنه قوله تعالى ﴿**وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه** ﴾[محمد: ١٥]، وقوله: ﴿ **إنّ الله لا يغيّر ما بقومهم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم** ﴾[الرعد: ١١]. وأمّا التبديل؛ فهو الانتقال من شيء إلى شيء آخر مغاير بحيث يزول الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً..** ﴾[إبراهيم: ٢٨]، فيكون أرجح الأقوال هو

(١)ينظر: زاد المسير: ص ٣٢٧.

(٢)جامع البيان: ٤/ ٢٨٥.

القول الثالث: التغيير بالوشم ونحوه، ويشهد لذلك؛ حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ " لعن الله الواشمات والمتوشّمات، والمتنمّصات، والمتفلّجات للحسن، المغيّرات خلق الله "[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في سياق حديثه عن تحريم أعياد الكفّار: " وأمّا السنة فروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: **"ما هذان اليومان؟ "**، قالوا: كنّا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **" إنّ الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما؛ يوم الأضحى ويوم الفطر"**[٢] رواه أبو داود بهذا اللفظ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد عن حميد عن أنس. ورواه أحمد والنسائي، وهذا إسناد على شرط مسلم. فوجه الدلالة أنّ اليومين الجاهليين لم يقرّهما رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال إنّ الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه، إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه، ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا فيما تُرك اجتماعهما كقوله تعالى: ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلاً ﴾[الكهف: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين

---

(١)أخرجه البخاري في التفسير، باب: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾: برقم: ٤٦٠٤. ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.. برقم: ٢١٢٥.

(٢)أخرجه أبو داود برقم: ١١٣٤، وأحمد برقم: ١٢٠٢٥، والنسائي برقم: ١٥٥٦. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٥/ ٣٤، برقم: ٢٠٢١.

ذواتي أُكُل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ﴾[سبأ: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ﴾[البقرة: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب ﴾[النساء: ٢] "[١].

ومعلوم أنّ التغيير لا يلزم منه ترك المغيَّر، كما في الوشم والنمص ونحوهما، فبان الفرق بين التبديل والتغيير، والله تعالى أعلم.

وأمّا من قال: إنّه تغيير أمر الله؛ فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[الأعراف:٥٤]، فقد غاير بينهما..

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: " فأخبر تبارك وتعالى بالخلق ثم قال: ﴿والأمر ﴾ فأخبر أنّ الأمر غير الخلق "[٢]. بل قال ابن عيينة ـ رحمه الله ـ: " فرّق بين الخلق والأمر. فمن جمع بينهما فقد كفر "[٣].

وكذلك من قال: إنّه الخصاء، أو عبادة الشمس والقمر والحجارة.. فإنّ ذلك لا يعدّ تغييراً لخلق الله، والله تعالى أعلم.

الأسلوب الثاني عشر: (الوعد):

قال تعالى: ﴿ **يعدهم ويمنّيهم..** ﴾[النساء: ١٢٠].

أي: يعدهم بالنصر والظفر وبلوغ المراد ونحو ذلك.

---

(١)اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ١٨٤.

(٢)كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل: ١/ ٣٩.

(٣)ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧/ ٢٢١. وقد علّق على ذلك بقوله: " وفي تفرقته بين الخلق والأمر دليل بين على فساد قول من قال بخلق القرآن إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقا لكان قد قال : ألا له الخلق والخلق وذلك عي من الكلام ومستهجن ومستغث والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه ".

قال ابن القيّم: " فوعده: ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك "[١].

وهذا وعد موجب، وقد جاء مطلقاً لأنّه لا حصر له، وأمّا السالب؛ فالوعد بالفقر ونحوه، كما في قوله تعالى: ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر..** ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي: يخوّفكم الفقر، كقوله: لا تنفق مالك، وأمسكه لنفسك، فإنك قد تفتقر فتحتاج إليه، ونحو ذلك، ليثبّطه عن الإنفاق[٢].

لكنّ وعود الشيطان كلّها تذهب أدراج الرياح، ولذا ختم الله الآية بقوله ـ وهو العليم الخبير ـ: ﴿ **وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾.

ويوم القيامة يقوم الشيطان خطيباً في أوليائه، فيتبرأ منهم، معلناً إخلاف وعده: ﴿ **وقال الشيطان لمّا قضي الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم..**﴾ إلى آخر الآية [إبراهيم: ٢٢].

الأسلوب الثالث عشر: (الفتنة):

قال تعالى: ﴿ **يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما..** ﴾[الأعراف: ٢٧].

والفتنة في الأصل هي الابتلاء والاختبار[٣]، والمراد بها هنا ما يتعلّق بالشهوات وكشف العورات كما يدلّ لذلك سياق الآية، والمعنى: لا

---

(١)إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيّم الجوزية: ١/ ١٠٧.

(٢)ينظر: جامع البيان: ٣/ ٨٧.

(٣)ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٣١٧. مادة (فتن).

يوقعنّكم الشيطان في الفتنة ـ وهي كشف العورة ـ كما أوقع فيها أبويكم آدم وحوّاء، فأخرجهما من الجنّة[1].. ولله كم اصطاد الشيطان بهذه الفتنة من نفوس، وأضلّ من شخوص، لا سيما في هذا الزمن الذي تيسّرت فيه أسباب هذه الفتنة، فلعمر الله إنّها عنده لمن أربح البضاعات، وأنجع المضلات.

وقد فتن بها أهل الجاهلية قبل الإسلام، فحملهم على أن يطوفوا بالبيت عراة تعبّداً لله تعالى(!) ولذا قال الله في الآية اللاحقة: ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ [الأعراف: ٢٨].

ولا يزال الشيطان يفتن بهذه الفتنة أقواماً كثيرين بدعاوى كثيرة، منها في هذا الزمن: دعوى التقدّم والتحرّر والتحضّر والمدنية!! وبئست الدعوى، وبئس المدّعي.

الأسلوب الرابع عشر: (الاستفزاز):

قال تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: " والاستفزاز: طلب الفَزّ، وهو الخفّة والانزعاج وترك التثاقل. والسين والتاء فيه للجَعل الناشىء عن شدة الطلب والحثّ الذي هو أصل معنى السين والتاء، أي استخفّهم

(١) فتح القدير: ٢/ ٢٨٨.

وأزعجهم"[١].

أمّا صوت الشيطان، فقد ذكر بعض السلف أنّه الغناء واللهو، وذهب بعضهم كابن عباس وغيره إلى أنّه كلّ داع إلى معصية الله[٢]، وهو أعم وأشمل وأظهر، والله تعالى أعلم.

ما أكثر اليوم من استفزّهم الشيطان بصوته، لا سيما الغناء الذي فشا في الأمّة، ونشأ عليه الصغير، وهرم عليه الكبير، إلا من رحم الله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الأسلوب الخامس عشر: (الإجلاب بالخيل والرجل):

قال تعالى: ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾[الإسراء: ٦٤].

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: " الإجلاب: جمع الجيش وسَوقه، مشتق من الجَلَبة (بفتحتين)، وهي الصياح؛ لأنّ قائد الجيش إذا أراد جمع الجيش نادى فيهم للنفير، أو للغارة والهجوم"[٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في معنى هذه الآية: " واحمل عليهم بجنودك؛ خيّالتهم ورَجلتهم، فإنّ الرَجل جمع راجل، كما أنّ الرَكْب جمع راكب، وصحب جمع صاحب. ومعناه: تسلّط عليهم بكلّ ما تقدر عليه، وهذا أمر قدري "[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤/ ١٢١، ١٢٢.

(٢)ينظر: جامع البيان للطبري: ٨/ ١٠٨، وقد ساق الروايات بأسانيدها إلى بعض السلف.

(٣)التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٧٧.

(٤)تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٦٩.

وقال ابن الجوزيّ ـ رحمه الله ـ: " أي صح بخيلك ورَجلك، واحثثهم عليهم بالإغراء، يقال أجلب القوم وجلبوا؛ إذا صاحوا "[1].

ولهذا قال عامّة المفسّرين[2]: كلّ راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس. وفي هذا الزمن تجاوز الأمر الخيل والرَجل، فامتلأ الفضاء بآلاف القنوات الشيطانية الموجهة التي تقتحم البيوت بلا استئذان، وتُجْلِب على الناس بجميع أنواع البلاء والشرور، كفانا الله شرها، وشرّ شياطينها.

الأسلوب السادس عشر: (المشاركة في الأموال والأولاد):

قال تعالى: ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾[الإسراء: ٦٤].

اختلفت أقوال المفسّرين في المراد بالمشاركة بالأموال والأولاد في الآية، فذكروا في المشاركة في الأموال أربعة أقوال:

- أحدها: أنّها ما كانوا يحرّمونه من أنعامهم.
- الثاني: الأموال التي أصيبت من حرام.
- الثالث: الأموال التي أنفقوها في معاصي الله.
- الرابع: ما كانوا يذبحون لآلهتهم[3].

والراجح ـ والله تعالى أعلم ـ العموم في كلّ ما ذُكر.

قال الإمام الطبريّ ـ رحمه الله ـ: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك كل مال عصي الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب

(١)زاد المسير: ص ٨٢١.

(٢)ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٢٥٠.

(٣)ينظر: زاد المسير: ص ٨٢١.

من حرام أو ذبح للآلهة أو تسييب أو بحر[١] للشيطان وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه وذلك أنّ الله قال ﴿ **وشاركهم في الأموال** ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض "[٢].

وكذلك المشاركة في الأولاد، ذكروا فيها أربعة أقوال أيضاً:

- أحدها: أنّهم أولاد الزنى.
- الثاني الموءودة من أولادهم.
- الثالث: أنّه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم كعبد شمس وعبد العزى وعبد مناف.
- الرابع: ما مجّسوا وهوّدوا ونصّروا وصبغوا من أولادهم غير صبغة الإسلام.

والعموم هو الراجح كما سبق في الأموال، قاله ابن جرير وغيره[٣].

الأسلوب السابع عشر: (الاحتناك):

قال تعالى حاكياً قول إبليس: ﴿.. **لأحتنكنّ ذرّيته إلا قليلاً** ﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: " قوله تعالى (لأحتنكنّ ذريته)

---

(١) البحر هنا: شقّ الأذن. ومنه البحيرة وهي الناقة تشقّ أذنها ثمّ تُحرّم فإذا ماتت حلّت للنساء، وقيل غير ذلك. ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٤٤٢، (فصل الباء).

(٢) جامع البيان: ٨/ ١٠٨.

(٣)ينظر المصدر السابق. وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٩٦.

فيه ثلاثة أقوال:

- أحدها: لأستولينّ عليهم.
- والثاني: لأضلنّهم.
- والثالث: لأستأصلنّهم، يقال: احتنك الجراد ما على الأرض؛ إذا أكله. واحتنك فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه. فالمعنى: لأقودنّهم كيف شئت "[1].

وهذه الأقوال وإن كانت متقاربة؛ إلا أنّ أولاها بتفسير الآية ـ والله تعالى أعلم ـ هو الثالث: (الاستئصال)، وعليه أكثر أهل اللغة كما قال النحّاس ـ رحمه الله ـ في كتابه معاني القرآن[2]، وهو اختيار أكثر المفسّرين[3].

وأمّا الاستيلاء فهو بمعنى الاستحواذ، وسيأتي إن شاء الله في الأساليب الخاصّة[4].

والمراد بالاستئصال هنا كما ذكر أهل التفسير: تسييرهم إلى حيث يريد.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: " معناه لأسوقنّهم حيث شئت، وأقودنّهم حيث أردت. من قولهم: حنّكت الفرس أحنّكه وأحْنِكه حنكاً؛ إذا جعلت في فيه الرسن. وكذلك احتنكه "[5].

---

(١)زاد المسير: ص ٨٢١. (باختصار).

(٢)٤/ ١٧١.

(٣)ينظر: الوجيز للواحدي: ١/ ٦٤٠، والكشّاف للزمخشري: ١/ ٦٨٩، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ١/ ٤٥٤٠، والجلالين: ١/ ٣٧٢، وإرشاد العقل السليم: ٥/ ١٣٨.

(٤)ينظر ص ٢٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٢٤٩.

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: " والاحتناك : وضع الراكب اللجام في حنك الفرس ليركبه ويسيره، فهو هنا تمثيل لجلب ذريّة آدم إلى مراده من الإفساد والإغواء بتسيير الفرس على حسب ما يريد راكبه "(١).

والفرق بينه وبين الاستحواذ، أنّ الاستحواذ هو مجرّد الاستيلاء والامتلاك، دون تصرّف وتسيير، فإذا حصل التصرّف والتسيير فهو الاحتناك، والله تعالى أعلم.

الأسلوب الثامن عشر: (التغرير):

قال تعالى : ﴿ **ولا يغرنّكم بالله الغَرور** ﴾[فاطر: ٥].

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ: " والغَرور هو الشيطان لأن من شأنه أن يغرّ الخلق، ويمنّيهم بالأماني الباطلة، ويلهيهم عن الآخرة، ويصدّهم عن طريق الحقّ "(٢).

وقال تعالى مخاطباً المنافقين على وجه الخصوص: ﴿ .. **وغرّكم بالله الغَرور** ﴾ [الحديد: ١٤].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: " خدعكم بالله الشيطان فأطمعكم بالنجاة من عقوبته والسلامة من عذابه "(٣).

وقال قتادة ـ رحمه الله ـ: " كانوا على خدعة من الشيطان، والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله في النار "(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٧٧.

(٢)فتح القدير: ٤/ ٣٤٨.

(٣)جامع البيان: ١١/ ٦٧٩. وهو قول عامّة المفسّرين.

(٤)ينظر: الدرّ المنثور للسيوطي: ٨/ ٥٦.

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في معنى غرّكم: " أي بإلقائه خواطر النفاق في نفوسهم بتلوينه بلون الحق، وإرضاء دين الكفر الذي يزعمون أنه رضي الله ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾". ثم قال: " والتغرير: إظهار الضارّ في صورة النافع، بتمويه وسفسطة "[1]. وهو الخداع .

وإذا كان المنافقون كما قال الله عنهم: ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم.. ﴾[البقرة: ٩]؛ فإنّ الشيطان أيضاً يغرّهم ويخدعهم، فهم مخدوعون من جهتين؛ من جهة أنفسهم ومن جهة الشيطان، ومن جهة الله أيضاً كما قال سبحانه: ﴿ إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم.. ﴾ [النساء: ١٤٢]، فما أعظم خسرانهم، وما أشدّ خذلانهم، نعوذ بالله من النفاق وأهله.

هذا ما تيسّر لي جمعه من الأساليب العامّة التي يسلكها الشيطان في إغواء بني آدم.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٤٩. والسفسطة كلمة يونانية معناها: الغلط والحكمة المموهة. (تاج العروس: ١/ ٤٨٦٧٠، مادة: (سفط).

المبحث الثاني
(الأساليب الخاصّة)

وتحته مطلبان:

المطلب الأوّل: أساليب خاصّة بأولياء الشيطان.

المطلب الثاني: أساليب خاصّة بأولياء الرحمن.

المطلب الأوّل:
(الأساليب الخاصّة بأولياء الشيطان)

وهي بإجمال:

١. الإملاء.

٢. التسويل.

٣. الاستحواذ.

٤. الاستهواء.

٥. الأزّ.

٦. الإيحاء.

٧. الخذلان.

٨. الإتباع.

٩. الدعاء.

التفصيل:

الأسلوب الأوّل والثاني: (التسويل والإملاء):

قال تعالى: ﴿ **إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم** ﴾[محمد: ٢٥].

هذه الآية نزلت ـ على الصحيح ـ في المنافقين، الـذين عرفـوا الحـقّ ثـمّ كفروا به وارتدّوا عنه طاعة للشيطان[1].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١١/ ٣٢١، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٢٩.

ومعنى (سوّل لهم) أي " سهل لهم ركوب العظائم، من السَّوَل بفتحتين وهو الاسترخاء، استعير هنا للتسهيل ". قاله الألوسي [١]..

ومعنى (أملى لهم) أي مدّ لهم في الأمل[٢]..

وإنّما جمع الله بينهما ـ والله تعالى أعلم ـ لأنّ التسويل وحده قد يعقبه يقظة وصحوة، ثمّ رجوع إلى الحقّ.. فإذا اقترن به الإملاء والتسويف؛ بَعُد الرجوع.

الأسلوب الثالث: (الاستحواذ):

ال تعالى: ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله..** ﴾ [المجادلة: ١٩].

وأصل الاستحواذ في اللغة: الاستيلاء، والغلبة[٣].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: " وأصل الاستحواذ في كلام العرب فيما بلغنا: الغلبة، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ بمعنى: غلب عليهم "[٤]

المعنى: أنّ الشيطان ملكهم، لطاعتهم له في كلّ ما يريده منهم، حتى جعلهم من رعيته وحزبه[٥].

---

(١)روح المعاني: ٢٦/ ٧٤.

(٢)ينظر: معالم التنزيل: ٧/ ٢٨٨.

(٣)ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤٨٥، مادة: (حاذ).

(٤) جامع البيان: ٤/ ٣٣٠.

(٥)ينظر: الكشّاف: ٤/ ٧٧.

وقد أخرج الإمام أحمد وغيره بسند حسن عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"ما من ثلاثة في قرية ولا بَدْو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية"**[(1)].

الأسلوب الرابع: (الاستهواء):

قال تعالى: ﴿ **كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران..** ﴾ [الأنعام: ٧١].

الألوسي: "والاستهواء استفعال من هوى في الأرض يهوي إذا ذهب، والمعنى: كالذي ذهبت به مردة الجن في المَهَامِهِ والقفار فهو قلق محتار. شبّه من خلص من الشرك ثم نكص على عقبيه بحال من ذهبت به الشياطين في المهامه وأضلته بعدما كان على الجادة المستقيمة"[(2)].

قال ابن عاشور: الاستهواء استفعال، أي طلب هَوى المرء ومحبّتِه، أي استجلاب هَوى المرء إلى شيء يحاوله المستجلِب.

واستبعد المعنى الأول، وزعم أنّه لا يُعرف من كلام أئمّة اللغة.

قال: "والعرب يقولون : استهوته الشياطين، إذا اختطفت الجنّ عقله فسيَّرتْه كما تريد. وذلك قريب من قولهم : سَحَرتْه، وهم يعتقدون أنّ الغيلان هي سحرة الجنْ، وتسمَّى السعالي أيضاً، واحدتُها سَعْلاة، ويقولون

---

(١)أخرجه أحمد في المسند برقم: ٢٧٠٤، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، برقم: ٥٤٨. وحسّنه الألباني كما في صحيح أبي داود: ١/ ١٠٩، برقم: ٥١١.

(٢)روح المعاني: ٧/ ١٨٩. وينظر: الكشّاف: ٢/ ٢٢.

أيضاً : استهامته الجنّ إذا طلبت هُيامه بطاعتها"[١] .

هذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور هو الظاهر من لفظ الاستهواء، والله تعالى أعلم.

الأسلوب الخامس: (الأزّ):

قال تعالى: ﴿ **ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً** ﴾ [مريم: ٨٣].

أي: " تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها.." [٢]. يقال: أززت فلاناً بكذا إذا أغريته به، أؤزّه أزّاً وأزيزاً[٣].

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: "تزعجهم إزعاجا في معاصي الله"[٤].

قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: "تغريهم إغراءً، وتستعجلهم استعجالاً"[٥].

وقد ذكر النحّاس في معنى الإرسال في هذه الآية قولين[٦]:

- أحدهما: لم نعصمهم من الشياطين، أي: خلينا بين الكافرين وبين الشياطين فلم نعصمهم منهم، فيكون الإرسال هنا بمعنى التخلية

---

(١)التحرير والتنوير: ٦/ ١٦٢.

(٢)ينظر: جامع البيان: ٨/ ٣٩٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١/ ٧٢، مادة (أزز).

(٤) أخرجه الإمام الطبري من طريق عبد الرزاق عن معمر: (جامع البيان: ٨/ ٣٧٩).

(٥)ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٨٤.

(٦)ينظر: معاني القرآن الكريم: ٤/ ٣٦٠.

والترك، كقول القائل: أرسلت الدابّة.

- والقول الآخر: قيضنا لهم الشياطين مجازاة على كفرهم، كما قال الله ـ جل وعز ـ: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾[الزخرف: ٣٦]، فيكون الإرسال على ظاهره بمعنى التسليط والبعث.

وهذا المعنى الثاني هو الأرجح والله تعالى أعلم، لوجوه منها:

١. مجيء الفعل (أرسلنا) معدّى بـ (على)، وهو غير مناسب لمعنى التخلية. وإنّما قال (على) ولم يقل (إلى) لأنّه أنسب لمعنى التسلّط والإزعاج، والله تعالى أعلم..

٢. أنّ هذا القول هو الموافق لظاهر الآية، والأصل في نصوص القرآن أن تحمل على ظواهرها[1].

والمقصود أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ سلّط أولئك الشياطين على الكافرين تزعجهم إلى معاصي الله إزعاجاً، وتحرّكهم وتهيّجهم عليها، ولعلّ هذا هو السرّ في جَلَد أعداء الله، ونشاطهم في معصيته، والصدّ عن سبيله!.

الأسلوب السادس: (الإيحاء):

قال تعالى: ﴿ .. **وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنّكم لمشركون** ﴾[الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ .. **شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض**

(١)ينظر: قواعد الترجيح عند المفسّرين لحسين الحربي: ١/ ١٣٧.

زخرف القول غروراً.. ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وهو وحي مضادّ لوحي الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فقد أخرج الطبري بسنده عن أبي زميل قال: كنت قاعداً عند ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ، وحجّ المختار بن أبي عبيد[١]، فجاءه رجل فقال: يا ابن عبّاس، زعم أبو إسحاق [يعني المختار] أنّه أوحي إليه الليلة! فقال ابن عبّاس: صدق. فنفرتُ! وقلت: يقول ابن عباس: صدق ؟! فقال ابن عبّاس: هما وحيان: وحي الله، ووحي الشيطان. فوحي الله إلى محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ووحي الشيطان إلى أوليائه. ثمّ قرأ ﴿ وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾[٢].

وأصل الوحي في اللغة: إعلام في خفاء[٣]، فهو إسرار، فقوله: ﴿**يُوحي بعضُهم إلى بعض..** ﴾ معناه: يُسِرُّ بعضُهم إلى بعض[٤].

وزخرف القول هو ما زُيّن وحُسّن بالباطل ليغترّ به من سمعه؛ فيضلّ عن سبيل الله[٥]. وهذه هي بضاعة أعداء الرسل وأتباعهم في كلّ زمان ومكان، ولولا ذلك؛ لما كان للباطل شأن يُذكر، ولما علا على الحقّ لحظة من

---

(١)هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، خرج بالكوفة في خلافة ابن الزبير، وأظهر محبّة أل البيت، وتتبع قتلة الحسين للثأر منهم، فانخدع به بعض العامة، ثم ادعى النبوة إلى أن قتل. (ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي: ١/ ٦١٠).

(٢) جامع البيان: ٥/ ٣٢٥.

(٣)ينظر: تاج العروس: ١/ ٨٦٤١.

(٤)ينظر: لسان العرب: ٦/ ٤٧٨٧، مادة: (وحى).

(٥)ينظر: جامع البيان: ٥/ ٣١٥.

الزمن. ولا يروج مثل هذا الزخرف من القول إلا على من خلا قلبه من الإيمان والبصيرة. وقد ورد في الحديث أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: " **يا أبا ذرّ، هل تعوّذت بالله من شرّ شياطين الجنّ والإنس** "، قال: يا نبي الله، وهل للإنس شياطين ؟ قال: " **نعم، شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** "[1].

وأمّا قوله ﴿ ليجادلوكم ﴾، فالمراد به: المغالطة ولبس الحقّ بالباطل، وما أكثر ما يسلك هذا المسلك أعداء الرسل بوحي من شياطينهم، ومن ذلك ما ورد في مسألة الميتة، أنّ المشركين قالوا: يا محمّد، أخبرنا عن الشاة إذا ماتت، من قتلها ؟ فقال: " **الله قتلها** ". قالوا أفتزعم أنّ ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟! فأنزل الله هذه الآية ﴿ **وإن أطعتموهم** ﴾ في أكل الميتة ﴿ **إنّكم لمشركون**﴾[2]، فهذا النوع من الجدال لا يعدو أن يكون ضرباً من المغالطة، والمهاترة، الغرض منها إبطال الحقّ، وإحقاق الباطل.

الأسلوب السابع: (الخذلان):

قال تعالى: ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾[الفرقان: ٢٩].

والخذلان هو " ترك المعاونة والنصرة وقت الحاجة ممّن يظن فيه ذلك"[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٨/ ٢١٧، برقم: ٧٨٧١.

(٢)ينظر معالم التنزيل: ٣/ ١٨٤، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ص١١١.

(٣) روح المعاني: ١٩/ ١٣.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: " أي يخذله عن الحقّ، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه "[١].

وقال البيضاوي ـ رحمه الله ـ: " يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه "[٢].

ومن ذلك: خذلان إبليس للمشركين يوم بدر لمّا ظهر لهم في صورة سراقة ابن مالك، وقال: إنّي جار لكم، فلـمّا رأى الملائكة؛ تبرّأ منهم. والقصّة معروفة ومشهورة.

وهذا الخذلان من الشيطان يكون في الدنيا والآخرة كما هو الظاهر، وقصره بعضهم على الآخرة[٣]والله تعالى أعلم ـ.

وإذا كان هذا هو حال الشيطان مع ابن آدم؛ فكذلك هو حال شياطين الإنس مع أوليائهم، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنّ أبا معيط كان يجلس مع النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط ! وقدم خليله من الشام ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل محمد ممّا كان عليه ؟ فقالت : أشدّ ممّا كان أمراً . فقال: ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء، فلمّا أصبح أتاه أبو

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣١٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ١/ ٢١٥.

(٣) هذا القول مرويّ عن قتادة كما في الدرّ المنثور للسيوطي: ٦/ ٢٥٣، واختاره ابن الجوزي في تفسيره: ص ١٠١٦.

معيط فحيّاه، فلم يردّ عليه التحية. فقال: مالك لا تردّ عليّ تحيّتي ؟! فقال: كيف أردّ عليك تحيّتك وقد صبوت ؟ قال: أوقد فعلتها قريش ؟ قال: نعم. قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟

قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم.. ففعل، فلم يزد النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أن مسح وجهه من البزاق، ثمّ التفت إليه فقال: إن وجدتك خارجاً من جبال مكة؛ أضرب عنقك صبرًا.

فلمّا كان يوم بدر وخرج أصحابه، أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال : قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا. فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدرَك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه.. فخرج معهم، فلمّا هزم الله المشركين، وحلّ به جمله في جَدَدٍ من الأرض[1]؛ فأخذه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء ؟! قال: " نعم بما بزقت في وجهي "، فأنزل الله في أبي معيط: ؟ ﴿ **ويوم يعضّ الظالم على يديه**﴾ إلى قوله ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾[الفرقان: ٢٧ – ٢٩][2].

الأسلوب الثامن: (الإتّباع):

قال الله تعالى: ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه**

(١) الجَدَد: ما استوى من الأرض وأصحر. ينظر: لسان العرب: ٣/ ١٠٧، مادة (جدد).

(٢) الدرّ المنثور: ٥/ ٠٦٨. وينظر: صحيح السيرة النبوية لمحمد ناصر الدين الألباني: ١/ ٢٠٥.

الشيطان فكان من الغاوين ﴾[الأعراف:١٧٥].

ومعنى (أتبعه الشيطان) أي: " صيّره لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن"[1]. وهذا هو جزاء من أطاع الشيطان، وآثر دنياه على آخرته.

والفرق بينه وبين الاستحواذ؛ أنّ الإتباع يكون عن علم ومعرفة، والله تعالى أعلم.

قال المفسّرون: نزلت هذه الآية في شأن رجل يقال له بلعم أو بلعام بن باعوراء، وكان من شأنه ما أخرجه ابن جرير بسنده، عن المعتمر عن أبيه أنّه سئل عن الآية: ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها..** ﴾ فحدث عن سيّار أنّه كان رجلاً يقال له بلعام، وكان قد أوتي النبوة، وكان مجاب الدعوة قال: وإنّ موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام – أو قال : الشأم – قال : فرعب الناس منه رعباً شديداً قال : فأتوا بلعام فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ! قال : حتى أوامر ربي ـ أو حتى أؤامر ـ قال : فوامر في الدعاء عليهم، فقيل له: لا تدع عليهم فإنّهم عبادي، وفيهم نبيّهم ! قال: فقال لقومه: إنّي قد وامرت ربّي في الدعاء عليهم، وإنّي قد نهيت. قال: فأهدوا إليه هدية فقبلها ثمّ راجعوه فقالوا: ادع عليه! فقال: حتى أوامر! فوامر فلم يُحر إليه شيء. قال: فقال: قد وامرت فلم يحر إليّ شيء! فقالوا: لو كره ربّك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرّة

(١) جامع البيان: ٦/ ١٢٢.

الأولى! قال: فأخذ يدعو عليهم، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحواً من ذلك إن شاء الله فقال: فقالوا: ما نراك تدعو إلا علينا! قال: ما يجري على لساني إلا هكذا، ولو دعوت عليه ما استجيب لي، ولكن سأدلّكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم: إنّ الله يبغض الزنى، وإنّهم إن وقعوا بالزنى هلكوا، ورجوت أن يهلكهم الله، فأخرجوا النساء فليستقبلنهم، وإنّهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا قال: ففعلوا وأخرجوا النساء يستقبلنهم. قال: وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به! قال: فقال أبوها أو بلعام: لا تمكني نفسك إلا من موسى! قال: ووقعوا في الزنى! قال: وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل، فأرادها على نفسه! قال: فقالت: ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى! قال: فقال: إنّ من منزلتي كذا وكذا، وإنّ من حالي كذا وكذا! قال: فأرسلت إلى أبيها تستأمره، قال: فقال لها: فأمكنيه. قال: ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما، قال: وأيّده الله بقوة فانتظمهما جميعاً، ورفعهما على رمحه. قال: فرآهما الناس ـ أو كما حدّث ـ قال: وسلّط الله عليهم الطاعون قال: فمات منهم سبعون ألفاً. قال: فقال أبو المعتمر: فحدثني سيّار: أنّ بلعاماً ركب حمارة له حتى إذا أتى الفلول ـ أو قال: طريقاً بين الفلول ـ جعل يضربها ولا تقدّم. قال: وقامت عليه فقالت: علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ قال: فإذا الشيطان بين يديه قال: فنزل فسجد له! قال الله: ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان

من الغاوين ﴾ إلى قوله: ﴿ لعلّهم يتفكّرون ﴾(١).

وما أكثر من أَتْبَعه الشيطان في هذا الزمان وفي كلّ زمان فصار يأتمر بأمر الشيطان، وينتهي لنهيه، من أهل العلم والدين والقرآن فنكص على عقبيه رغبة أو رهبة، فالله المستعان، وعليه التكلان.

الأسلوب التاسع: (الدعوة):

قال تعالى: ﴿ **إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ [فاطر:٦].

وقال تعالى: ﴿ **أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير** ﴾ [لقمان:٢١].

فالشيطان داعية من الطراز الأوّل، لكنّه إنّما يدعو حزبه إلى نار جهنّم عياذاً بالله تعالى.. ويوم القيامة حين ينكشف الغطاء، وتظهر الأمور على حقيقتها؛ يتنصّل الشيطان من دعوته، ويقول موبّخاً من استجاب له من حزبه: ﴿.. **وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم..** ﴾[إبراهيم: ٢٢].

العجب كلّ العجب من قوم يدعوهم داعي الرحمن إلى السعادة والجنان، فيأبون! ويدعوهم داعي الشيطان إلى الشقاوة والنيران؛ فيستجيبون، ﴿ **فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[الحجّ: ٤٦].

(١) جامع البيان: ٦/ ١٢٣.

المطلب الثاني:
(الأساليب الخاصّة بأولياء الرحمن)

وهي بإجمال:

١. التخويف.

٢. الكيد.

٣. الاستزلال.

٤. الرجز.

٥. الإيقاع بين المؤمنين

٦. النصح

٧. التدلية.

التفصيل:

الأسلوب الأوّل: (التخويف):

قال تعالى: ﴿ **إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه..** ﴾[آل عمران: ١٧٥].

أي يخوفكم أولياءه بأن يعظمهم في قلوبكم، وإلى هذا ذهب أكثر المفسّرين[١].

قال الإمام ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: " ومن كيد عدوّ الله تعالى: أنّه يخوّف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا

(١) ينظر: جامع البيان: ٣/ ٥٢٥، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٦٥، ومعالم التنزيل: ١/ ١٣٩، والوجيز: ١/ ٢٤٣.

ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿ **إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾، المعنى عند جميع المفسّرين: يخوّفكم بأوليائه ... ولهذا قال: (**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**)، فكلّما قوي إيمان العبد؛ زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلّما ضعف إيمانه؛ قوي خوفه منهم" [(١)].

وفي هذا الزمن الذي تفجرت فيه الثورة التقنية، وتطورت فيه الصناعات وتنوعت فيه الأسلحة الحربية وغيرها؛ وجد الشيطان ضالّته في التخويف بأوليائه، وبثّ الرعب في نفوس المؤمنين، وقد أثبتت بعض الوقائع المتأخرة أنّ هذه الأسلحة الحديثة المتطورة بجميع أنواعها لا تصنع شيئاً أمام صمود المؤمنين الصادقين، المتوكلين على ربّهم، نعم؛ هي قد تفتك ببعضهم، فيمضون إلى ربّهم شهداء، لكنّها لا تمكن العدوّ الغاشم من تحقيق أهدافه المطلوبة، إذ السلاح بحامله لا بحدّه كما يقال، وهذا لا يعني التهوّر وإلقاء النفس في التهلكة، فلا بدّ من الموازنة وعدم الحرص على ملاقاة العدوّ المتفوق في العدّة والعتاد قبل الاستعداد، ففي الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في بعض أيامه التي لقي فيها العدوّ، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيبا فقال: " **أيها الناس.. لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية،**

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ١/ ١١٠ (باختصار يسير).

فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف"[1].

الأسلوب الثاني: (الكيد):

قال تعالى: ﴿ **إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾[النساء: ٧٦].

فأثبت له كيداً، لكنّه كيد ضعيف، لا يروج إلا على أهل التقصير والغفلة والبعد عن الله، أو على أهل الجهل من العُبّاد الصالحين، فيوقعهم إمّا في إفراط وإمّا في تفريط.. ولا يبالي بأيّهما ظفر.

والكيد هو المكر والتدبير الخفي[2]، فهو يكيد لعباد الله المؤمنين لإهلاكهم والقضاء عليهم، وتفريق وحدتهم، ممتطياً ظهور أوليائه من أهل الشرك والنفاق، ومن ذلك ما صنعه يوم بدر من تشجيعه المشركين على قتال المؤمنين، وقوله لهم: ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾، فأظهر الله خزيه وضعف كيده في ذلك اليوم فقال سبحانه في تمام الآية: ﴿.. فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾[الأنفال : ٤٨]، وفي هذا يقول النبيّ ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: **" ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أُرى يوم بدر "**،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار.. برقم: ٢٨٠٤، ومسلم في كتاب الجهاد، باب كراهية تمني لقاء العدو، برقم: ١٧٤٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٦٩، والتحرير والتنوير: ١/ ٩٨٦.

قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: " **أما إنّه قد رأى جبريل يزع**[١] **الملائكة** "[٢].

فكيد الشيطان ضعيف كما أخبر الله تعالى، فلا ينبغي للمؤمن أن يضعف أمام هذا الكيد، فما هو إلا أن يحمل عليه حتى يولّي هارباً مَخْزِيّاً، وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنّه قال: " **إذا رأيتم الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه ﴿ إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾**"، قال مجاهد ـ رحمه الله ـ : "**كان الشيطان يتراءى لي في الصلاة، فكنت أذكر قول ابن عباس، فأحمل عليه، فيذهب عني**"[٣].

وفي هذا عون كبير لمن ابتلي بالوسواس، وتسلّط عليه الشيطان الخنّاس، فنعوذ بالله ربّ الناس من الوَسواس الخنّاس.

وفائدة مجيء (كان) في الآية التأكيد على إنّ كيد الشيطان منذ كان؛ موصوفاً بالضعف[٤]. وقد صنّف الإمام ابن القيّم ـ رحمه الله ـ كتاباً قيّماً سمّاه (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)، ذكر فيه أصنافاً من مكايد الشيطان ومصايده لابن آدم.

وإذا كان الكيد من أساليب الشيطان؛ فإنّ لحزبه نصيباً من هذا الكيد

---

(١) الوازع: الذي يتقدّم الصفّ فيصلحه ويقدّم ويؤخّر. (مختار الصحاح للرازي: ١/ ٧٤٠، مادة: (وزع) . وينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير: ٥/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ من رواية يحيى الليثي: ١/ ٤٢٢.

(٣) ينظر: الدرّ المنثور: ٢/ ٥٩٣.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ٢/ ٢٠٣.

يكيدون به عباد الله المؤمنين، وقد وصفه الله بأنّه كيد ومكر عظيم تكاد تزول منه الجبال الرواسي فقال سبحانه: ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾[إبراهيم: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿ **إنّهم يكيدون كيداً . وأكيد كيداً . فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً**﴾[الطارق: ١٥ – ١٧]. وهذا الكيد من أولياء الشيطان لأولياء الرحمن هو ما يطلق عليه اليوم: (نظرية المؤامرة)، وهو واقع وحاصل، وإن كان بعض المؤمنين ربّما بالغ في إثباته، وبعض المنهزمين فكرياً بالغ في نفيه. والحقّ وسط بين الطرفين.

الأسلوب الثالث: (الاستزلال):

قال تعالى: ﴿ **إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا..** ﴾[آل عمران: ١٥٥].

معنى استزلّهم: "طلب منهم الزلل ودعاهم إليه"[١]، والشيطان يتحرّى لحظات الضعف عند المؤمن ليوقعه في الزلل. والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ لمّا وقع من بعضهم ما وقع من مخالفة أمر نبيّهم وقائدهم ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يوم أُحد، كان ذلك عوناً للشيطان عليهم ليستزلهّم، ولهذا قال تعالى ﴿ ببعض ما كسبوا ﴾، وهكذا هي الذنوب تعين الشيطان على العبد حتى يقع في الزلل، وكما أنّ الحسنة تستدعي أمثالها من الحسنات، فكذلك السيئة تستدعي أمثالها من السيّئات، عصمنا الله منها بمنّه وكرمه.

---

(١) الكشّاف: ١/ ٢١٥.

هذا ما فعله الشيطان مع أبينا آدم وأمنا حوّاء ـ عليهما السلام ـ حتى أخرجهما من الجنّة، قال تعالى: ﴿ فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ [البقرة: ٣٦]، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: " ﴿ فأزلهما ﴾ بتشديد اللام بمعنى : استزلهما، من قولك: زلّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه "(١).

الأسلوب الرابع: (الرجز):

قال تعالى: ﴿ **ويُذهب عنكم رجز الشيطان** ﴾[الأنفال: ١١].

الرجز في اللغة يطلق على معان عدّة، منها: القَذَر، مثل الرجس(٢).

ويطلق على الأمر الشديد يَنْزِل بالناس، وعلى العذاب(٣).

وأَصل الرّجز في اللغة الاضطراب وتتابع الحَرَكات، ومنه رَجَز البعير؛ إذا تقارب خطوه واضطرب، لضعف فيه(٤).

وكلّ هذه المعاني داخلة في معنى الرجز في هذه الآية، فإنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ صبيحة يوم بدر أصاب غالبهم القذر وهو الاحتلام بما خيّل لهم الشيطان في منامهم، ونزل بهم أمر شديد، وهو الخوف وقلّة الماء، وأصابهم نوع من العذاب النفسي بسبب وساوس الشيطان، واضطرب أمرهم، حتى جاء الفرج من الله تعالى، فأذهب عنهم رجز الشيطان كلّه،

---

(١) جامع البيان: ١/ ٢٧٢.

(٢)ينظر: لسان العرب: ٣/ ١٥٨٩، مادة: (رجز).

(٣)ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٢/ ٤٦.

(٤)ينظر: تاج العروس: ١/ ٣٧٢٧، ٣٧٢٨، مادة (رجز).

وربط على قلوبهم، وثبّت أقدامهم.

أخرج الإمام الطبريّ بسنده من طريق ابن جريج عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "غلب المشركون المسلمين في أوّل أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون، وصلّوا مجنبين محدثين، وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، فقال: تزعمون أنّ فيكم نبياً، وأنّكم أولياء الله! وقد غُلبتم على الماء، وتصلّون مجنبين محدثين! قال: فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ ماءً من السماء، فسال كلّ واد، فشرب المسلمون وتطهّروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان "[1].

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: " وإضافته إلى الشيطان لأنّ غالب الجيش لّما ناموا احتلموا، فأصبحوا على جنابة، وذلك قد يكون خواطر الشيطان يخيّلها للنائم ليفسد عليه طهارته بدون اختيار، طمعاً في تثاقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصبح "[2].

هذا هو رجز الشيطان أعاذنا الله منه، وهو لا يكون إلا في الأوقات الصعبة، والمواطن الحرجة.

الأسلوب الخامس: (الإيقاع بين المؤمنين):

والمقصود: إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، وإنّ من أعظم أدواته في ذلك: الخمر والميسر، لما فيهما من إفساد العقول والأموال، الجالب للكثير من العداوات والبغضاء، ولذا شدّد الله في تحريمهما، وقرنهما بالأنصاب

(١)جامع البيان: ٦/ ١٩٤، ١٩٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٩/ ٣٧.

والأزلام التي هي رجس من عمل الشيطان، فقال سبحانه: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون . إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾[المائدة: ٩٠، ٩١].

فحري بالمؤمنين أن يجتنبوا هذين الداءين المفسدين، الجالبين للعداوة والبغضاء، وإن غُلّفا بغلاف شرعي مزوّر، باسم مشروبات روحيه، أو باسم مسابقات تجارية ونحوها من المسميات البرّاقة الخادعة، وما أكثرها في هذا الزمن، وما أكثر ضحاياها من المخدوعين من عُبّاد المال والشهوات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: " وأكثر الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات؛ شَرَبة الخمر كما قال تعالى: ﴿ **إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة..** ﴾، فجمعوا بين الشهوة المحرّمة، وترك ذكر الله وإضاعة الصلاة.. وكذلك غيرهم من أهل الشهوات "[1].

وإنّ ممّا يحرص عليه الشيطان في هذا الباب: إيقاع العداوة بين الزوجين، وهدم الأسر الآمنة المستقرّة، والذي هو غاية ما يتمنّاه هو وأولياؤه، كما جاء في الصحيح عن جابر قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ "**إنّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه**

(١) مجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٥٧.

منزلة أعظمهم فتنة! يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثمّ يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت "[1]. ولعلّ هذا هو السرّ في عناية الأعداء وحرصهم على هدم الأسر المسلمة، وتشجيع الشذوذ والانحراف وسائر العلاقات الجنسية المحرّمة، وربّما حاولوا فرض ذلك على المسلمين عبر مؤتمراتهم التي يدّعون أنّها للتنمية والإصلاح وما شابه ذلك.

ومن ذلك أيضاً: التحريش بين المصلّين في جزيرة العرب خاصّة؛ جزيرة الإسلام، فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: **" إنّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب؛ ولكن في التحريش بينهم "**[2].

ولا شيء أضرّ على أهل الإسلام من التفرّق والاختلاف وفساد ذات البين حيث يجد العدوّ المتربص بغيته في التوصّل إلى ما يريد.

الأسلوب السادس: (النصح):

قال تعالى: ﴿ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾[الأعراف: ٢١].

أصل النصح في اللغة: الخلوص. والناصح: الخالص من العسل وغيره، وكلّ شيء خلص فقد نصح، فالنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، برقم: ٢٨١٣. وليس بينه وبين الحديث المذكور ص ١٦ تعارض، فالأوّل إنّما هو في الإضلال كما جاء في نصّ الحديث، وهذا في الفتنة والتفريق، وبينهما فرق واضح.

(٢) المصدر السابق، برقم: ٢٨١٢.

إرادة الخير للمنصوح له[١]، فهي في الأصل لا تصدر إلا من محبّ مشفق لا يريد إلا الخير للمنصوح، لكنّها حين تغلّف بشيء من الحقد والحسد والغشّ والغيرة، تكون كارثة للمنصوح إن قبلها في ثوب نصيحة، وهذا ما فعله الشيطان مع أبينا آدم ـ عليه السلام ـ حتّى أخرجه من الجنّة، وقد أخرج الإمام الطبري بسنده عن قتادة في قوله: ﴿**وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين**﴾ قال: " فحلف لهما بالله حتى خدعهما، ـ وقد يُخدع المؤمن بالله ـ فقال: إنّي خُلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتّبعاني أرشدكما! وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خُدعنا"[٢].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة، فلمّا أكلا منها بدت لهما سوآتهما، وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة ورق التين، يلزقان بعضه إلى بعض، فانطلق آدم ـ عليه السلام ـ مولّياً في الجنّة، فعلقت برأسه شجرة من الجنّة، فناداه الله: يا آدم، أمنّي تفرّ ؟ قال: لا ولكنّي استحييتك يا ربّ. قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنّة وأبحتك منها مندوحة عمّا حرّمت عليك؟ قال: بلى يا ربّ، ولكن وعزّتك ما حسبت أنّ أحداً يحلف بك كاذباً! قال: وهو قول الله ـ عز وجل: ﴿ **وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين** ﴾[٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٦/ ٤٤٣٨، مادة (نصح).

(٢) جامع البيان: ٥/ ٤٥٠.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٤٥١.

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ: " إنّما رآهما على باب الجنّة، لأنّهما كانا يخرجان منها، وقد كان آدم حين دخل الجنّة، ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أنّ خلدا. فاغتنم ذلك منه الشيطان، فأتاه من قبل الخلد، فلمّا دخل الجنّة؛ وقف بين يدي آدم وحوّاء وهما لا يعلمان أنّه إبليس، فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وهو أوّل من ناح، فقالا له: ما يبكيك ؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة. فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمّا، ومضى إبليس ثمّ أتاهما بعد ذلك، وقال: يا آدم؛ هل أدلّك على شجرة الخلد ؟ فأبى أن يقبل منه، وقاسمهما بالله إنّه لهما لمن الناصحين، فاغترّا، وما ظنّا أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حوّاء إلى أكل الشجرة، ثمّ ناولت آدم حتى أكلها"[1].

فليحذر المؤمن الفطن من نصح الشيطان وحزبه، فإنّهم لو أرادوا خيراً لأحد؛ لكانوا هم أولى به لأنفسهم، ومتى كان اللصّ العدوّ ناصحاً؟.

الأسلوب السابع: (التدلية):

قال تعالى: ﴿ **فدلاهما بغرور** ﴾[الأعراف: ٢٢].

اختلفت أقوال المفسّرين في معنى قوله ﴿ فدلاهما ﴾..

فقيل هو الخداع، قال الطبريّ ـ رحمه الله ـ: " فخدعهما بغرور، يقال منه: ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور؛ بمعنى : ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل "[2].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي: ١/ ٨٣.

(٢) جامع البيان: ٥/ ٤٥١.

وهذا القول الذي قاله الطبري ـ في نظري ـ فيه نظر، فإنّ الطبري ـ رحمه الله ـ فسّر غرور الشيطان لابن آدم بالخداع كما سبق[١]، فيكون المعنى هنا على تفسيره في الموضعين: (فخدعهما بخداع)! وهو غير مناسب، فلا يصحّ تفسير التدلية بالخداع.

وقيل هو بمعنى الإخراج، يقال: أدلى دلوه: أرسلها. ودلاها: أخرجها[٢]، وهو بعيد أيضاً، لأنّ السياق يأباه، لقوله بعدها: ﴿ فلمّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما .. ﴾ وعلى هذا القول يكون المعنى: (فأخرجهما بغرور فلمّا ذاقا الشجرة..) وهو غير متّسق كما هو ظاهر، لأنّ الإخراج إنّما كان بعد أن ذاقا الشجرة، فهو نتيجة للتدلية وليس سابقاً لها.

وقيل: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، يقال: أدلى دلوه؛ أرسلها والمعنى: أنه أهبطهما بذلك من الرتبة العليا إلى الأكل من الشجرة[٣]. وهو تفسير معنوي للتدلية، وفيه نظر، إذ التدلية على المعنى الذي ذكروه أمر حسّي ظاهر، فكيف يفسّر بأمر معنوي!.

وقيل: دلاهما أي دلّلهما من الدالة وهي الجرأة، أي جرّأهما على المعصية، حتى أخرجهما من الجنة "[٤]. وهذا القول فيما يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ هو أرجح الأقوال في تفسير التدلية، وهو المتّسق مع السياق والمعنى.

---

(١) ينظر الأسلوب الثامن عشر من الأساليب العامة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٥٩.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ١/ ٢٢٠، وفتح القدير: ٢/ ٢٨٥.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٥٩. والوجيز: ١/ ٣٨٩.

وهكذا هو الشيطان يجرّيء بني آدم على معاصي الله ويطمعهم فيها بالحيلة والمكر حتى يقعوا فيها فيكونوا من حزبه، وهذا هو غرضه منهم.

هذا ما وقفت عليه من أساليب الشيطان في الإغواء في القرآن الكريم، والله تعالى أعلم، وصلّى الله على نبيّنا محمّد.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وبعد:

فهذه أساليب الشيطان كما وردت في القرآن الكريم، جمعتها استقراءً وعلّقت عليها، والذي يمكن أن نخلص إليه ـ بعد معرفة هذه الأساليب وسبر أغوارها ـ ما يلي:

١. أنّ الشيطان عدوّ لابن آدم شديد العداوة، وقد حذّرنا الله منه، فقال: ﴿**إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾[فاطر:٦].

٢. أنّه عدوّ دائم، لا يغفل، ولا ينام، ولا يموت إلى قيام الساعة، فهو مسلّط على ابن آدم، وعداوته مستمرّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ **قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنّك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾[الحجر: ٣٦- ٣٨].

٣. أنّه ليس وحده في الميدان، بل له جنوده وأتباعه وحزبه، من شياطين الإنس والجنّ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وهو يبعثهم، ويشرف عليهم، ويمارس معهم بعض أساليبه في الإضلال والإغواء.

٤. أنّ معرفة أساليب الشيطان وطرقه ومداخله في الإغواء، أمر ضروري لتفادي هذه الأساليب والسلامة منها، والنجاة من شراكها، ومن لا

يعرف الشرّ من الخير يوشك أن يقع فيه، وهذا هو الغرض الرئيس من هذه الدراسة.

٥. أهميّة اللجوء إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ والاعتصام به ـ بعد معرفة هذه الأساليب ـ بالمحافظة على الأذكار الشرعية، والتحصّن بها، والبعد عن المعاصي والذنوب التي تعين الشيطان على نفس الإنسان، وهذا خير وقاء: ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾[آل عمران: ١٠١].

٦. أنّ أساليب الشيطان في الإغواء كثيرة ومتنوعة، وبعضها مترتّب على بعض، فلا يبالي الشيطان بأيّها ظفر، فليكن ابن آدم منها على حذر: ﴿**قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]. ولم يقل من فوقهم لأنّ الرحمة تنزل من فوقهم[1].

٧. أنّ هذه الأساليب الشيطانية قلّ من ويسلم من حبائلها، وينجو من شراكها من بني آدم، فمستقلّ ومستكثر، ولهذا قال الشيطان ـ كما حكى الله عنه ـ: ﴿ **لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً** ﴾[النساء: ١١٨]، قال البغويّ: " أي حظّاً معلوماً، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه "[2]. لكنّ المؤمن التقيّ ـ كما أخبر الله تعالى ـ حيّ يقظ سريع الرجوع: ﴿ **إنّ**

(١) ينظر: جامع البيان: ٥/ ٤٤٧.

(٢) معالم التنزيل: ٢/ ٢٨٨.

الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

هذا ما أردت التنبيه عليه في هذه الخاتمة، سائلاً المولى ـ عزّ وجلّ ـ بمنّه وإحسانه وكرمه ـ أن يعصمنا من كيد الشيطان ومكره، ومن شرّ جنده وحزبه، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن عليّ الرازي الجصّاص: بيروت: دار الكتاب العربي: ١٣٣٥هـ.
- أحكام القرآن لأبي بكر محمّد بن عبد الله ابن العربي: بيروت: دار المعرفة. تحقيق: علي البجاوي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمّد ابن محمّد العمادي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيّم الجوزيّة، بيروت: دار المعرفة.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ، تحقيق : محمد حامد الفقي.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي، بيروت؛ دار الفكر، ١٤٠٦هـ.
- الإيمان لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة – ١٤١٣ هـ. خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.
- البحر المحيط لأبي حيّان محمّد بن يوسف الأندلسيّ: ط١؛ بيروت: دار الكتب العلميّة: ١٤١٣هـ. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوّض.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض السيّد مرتضى الحسيني الزبيدي، بيروت؛ دار الفكر: ١٤١٤هـ. دراسة وتحقيق: علي شيري.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة؛ دار الحديث، الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥ تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم.
- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري: الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلميّة: ١٤١٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمّد بن أحمد القرطبيّ: الطبعة الثانية؛ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.
- الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الأولى.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف –

الرياض.

- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد عوّامة.
- سنن ابن ماجه؛ للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن النسائي الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن.
- السنّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٠٦.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة للالكائي، دار طيبة – الرياض: ١٤٠٢هـ، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.
- شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- صحيح سنن أبي داود، لمحمّد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري: الطبعة

الأولى؛ دمشق: دار القلم: ١٤٠١هـ. اعتنى به: د. مصطفى ديب البغا.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ، الطبعة الثالثة.
- صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح ابن خزيمة؛ محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
- صحيح سنن أبي داود لمحمّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت : ١٤٠٩هـ. الطبعة الأولى.
- صحيح السيرة النبوية لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية: عمّان – الأردن، الطبعة الأولى.
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري: الرياض: مكتبة الرشد: ١٤٢٢هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني: الطبعة الأولى؛ جدّة: دار القبلة. بيروت: مؤسّسة علوم القرآن: ١٤٠٨هـ. تحقيق: شمران سركال.
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم.

- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمّد ابن علي الشوكاني: الطبعة الأولى؛ دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيّب: ١٤١٤هـ.
- قواعد الترجيح عند المفسّرين لحسين الحربي، دار القاسم ـ الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٨، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: بيروت، دار المعرفة.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، مطبعة الفلاح، الطبعة الأولى.
- لسان العرب لأبي الفضل محمّد بن مكرّم بن عليّ ابن منظور: القاهرة: دار المعارف. تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم.
- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق : محمود خاطر.
- مسند الإمام أحمد، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى:

١٤١٣هـ. إشراف: د. سمير المجذوب، إعداد: علي الطويل، وسمير حسين.

- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة؛ مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- معالم التنزيل لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي، الرياض: دار طيبة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ. تحقيق وتخريج: محمّد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش.
- معاني القرآن الكريم للنحّاس، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ تحقيق : محمد علي الصابوني.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجّاج، بيروت ـ عالم الكتب: ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي.
- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي – مصر. الطبعة الأولى، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م،

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحديّ: الطبعة الأولى؛ دمشق: دار القلم: ١٤١٥هـ. تحقيق: صفوان عدنان.

الأصول العلمية والإيمانية
لفهم كتاب الله - عز وجل -

إعداد

د. عيسى بن ناصر الدريبي

د. عيسى بن ناصر الدريبي

- أستاذ مشارك بكلية المعلمين بجامعة الملك سعود.
- عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه (تبيان).
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بأطروحته (منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (فتح المنان بتفسير القرآن للحسن عاكش الضمدي من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة المائدة - دراسة وتحقيق).

ملخص البحث

سيعالج هذا البحث مسألة المنهجية العلمية لتفسير كلام الله من خلال الحديث عن الأصول العلمية والإيمانية لفهم لكلام الله من خلال :

تتبّع أهم أصول فهم النص القرآني في ضوء محددات :

١ – ظروف نزول النص من العلم بأسباب النزول وأماكن النزول وأثرهما في التفسير

٢ –فهم لغة النص، وهواللسان الذي نزل به القران من علم غريب القرآن، وأساليب القرآن في المخاطبات ،وعاداته ،وكليات الألفاظ ، ودلالاتها.

٣–المنطلقات الفكرية والعقدية وأثرها في توجيه التفسير نحو الوجهة السليمة.

وسأعتمد في كثير من الأمثلة تفسير السلف لأنهم النموذج الأمثل في تطبيقات المحددات السابقة

وينبغي بل يجب أن نجعل من تفسيرهم محددات علمية للشروط العلمية والضوابط المنهجية للتفسير، فقد توافر لهم ما لم يتوافر لغيرهم من الإحاطة باللغة ،والفهم السليم، ففهمهم للقرآن يؤيده:

١ – فهم اللغة

٢ –إحاطتهم بظروف نزول القران مكاناً وزماناً .

٣– سلامتهم من الانحرافات العقدية والفكرية،وتعظيمهم للقرآن .

مما جعلهم تراثهم التفسيري النموذج الأمثل الذي نستقي منه الأصول العلمية المنهجية ،والأسس الإيمانية والعقدية لتفسير القرآن.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:

فان علم التفسير علم شريف القدر؛ لارتباطه بكلام الله –عزوجل– ولقد تسابق علماء هذه الأمة منذ العهد المبارك –عهد رسول الله ﷺ – من الصحابة الكرام وتابعيهم إلى هذا الشرف ، ففسروا القرآن معتمدين على أصول علمية ومنهجية منضبطة في التعامل مع كتاب الله ، مع تهيبهم من الإقدام على هذا الأمر تعظيما لكتاب الله أن يقال فيه فيخطئ .

وقد تركوا تراثا علميا له قيمة عالية ،من حيث المعاني والدلالات ، ومن حيث المنهج.

ونحن بحاجة ماسّة إلى تتبع هذا المنهج في التعاطي مع التفسير ، وخاصة في ظل أمرين هامين هما :

أولهما :ضعف المنهجية العلمية ممن يقدم على هذا الأمر .

وثانيهما : وجود مناهج تفسيرية منحرفة –إما بجهل ،أو بضلال عن علم – للطعن في شريعة الله وتعطيل حدوده وشرائعه تحت عدة دعاوى مضللة ،من مثل القراءات الحديثة للنص القرآني التي نرى في بعض أطروحاتها عزل النص القرآني عن قائله ،فيتعامل معه على أنه نص تاريخي –كما يقولون– ، أو عزلهم فهم النص عن وقت ظروفه المساعدة على فهمه، أو الادعاء بأن بعض الأحكام كانت لمعالجة وضع معين في زمن معين فيبقى هذا النص في حدود تلك الحقبة ،ولايعمم على وضعنا الحالي ..الخ ماتتفوه به ألسنة ،وماتسطره أقلام تهدم وتفسد ،وتتجرأ على قدسية القرآن.

من هنا كان لزاماً على أهل العلم الشرعي –عموما–،والمعنيين بالدراسات القرآنية –خصوصا– تولّي زمام المبادرة لحماية جناب كلام الله من تحريف المحرفين وباطل المبطلين.

ومن أهم سبل ذلك: بيان الجادّة لمن يتولى هذا العلم الشريف ،ووضع المنهجية العلمية السليمة لأصول التفسير،وأعلى نموذج علمي متميز هو نموذج تفسير السلف بما يوافر لديهم من الأصول العلمية والمنهجية ، والقواعد الإيمانية وسلامة العقيدة والفكر من الانحرافات الفكرية، وخلوصهم من الأهواء التي نشأت بعدهم فأثّرت في مناهج التفسير.

وأحببت أن أضع لبنة في هذا الطريق، باستقراء شيء من تفاسيرهم للخروج بهذه الرؤية ،وهي خطوة على بداية هذا الطريق ،تحتاج إلى تتبّع أوسع ، وبسط أكثر ،ولكني أردتها بدايات لمشروع أوسع مما جعلني أكتفي بهذه البداية .

وقد رسمت خطة البحث المنهجية التي أردت منها وضع الأطر العامة لهذا الموضوع ،واختصرت في التأصيل والتمثيل ليكون هذا البحث بمثابة القواعد الرئيسة لهذا الموضوع ،فأصبحت الخطة مكونة من ثلاثة مباحث ،وخاتمة، كالتالي :

خطة البحث:

المبحث الأول: فهم ظروف نزول النص،وهو يدور حول السياق الزمني وأثره في فهم النص. وفيه أصلان هما :

الأصل الأول: العلم بأسباب النزول وأثره في فهم المنزل.

الأصل الثاني : العلم بمكان النزول وأثره في فهم النص القرآني.

المبحث الثاني :ويدور حول فهم لغة النص ، السياق اللغوي وأثره في فهم القران:

وفيه ثلاثة أصول :

الأصل الأول :مفردات اللغة العربية(غريب القران).

الأصل الثاني :كليات القران

الأصل الثالث :دلالات الألفاظ (المطلق والمقيد ،العام والخاص ،المنطوق والمفهوم..)

المبحث الثالث : الأساس العقدي والإيماني ،ويدور حول المنطلقات الفكرية للمفسر، أوالخلفية الفكرية للمفسر وأثرها في التفسير،وهو يعتمد على أصلين هما:

١- صحة العقيدة ونقاؤها.والخلوص من الأهواء.

٢- تقديس كلام الله وتعظيمه (التهيب من الإقدام على التفسير)

المبحث الرابع : الأصول المنهجية في التفسير:

وهذه المنهجية تعتمد على أصول أهمها:

١- الالتزام بالحقيقة في التفسير

٢- الالتزام بالظاهر في التفسير.

٣-السياق القرآني وأثره في التفسير

المبحث الأول:

فهم ظروف نزول النص

وهو يدور حول السياق الزمني وأثره في فهم النص.

السياق الزمني من السياقات المؤثرة في فهم النص بشكل لا يقبل الجدل ،لأن القرآن لا يمكن فهمه بدون ظروف نزوله ، وقد نزل القرآن مفرقا في ثلاث وعشرين سنة ،اختلفت مواضيعه حسب مراحل نزوله في المرحلة المكية عن المرحلة المدنية، إضافة إلى أن بعض آياته نزلت بسبب ما ، وبعض الآيات نزلت في ظروف ولعلاج بعض عادات العرب الفاسدة ، وكل هذه الأمور تؤكد أن من أهم أصول تفسير القرآن معرفة كل ذلك .

وفهم ظروف نزول النص وأثره في التفسير ، سنبينه من خلال الحديث عن أصلين هاميّن ، مدعّما ذلك بالأمثلة:

الأصل الأول: العلم بأسباب النزول وأثره في فهم المنزل.

من المتفق عليه بين علماء التفسير أهمية العلم بأسباب النزول من حيث تأثيره في فهم القرآن ؛لأنه كما يشتهر أن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقد أكد المفسرون على ذلك فقال الواحدي :" إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ماتصرف العناية إليه،لامتناع تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" [1].

ويؤكد الإمام ابن دقيق العيد ذلك بقوله:"بيان سبب النزول طريق

(١) الواحدي ، أبوالحسن ،أسباب النزول ص(٤)

قوي في فهم القرآن" [١].

وقد كان لتوفر معرفة سبب النزول لسلف هذه الأمة وعلى رأسها صحابة رسول الله الأثر الكبير في فهم القران وإزالة الإشكالات في عدم فهمه على الوجه الصحيح ،ولذا عدّه ابن عباس سببا رئيسا في اختلاف الأمة في فهم القرآن ، فقال حينما رأى عمرا -رضي الله عنه -،وقد خلا بنفسه وهو يحدثها بقوله: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟!

فقال ابن عباس :"يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه،وعلمنا فيم نزل ؟ وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ،ولا يدرون فيم نزل ..." [٢]

فهاهو ابن عباس حبر الأمة وبحرها يجعل جهل سبب نزولات القرآن من أهم أسباب الانحراف في فهم نصوص القرآن ،

ولذا فان النظر للقرآن كنصٍّ مجرّد من ظروف نزوله مؤذن بانحراف التفسير ، فالقرآن له عدة مكونات مهمة تسهم في فهمه الفهم الصحيح. ومن أعظم ذلك معرفة أسباب النزول ، وأمثلة ذلك كثيرة.

ومنها :تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [٣]، فان هذه الآية يصعب فهمها من غير معرفة سبب نزولها.

---

(١) نقله السيوطي في الإتقان(١/ ٨٤)

(٢) ذكره الامام الشاطبي في الموافقات (٣/ ٢٥٩)

(٣) البقرة: ١٨٩.

ومعرفة سبب النزول يفكّ الغموض عن هذه الآية ،فما علاقة دخول البيوت من أبوابها أو من ظهورها بالتقوى ؟ ولكن سبب النـزول يكـشف لنا ذلك ، فقد روى لنا البراء بـن عـازب –رضي الله عنـه– أن الأنـصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا مـن ظهورهـا .قـال :فجـاء رجـل مـن الأنصار فدخل من بابه ،فقيل له ذلك ، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1).

وسبب النزول يصحّح الفهم المغلوط الذي قد يفهم حينما لا يعـرف المفسّر أو النّاظر في الآية سبب النزول ،

ومثال ذلك: ما حصل لقدامة بن مظعون حينما فهـم أن قولـه تعـالى : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (2)، يرفـع عنه الجلد لو شرب الخمر.

فقـد روي أن الجـارود قـدم عـلى عمـر –رضي الله عنـه – فقـال : إن قدامة شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول ؟ قال الجارود :أبـو هريرة يشهد على ما أقول، وذكر الحديث، فقال عمر: يا قدامة إني جالـدك، قال: والله لو شربت كما يقولون ماكان لك أن تجلدني،فقال عمر :ولم؟ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الحج ،باب قوله تعالى :وليس البر بأن تأتوا البيوت (٢/ ٦٣٩) برقم (١٧٠٩)،وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب التفسير برقم (٣٠٢٦)

(٢) المائدة: ٩٣.

لأن الله يقول: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ .

فقال عمر :إنك أخطأت التأويل يا قدامة ،إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرّم الله، وفي رواية:لم تجلدني؟بيني وبينك كتاب الله.فقال عمر: وأيّ كتاب الله تجد أني لا أجلدك؟ قال :إن الله يقول في كتابه ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ... الآية ،فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا،شهدت مع رسول الله بدرا وأحدا،والخندق والمشاهد، فقال عمر: ألا تردّون عليه قوله؟ فقال ابن عباس:إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرا للماضين ،وحجة للباقين،فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل إن تحرّم عليهم الخمر، وحجة على الباقين لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [(١)]، ثم قرأ آخر الآية الأخرى، فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات،ثم اتقوا وآمنوا،ثم اتقوا وآمنوا،ثم اتقوا وأحسنوا فان الله قد نهى أن يشرب الخمر، قال عمر :صدقت) [(٢)].

إذا لا يمكن عزل النصّ القرآني عن ظروف نزوله ،وأسبابها ،ومن يتجرّأ على ذلك أو يجهله فسوف يقوم مقاما خطيرا في تفسير كتاب الله كما حصل لقدامة بن مظعون حينما غاب عنه سبب نزول هذه الآية.

---

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى ،كتاب حدّالخمر (٣/ ٢٥٢)برقم ٥٢٨٨،والدار قطني (٣/ ١٦٦) برقم ٢٤٥،والحاكم في مستدركه (٤ / ٣٧٥-٣٧٦)

وفي هذا المثال يقعّد ابن عباس تطبيقيا لأهمية العلم بأسباب النزول في فهم القران.

- **بل إن الاعتماد على اللغة وتجاهل أسباب النزول قد يجعل المفسر يحمل الآية على غير معناها.**

ومثال ذلك :ما جاء عند تفسير تثبيت الأقدام في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[(١)].

قال أبو عبيدة:" مجازه : يفرغ عليهم الصبر ،وينزله عليهم ،فيثبتون لعدوهم " [(٢)].

وعند التأمل في قصة نزول الآية نعلم أن المعنى اللغوي الذي ذكره غير مراد ، وقد خطّأ ابن جرير هذا التفسير، وبيّن أنه مخالف لقول الصحابة والتابعين المستند على قصة نزول الآية، وأن المعنى الصحيح هو المعنى الذي يدل عليه قصة النزول [(٣)].

وهو: أن الله يثبت أقدامهم التي يمشون بها على الرمل كي لا تسوخ فيه ، كما وردت بذلك الرواية عن ابن عباس حيث يقول : وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها ،نزلوا على الماء يوم بدر ،فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلّون

(١) الأنفال: ١١.

(٢) المثنى، أبو عبيدة معمر (مجاز القرآن ١ / ٢٤٢)

(٣) الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير (جامع البيان ١١/ ٨٦)

مجنبين ومحدثين ،حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي ،فشرب المسلمون ،وملأوا الأسقية ، وسقوا الركاب ، واغتسلوا من الجنابة ،فجعل الله في ذلك طهورا ،وثبّت الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله عليها مطرا، فضربها حتى اشتدت ،وثبتت عليها الأقدام "

الأصل الثاني : العلم بمكان النزول وأثره في فهم النص القرآني.

المقصود بهذا الأصل : معرفة المكي والمدني .

فما هو المكي والمدني ؟ علم المكي والمدني علم يتتبع أماكن نزول القرآن ،ويحدد هوية السور والآيات من حيث هل هي نزلت في المرحلة المكية أو المدنية؟.

وقد اختلفت وجهات نظر العلماء في تعريف هذا العلم ،حسب ثلاثة اعتبارات، فمنهم من اعتبر زمن النزول ،ومنهم من اعتبر المخاطب ،ومنهم من اعتبر مكان النزول، وليس هذا مكان تفصيل مناقشة الردود ، ولكننا نأخذ القول الراجح في ضابط المكي والمدني، وهو اعتبار زمن النزول ،لأنه حاصر وضابط ومطّرد.

يقول ابن عطية : " وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي فهو مدني، سواء نزل بالمدينة، أو في سفر من الأسفار،أو بمكة ، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة " [1].

(١) ابن عطية (المحرر الوجيز ٥ / ٥)

وهو أشهر الأقوال ،كما ذكر الزركشي والسيوطي [1].

لقد أبدى صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –اهتماما بالغا بتتبع أماكن نزول القرآن ،لما لمعرفة مرحلة نزول السورة أو الآية من أثر في فهمها ، وفي موضوع التعامل مع الآيات الواردة في موضوع واحد والحكم مختلف عن طريق النسخ عند عدم إمكانية الجمع.

يقول ابن مسعود:"والله الذي لا إله إلا هو ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه " [2].

وفي ذلك يقول مكي بن أبي طالب :"ويجب أن تعلم المكي من السور والمدني ،فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ والمنسوخ " [3].

ويقول أبو جعفر النحاس: "وإنما يذكر ما نزل بمكة و بالمدينة، لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ،لأن الآية إذ كانت مكية وفيها حكم،وكان في غيرها مما نزل بالمدينة حكم غيره،علم أن المدنية نسخت المكية "[4].

وفي نفس السياق يقول الإمام القرطبي : "وينبغي له أن يعرف

---

(١) الزركشي ،(البرهان:١ /١٨٨،) والسيوطي (الاتقان ١ / ٢٦) وقد رجح ذلك كثير من العلماء

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي (٤ / ١٩١٢) برقم ٤٧١٦

(٣) القيسي، مكي ابن أبي طالب (الناسخ والمنسوخ ١١٣-١١٤)

(٤) النحاس ، (الناسخ والمنسوخ (٢ / ٦١١)

المكي من المدني ،ليفرق بين ماخاطب الله به عباده في أول الإسلام ،وما ندبهم إليه في آخره وما فرض في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القران " [١].

ومعرفة المكي والمدني له أثره في فهم معنى الآية ومدلالوتها

فهذا سعيد بن جبير يعتمد على موضوع المكي والمدني في تصحيح فهم آية في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [٢]، فقد أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن أبي بشر قال :قلت لسعيدبن جبير ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ قال : "هذه السورة مكية ،فكيف يكون عبدالله بن سلام ؟! قال :وكان يقرؤها(ومِن عِندِه علم الكتاب) يقول: مِن عندِ الله ." [٣].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [٤]، يرفض القرطبي تفسيرها بماذكر في سورة المائدة اعتمادا على أن هذه الآية مكية ، فيقول :" قيل : ﴿فَصَّلَ﴾ ،أي: بيّن ،وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [٥]، قلت –القائل القرطبي -:هذا فيه نظر ،فإن "الأنعام مكية و"المائدة" مدنية ، فكيف يحيل بالبيان على مالم ينزل

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي (١ / ٢١)

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان ١٣ / ٥٨٦)

(٤) الأنعام: ١١٩.

(٥) المائدة: ٣.

بعد؟"[1].

ومن هنا نؤكد أن من يتجاهل أو يتعمد فصل النصّ القرآني عن ظروف نزوله ويتعامل معه كنصّ مجرد سوف ينقطع دون فهم بعض الآيات، وسيقع في جملة من الأخطاء الخطيرة.

معرفتهم بعادات العرب وأحوالهم :

يعد هذا السياق الزمني التاريخي من الأصول المؤثرة في فهم القرآن ، ومعرفة ذلك يكشف اللثام عن بعض الآيات ، ومن أمثلة ذلك : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [2]، فهذه الآية لا يمكن فهمها هذه دون معرفة عادة العرب التي تحدثت عنه الآية

فقد كانت قريش تقول : نحن الحُمس أهل الحرم ولانخلف الحرم، ونفيض من مزدلفة ، فأمروا أن يبلغوا عرفة ،جاء هذا عن مجاهد،وقتادة، والسّدي، وغيرهم [3] ، فهذه الآية يحتاج فهمها إلى فهم عادات العرب في الحجّ، وجهل هذا لايمكن معه فهم (من حيث أفاض الناس) ما المقصود بالناس هنا، وما المقصود بالحيثية؟

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي (٧ / ٧٣)
(٢) البقرة: ١٩٩.
(٣) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان ٤ / ١٨٧)

المبحث الثاني :

وهو الأصل الذي يدور **حول فهم لغة النص ،السياق اللغوي وأثـره في فهم القران: وفيه ثلاثة أصول:**

١ - مفردات اللغة العربية(غريب القران)

٢ -كليات القران.

٣-دلالات الألفـاظ (المطلـق والمقيـد ،العـام والخـاص ،المنطـوق والمفهوم..)

نـزل القـرآن الكـريم بلغـة العـرب ،فكـان العـرب يفهمـون مفرداتـه ويعلمون تفسيرغريبها ،ويدركون معانيها ، ويتـذوقون الأسـلوب القـرآني البليغ .

ولقد كان صحابة رسول الله عربـا أقحاحـا يفهمـون غالـب القـرآن؛ لأنه نزل بلغتهم ،وكانوا يستشهدون بالشعر العربي لبيـان غريـب القـرآن، ويدركون أساليب القرآن في التعبير؛ لأنـه نـزل عـلى أسـاليبهم ، ويعرفـون كلياته وعاداته.

وسوف أتحدث هنا عن ثلاثة أصول تعدّ أهم أصول السياق اللغـوي ،مع أهمية أصول أخر كأساليب الخطـاب ،وعـادات القـرآن، ولكـن ضـيق مساحة البحث حالت دون الحديث عن ذلك.

الأصل الأول :مفردات اللغة (غريب القرآن).

المراد به: العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم. [1].

إدراك هذا الأمر من أهم ما يبدأ به المفسّر،وكذا كان المفسرون من السلف وعلى رأسهم صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والتابعون من بعدهم، يقول الإمام الشاطبي : "وما نقل من فهم السلف الصالح في القرآن ،فإنه كله جار على ما تقضي به العربية ، وما تدل عليه الأدلة الشرعية" [2].

فهذا ابن عباس قد بيّن جملة من غريب القرآن ،واستشهد على ذلك بالشعر العربي وذلك في مسائله المشهورة مع نافع بن الأزرق .

ويؤكد على أهمية ذلك الإمام مالك فيقول :"لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالا"[3]

وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني :"وذكرت أن أول ما يحتاج إليه أن يشتغل به – من علوم القرآن – العلوم اللفظية ،ومن العلوم اللفظية :تحقيق الألفاظ المفردة ،فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللّبن في بناء ما يريد أن يبنيه..."[4].

---

(١) المرعشلي ،يوسف (من مقدمته في تحقيقه لكتاب العمدة في غريب القرآن لمكي ص ١٤)

(٢) الشاطبي ، أبو اسحاق (الموافقات ٣/ ٤٠٤)

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٢٣٢)

(٤) الأصفهاني ، الراغب (ص ٥٤)

قال الشاطبي : "فمن أراد تفهّم القرآن ،فمن جهة لسان العرب يفهم، ولاسبيل إلى تطلّب تفهمه من غير هذه الجهة " [١].

ولذا فإن تفسير كلام الله الذي لايؤخذ من دلالة ألفاظ الآية فهو رد على قائله [٢].

وهذا الأمر متقرّر عند سلف الأمة ،فهاهو ابن عباس يرى أن وضع كلام الله في غير موضعه من الإلحاد .

فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ [٣] : الإلحاد في آيات الله: أن يوضع الكلام على غير موضعه [٤]، قال السيوطي–بعد أن ذكر تفسير ابن عباس السابق–: ففيه الرد على من تعاطى تفسير بما لا يدل عليه جوهر اللفظ ،كما يفعله الباطنية ، والاتحادية ، والملاحدة، وغلاة الصوفية) [٥].

وأقول إن أصحاب القراءات الجديدة للنص القرآني يلحقون بهذه الطوائف، لأن تفسيرهم للقرآن تفسير بما لا يدل عليه جوهر اللفظ .

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يعدد أسباب الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال :

---

(١) الشاطبي ،أبواسحاق (الموافقات ٢/ ٦٤)

(٢) الحربي ،حسين (قواعدالترجيح ٢/ ٧)

(٣) فصلت: ٤٠.

(٤) الطبري : (جامع البيان ٢٤ / ١٢٣)

(٥) السيوطي : (الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢٢٩)

وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف ، وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل ،فهذا أكثر مايقع فيه الخطأ من جهتين –حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.. "[1].

(١) ابن تيمية، (مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥٥)

الأصل الثاني :كليات القرآن:

المقصود بها: ورود لفظ أو أسلوب في القرآن على معنى أو طريقة مطردة أو أغلبية [١] .

والفرق بين كليات الألفاظ وكليات الأساليب ،أن الألفاظ ما كان مدار الكليّة فيها على لفظ أو جملة أو تركيب معين ،سواء أفاد هذا معنى وتأويلا،أو طريقة ونهجا لما سارت عليه اللفظة أو الألفاظ في القرآن، واستخدمت فيه من مجال ،وسيقت له من مقام .

بينما الأساليب لاتُحدّ ولا تقيّد بلفظ خاص أو ألفاظ بعينها، بل هي تتجه إلى نهج القرآن وطريقته في نظمه ، أو عرضه لكثير من القضايا والموضوعات ،كموضوع القسم في القرآن ،والجمع بين الترغيب والترهيب ،وحكاية المحاورات والمجاوبات وغيرها [٢].

وللكليات صيغ أشهرها : "كل" ، و"حينما" و"أينما"، و"حيث ورد في القرآن "أو "حيث جاء في القرآن "، و"جميع ماورد في القرآن" ، و"عامة ماورد في القرآن "،و"عادة القرآن ".

والعلم بهذه الكليات سواء في الألفاظ أوالأساليب من الأصول الهامة جدا في فهم كتاب الله ، ولذا عني بها سلف الأمة من مفسريها وخاصة في الألفاظ .

ولذا حوت كتب التفاسير كما وفيرا من هذه الكليات ،وعلى رأس

---

(١) القرني ،بريك (كليات الألفاظ في التفسير ١/ ١١٨)

(٢) القرني ،بريك (كليات الألفاظ في التفسير ١ / ١١٨)

هؤلاء ابن عباس –وهو أكثرهم–،ومجاهد ،وقتادة ،والضحاك ،وعطاء ، وعكرمة ،وسعيد بن جبير

ومن أمثلة كليات الألفاظ قول ابن زيد :"والتزكّي في القرآن كله الإسلام "وقرأ قول الله : ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١)، قال :من أسلم ،وقرأ ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ (٢)، قال: يسلم، وقرأ ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ (٣)، قال: يسلم "(٤).

قال ابن عباس :كل "تسبيح "في القرآن :صلاة . . (٥) .

ويقول مجاهد :"الخير " في القرآن كله المال (٦)، وقال عكرمة :"الخير" حيث وقع في كتاب الله المال (٧).

وهذا الأصل اعتمده السلف في ترجيح أقوالهم وتأييدها ،ومن ذلك أن ابن عباس –رضي الله عنهما– في نقاشه لنافع بن الأزرق في معنى كلمة "الورود" استدلّ على ما يذكره بالغالب في استعمال القرآن لهذه الكلمة ، فقد قال ابن عباس أن معنى الورود في قوله تعالى "وإن منكم إلا واردها": الدخول ،فقال نافع :لا، فقرأ ابن عباس ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن

---

(١) طه: ٧٦.

(٢) عبس: ٣.

(٣) عبس: ٧.

(٤) الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير(جامع البيان ٢٩ / ٧٩)

(٥) الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير(جامع البيان ١٨/ ١١٣)

(٦) الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير(جامع البيان ٣/ ٣٩٣)

(٧) الأندلسي ،ابن عطية (المحرر الوجيز (١٥ / ٥٥٠)

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[١]، أورودٌ هو أم لا؟ وقال : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾[٢]، أورودٌ هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها ،فانظر هل نخرج منها أم لا؟[٣].

(١) الأنبياء: ٩٨.

(٢) هود: ٩٨.

(٣) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان ١٥ / ٥٩١)

الأصل الثالث :دلالات الألفاظ .

من المهمات لكل مفسّر أن يحيط بدلالات الألفاظ من حيث العموم والخصوص ،والمطلق والمقيد ، والمنطوق والمفهوم ؛لأنها أدوات لفهم النص .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي :"كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه الألفاظ مطابقة ، وما دخل في ضمنها ، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكرها .."

ثم بيّن الطريق الموصل لهذا فقال: والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع :أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من المعاني ،فإذا فهمتها فهما جيدا، ففكّر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها ،وما يشترط لها .وكذلك فكّر فيما يترتب عليها ،وما يتفرع عنها ،وينبني عليها وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة ،فان القرآن حقّ ،وما يتوقف على الحقّ حقّ ،وما يتفرع عن الحق حق ،ذلك كله حق ولابد [1].

وذلك أن اللفظ الذي نريد فهمه لايخلو من هذه الدلالات ،إما أن يكون اللفظ عاما أو خاصا، وأحيانا يكون اللفظ عاما ويراد به الخصوص، والعكس أيضا ،قد يكون اللفظ خاصا ويراد به العموم ، وهناك صيغ تفيد العموم ويراد بها العموم ،وألفاظ تفيد الخصوص ويراد بها الخصوص،

(١) السعدي ،عبدالرحمن (القواعد الحسان ص ٣١-٣٢)

وألفاظ تفيد العموم إلا أنه يراد بها الخصوص ،وألفاظ تفيد الخصوص إلا أنه يراد بها العموم ،والقرائن توضح وتزيل اللّبس

ومن هنا يتبين لنا أهمية معرفة هذا العلم لما له من أثر في فهم النص واستخراج الأحكام .

ومن أمثلة ذلك : عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[1]، فلفظ "المطلقات" هنا عامّ ،ولو فسرنا هذه الآية لوحدها فإنها تفيد أن عدة كل المطلقات ثلاثة قروء ، بينما هذا الحكم لايمكن إطلاقه هكذا على جميع المطلقات ؛ لأنه قد جاءت آية أخرى في سورة أخرى هي سورة الطلاق تخصّص هذا الحكم وهي قوله تعالى : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[2].

وهاهو قتادة -كما أخرج عنه ذلك عبد بن حميد- يقف مع هذا اللفظ العام ويخرج بعض أفراده منه، ويسمي ذلك نسخا -على اصطلاح السلف في إطلاق النسخ على التخصيص - فيقول في تفسير هذه الآية :فجعل عدة الطلاق ثلاث حيض ،ثم إنه نسخ منها المطلقة التي طلقت ،ولم يدخل بها زوجها ،فقال في سورة "الأحزاب" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[3]، فهذه تُزوّج إن شاءت من يومها ،وقد نسخ من الثلاثة فقال:

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) الطلاق: ٤.

(٣) الأحزاب: ٤٩.

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ [1]، فهـذه العجـوز التـي لاتحيض ، والتي لم تحض ،فعدتهن ثلاثة أشهر ،وليس الحيض من أمرها في شيء، ونسخ من الثلاثة قـروء :الحامـل ، فقـال: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ ﴾[2] ، فهذه ليست مـن القـروء في شيء، إنـما أجلهـا أن تـضع حملها " . [3].

وكذا الأمر بالنسبة لدلالـة أخـرى مـن دلالات اللفـظ، وهـو المطلـق والمقيد ، فقد جاءت بعض الأحكام في الآيات مطلقة غير مقيّدة بوصف أو شرط ، وجاءت أحكام أخر مقيّدة بأوصاف أو شروط،

وعند تناول المفسّر للآية لابد له أن ينظر إلى ذلك .

فمثلا عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾[4]، فان هذه الآية مطلقة قيدتها قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ [5]، فان هذه الآية قد قيدت توزيع الميراث بأنه يكون بعد إخراج الوصية والدَّين.

وكذا الأمر بالنسبة لدلالة أخرى من دلالات الألفاظ ،وهي: المنطوق

(١) الطلاق: ٤.

(٢) الطلاق: ٤.

(٣) السيوطي ، عبدالرحمن (الدر المنثور:٢ / ٦٥٠)

(٤) النساء: ١١.

(٥) النساء: ١١.

والمفهوم، لأن دلالة الألفاظ على المعاني ، إما أن تستفاد من جهة النطق والتصريح ،أو من جهة التعريض والتلويح ، ولاتخلو دلالة اللفظ إما أن تكون دلالة منطوق صريح كدلالة النص أو غير صريح كدلالة الاقتضاء ، أودلالة الإشارة ، أو دلالة مفهوم موافقة أو مخالفة . **وكل ذلك يحتاج إلى استقراء لتفسير السلف للخروج بأمثلته وتطبيقاته .**

ومن أمثلة هذه الدلالات أكتفي بمثال على أثر دلالة مفهوم في معنى آية .

هذا المثال لمفهوم هو : مفهوم شرط ،اعتمد عليه الصحابة في استخراج حكم من الأحكام

وذلك في قوله تعالى(إن ترك خيرا الوصية) (سورة البقرة: ١٨٠) ، هو أن من لم يترك مالاً كثيراً فلا وصية عليه. وهذا مفهوم شرط ،أي: إن ترك خيراً فليوص.

أخرج سعيد بن منصور عن عائشة -رضي الله عنها - قالت: "قال لها رجل: إني أريد أن أوصي؟ قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله ﷻ: (إن ترك خيرا)، وإن هذا الشيء يسير، فاتركه لعيالك فهو أفضل"[(١)].

وأخرج ابن جرير -رحمه الله- عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - أنه دخل على مولى لهم في الموت، وله سبعمائة درهم أو ستمائة درهم،

(١) سنن سعيد بن منصور، تفسير سورة البقرة (٢/ ٦٥٦) برقم (٢٤٨).

فقال:" ألا أوصي؟ فقال: لا، إنما قال الله: (إن ترك خيرا)، وليس لك كثير مال[1].

(١) تفسير ابن جرير (٣/ ١٣٦).

المبحث الثالث : الأساس العقدي والإيماني ،ويدور حول المنطلقات الفكرية للمفسر، أوالخلفية الفكرية للمفسر وأثرها في التفسير.

وهو يعتمد على أصلين هامّين هما:

الأصل الأول: صحة العقيدة ونقاؤها ،والخلوص من الأهواء.

هذا الأصل من الأصول العاصمة - بإذن الله – من الانحراف في تفسير آيات القرآن ،ومن التعسّف المؤدي إلى ليّ أعناق النصّ القرآني لموافقة منهج أو فكر أو عقيدة المفسر المنحرفة.

وذلكم أن القرآن حمّال ذو وجوه ، ويصطبغ التفسير بالصبغة الفكرية أو العقدية التي يعتقدها المفسر ،وينحرف في تأويله للقرآن حتى يؤيد مايعتقده؛ ولذا وجدت تفاسير كثيرة منحرفة كتفاسير الشيعة،والباطنية، والخوارج ،والمعتزلة،والصوفية ...

سببها الانحراف العقدي ،والأهواء التي تحملهم على تحريف الكلم عن مواضعه،لتأييد باطلهم ،أو للطّعن في القرآن من حيث صرفه إلى مذاهبهم الفاسدة.

وهانحن اليوم نشهد طوائف جديدة منحرفة في تفسير كلام الله ممن يسمون بأصحاب القراءات الحديثة ، فكثير من هؤلاء لهم أجندات عقدية منحرفة تعتمد على مدارس عقلية ،ومذاهب حداثية غربية في قراءة النص، مما يحملهم على تحريف القرآن بتشويه تفسيره ،ويحمّلون النص القرآني مالايحتمل من الدلالات والمعاني ،ويبطلون أحكامه القطعية كأحكام

الحدود الشرعية بتأويلات فاسدة نابعة من أهوائهم المنحرفة ،وأفكارهم الضالة.

وأما سلف هذه الأمة الذين يؤخذ عنهم التفسير فقد كان لصحة عقائدهم وخلوصهم من الأهواء والبدع المحدثة -التي نشأت بعدهم - الأثر الكبير في سداد أقوالهم في تفسير كلام على الوجه الصحيح والمعتبر

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ،وماروره من الحديث ، ووقفت من ذلك على ماشاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ،فلم أجد من الصحابة أنه تأوّل شيئا من آيات الصفات أوأحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف عنهم من تقرير ذلك وتثبيته ،وبيان أن ذلك من صفات الله مايخالف كلام المتأولين مالايحصيه إلا الله ، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شئ كثير " [1].

(١) ابن تيمية،أحمد بن عبدالحليم ،(مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩٤) .

الأصل الثاني :تقديس كلام الله وتعظيمه.

من هدي سلف الأمة ومفسريها تقديس كلام الله وتعظيمه، وقد أدّى ذلك إلى تحرّجهم في التفسير، وتعظيم أمر التفسير ،حتى إن بعضهم كان يستخير عند الإقدام عليه ،بل أدى التهيب ببعضهم إلى أن امتنع منه .

وأمر تقديس السلف لتفسير كلام الله وتعظيمه من الأمور المشتهرة .

يقول مسروق :"اتقوا التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله " [(١)] ويقول الشعبي :"إن الذي يفسر القرآن إنما يرويه عن ربه "[(٢)].

وقد كانوا يعظّمون القول في التفسير أكثر من غيره من بقية العلوم ؛لارتباطه بكلام الله –عز وجلّ– يقول يزيد بن أبي يزيد : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ،وكان أعلم الناس ،فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع "[(٣)].

هـذا التهيب والتعظيم لكتاب الله مؤثر ولاشك في منهجية التفسير،وفيما سيقدّمه المفسر من قول في بيان معنى الآية؛

ولذا جاءت جرأة بعض أصحاب القراءات الجديدة للنص القرآني من قلّة تعظيمهم لكتاب الله، وتجرئهم على كلام الله في أقوالهم الباطلة

(١) ابن سلام،أبوعبيد القاسم ،(١٤١٥هـ،فضائل القرآن (٢/ ٢١٣) نشروزراة الاوقاف بالمغرب، ت: أحمدالخياطي.

(٢) الاصبهاني ،،أبونعيم ،١٣٩٩هـ،(حلية الأولياء ٤ / ٣٢١) .

(٣) الطبري ،أبوجعفر،١٤٢٢هـ(جامع البيان ١ / ٨٠-٨١)

والمحرفة لكلام الله – عياذا بالله من الضلال – بل وتعاملهم معه كأيّ نصّ، ولاشك أن هذا من أخطر ماجعلهم يقولون في القرآن هذه الضلالات ،بتحريفهم للكلم عن مواضعه.

المبحث الرابع : الأصول المنهجية في التفسير

هذا الأصل يعالج طريقة التفسير والمنهجية العلمية في التفسير،وهو يرتكز على عدة أصول هامة أبرزها:

الأصل الأول :الالتزام بالحقيقة في التفسير.

الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة ؛لأنها هي المتبادرة إلى الذهن ، ولأنها مراد المتكلم بداية ، وأيّ خروج عن ذلك فإنه يعدّ استثناء، ولابد له من قرائن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" ومن قسّم الكلام إلى حقيقة ومجاز متفقون على أن الأصل في الكلام هو الحقيقة"[(١)].

والقرآن الكريم كلام رب العالمين يجب حمله على الحقيقة ، ولايجوز العدول عنها إلى المجاز إلا لمانع يمنع من ذلك.

يقول الإمام ابن عبد البر:" وحمل كلام الله –تعالى –وكلام نبيه على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق ،لأنه يقص الحق ،وقوله الحق –تبارك وتعالى علوا كبيرا– "[(٢)].

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، فقد ذكر الطبري عدة أقوال في معنى "الهبوط" ومنها :أن هبوط

(١) ابن تيمية ،احمد بن عبدالحليم (مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٣).

(٢) ابن عبدالبر (التمهيد ٥ / ١٦).

(٣) البقرة: ٧٤.

ماهبط منها من خشية الله: تفيؤ ظلاله.

وقال آخرون :ذلك الجبل الذي صار دكّا إذ تجلّى له ربّه.

وقال بعضهم :ذلك كان منه ويكون بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم ،فعقل طاعة الله فأطاعه ،كالذي روي عن الجذع الذي كان يستند إليه رسول إذا خطب ،فلما تحوّل عنه حنّ ، وكالذي روي عن النبي أنه قال :" إن حجرا كان يسلم عليّ في الجاهلية ،إني لأعرفه الآن "

ثم قال : وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل ،فان تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها ، فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها "[1] .

ومثال تأويل السلف لهذه الآية على الحقيقة ماأخرجه الطبري بسنده عن مجاهد أنه قال :كل حجر يتفجر منه الماء ،أو يشقق عن ماء ،أو يتردّى من رأس جبل ،فهو من خشية الله عزّ وجل ،نزل بذلك القرآن " وروى عن ابن جريج مثله[2]

(١) الطبري ، أبوجعفر (جامع البيان ٢ / ١٣٧)

(٢) الطبري ، أبوجعفر (جامع البيان ٢ / ١٣٦)

الأصل الثاني :الالتزام بظاهر القرآن.

والمراد بظاهر القرآن:إجراء نصوص القرآن على ظاهرها من المعاني.

قال أبو الحسن الأشعري :"القرآن على ظاهره ،وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة ،وإلا فهو على ظاهره "(١).

وقال أبو المظفر السمعاني: "وقد كانت الصحابة يتعلّقون في تفاصيل الشرع بظواهر الكتاب والسنة"(٢).

ويؤكد ذلك الشوكاني فقال :"واعلم أن الظاهر دليل شرعي يجب إتباعه ،والعمل به بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ "(٣) .ويقرر الشنقيطي ذلك :" والتحقيق الذي لاشك فيه ،وهوالذي كان عليه أصحاب رسول الله وعامة علماء المسلمين أنه لايجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله في حال من الأحوال بوجه من الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح"(٤).

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾(٥).

فقد وردت أقوال عن السلف تفسر الآية على ظاهرها يقول عكرمة:

(١) الأشعري ، أبوالحسن(الابانة ص ٦٨).

(٢) السمعاني ، منصور بن محمد (قواطع الأدلة ٣/ ٥٤) .

(٣) الشوكاني ،محمد بن علي (ارشاد الفحول ص ٢٩٩) .

(٤) الشنقيطي ،محمدالامين (أضواء البيان ٧/ ٤٣٨) .

(٥) الإسراء: ٤٤.

"لايعيبنّ أحدكم دابته ولاثوبه ،فان كل شيء يسبح بحمده ".

ويقول أيضا :"الشجرة تسبّح ،والاسطوانة تسبّح" [(١)].

وقد وردت بعض الأقوال في تفسير هذه الآية على غير ظاهرها مثل: إن كل شئ فيه روح يسبح ، ومالاروح فيه فلا يسبح .

وقيل : إن هذا التسبيح تجوّز ،ومعناه إن كل شئ تبدو فيه صنعة الصانع الدالة عليه فتدعو رؤية ذلك إلى التسبيح من المعتبر [(٢)].

وهذه الأقوال خالفت ظاهر الآية ،فظاهر الآية يثبت التسبيح حقيقة لكل المخلوقات ناطقة أو غيرناطقة من حيوانات أو جمادات .

يقول أبوحيان :"ونسبة التسبيح للسموات والأرض ومن فيهن من ملك وإنس وجنّ ،حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة ،وأن مالاحياة فيه ولانمو يحدث الله له نطقا وهذا هو ظاهر اللفظ "[(٣)].

وكذا قال الشنقيطي :" التحقيق أن تسبيح الجبال والطير مع داود تسبيح حقيقي ،لأن الله –جل وعلا– يجعل لها إدراكات تسبّح بها "[(٤)].

---

(١) الطبري (جامع البيان ١٤/ ٦٠٥) والسيوطي ،الدر المنثور (٩/ ٣٥٥)

(٢) ينظر هذه الأقوال في زاد المسير (٥ / ٣٩) والمحرر الوجيز (١٠ / ٣٠٠) والبحر المحيط (٧ / ٥٤)

(٣) الاندلسي ،أبوحيان (البحر المحيط ٧ / ٥٤)

(٤) الشنقيطي ،محمدالامين (أضواء البيان ٤ / ٦٧٢)

الأصل الثالث :العناية بالسياق في تفسير الآية .

هذا الأصل من الأصول المنهجية المهمة في تفسير القرآن ؛ لأن سياق الآية، وإدخال الكلام في معاني ماقبله ومابعده مؤثر كبير في فهم الآية وإزالة اللبس عنها ،وتفصيل المجمل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" فان الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية "(١).

ويشرح ابن القيم أثر السياق في فهم الآية :"السياق يرشد إلى تبيين المجمل ،وتعيين المحتمل ،والقطع بعدم احتمال غير المراد ،وتخصيص العام ،وتقييد المطلق ،وتنوع الدلالة .وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ،فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته .فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (٢)، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"(٣) .

وحتى فهم المفردة اللغوية يلزم فهمها في ضوء السياق :

يقول الزركشي :"وطريق التوصل إلى فهمه :النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ،وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب "المفردات" فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في

---

(١) ابن تيمية، احمدعبدالحليم (مجموع الفتاوى ٦/ ١٤)

(٢) الدخان: ٤٩.

(٣) الجوزية ، ابن قيم (بدائع الفوائد ٤/ ٩)

تفسير مدلول اللفظ ،لأنه اقتنصه من السياق "[١].

ويؤكد تميّز الراغب في مفرداته بسبب استعانته بالسياق في فهم الغريب، فيقول :"ومن أحسنها كتاب المفردات للراغب ،وهو يتصيد من السياق ؛لان مدلولات الألفاظ خاصة "[٢].

ومن أمثلة ذلك : عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [٣]،" قال الطبري : اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالنعمة التي أخبر الله -تعالى ذكره -عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ،مع معرفتهم بها فقال بعضهم :هو النبي عرفوا نبوته ،ثم جحدوها وكذبوه.

وقال آخرون :بل معنى ذلك: أنهم يعرفون أن ماعدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النّعم من عندالله ،وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم ينكرون ذلك ،فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم .

وقال آخرون :إنكارهم إياها أن يقول الرجل :لولا فلان ماكان كذا وكذا ،ولولا فلان ماأصبت كذا وكذا ،وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم :من رزقكم ؟أقروا بأن الله هو الذي رزقهم ،ثم ينكرون ذلك بقولهم :رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ،وأشبهها بتأويل الآية قول من قال:

---

(١) الزركشي ، بدرالدين (البرهان ٢ / ١٧٢)

(٢) الزركشي ، بدرالدين (البرهان ١ / ٢٩١)

(٣) النحل: ٨٣.

عنى بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ النعمة عليهم بإرسال محمد إليهم داعيا إلى مابعثه بدعائهم إليه ،وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول وعما بعث به ،فأولى مابينهما أن يكون في معنى ماقبله ومابعده ،إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده ،فالذي قبل هذه الآية قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [(١)]، ومابعده ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [(٢)]، وهو رسولها فإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يامحمد بك ،ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يقول: وأكثر قومك الجاحدون نبوتك ،لاالمقرون بها " [(٣)].

(١) النحل: ٨٢-٨٣.

(٢) النحل: ٨٤.

(٣) الطبري، ابوجعفر (جامع البيان ١٤/ ١٥٧-١٥٨)

الخاتمة

الحمد لله ،والصلاة والسلام على رسول الله ،وبعد،

فبعد مدارسة هذا الموضوع- الأصول الإيمانية والعلمية لفهم كلام الله -يمكن الخروج بعدة نتائج أبرزها:

١- أهمية دراسة تفسير السلف واستقرائه للخروج بأهم الأصول العلمية والإيمانية لتفسير كلام الله.

٢- من أهم مايميز تفسير السلف السلامة العلمية والمنهجية التي بنوا عليها تفاسيرهم.

٣- هناك أصول علمية منهجية لايمكن تفسير القرآن تفسيرا سليما بدونها، من أهمها:

أولا: معرفة لغة القرآن ،وأساليبه وعادته في الخطاب .

ثانيا:ضرورة إدراك ظروف نزول القرآن مكانا وزمانا.

٤- ضرورة إتباع منهجية علمية في التفسير تعتمد على تفسير القرآن بالظاهر،واعتماد الحقيقة في تفسير الألفاظ .

٥- أهمية مراعاة السياق في التفسير .فهو معين كبير وهام في التفسير ، ومرجح قوي عند تعدد الأقوال.

٦- الضلال الموجود في تفاسير أصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة كأصحاب القراءات الحديثة للنص القرآني، من أهم أسبابه: تفريطهم أو تجاهلهم لتلك الأصول في التعامل مع كتاب الله ،إضافة إلى جرأتهم على التقوّل في تفسير القرآن.

فهرس أهم المراجع

- الأشعري، أبوالحسن علي بن إسماعيل ، ١٤١٨هـ ، الإبانة عن أصول الديانة بيروت ، دارالكتب ،ط:١.
- الأصبهاني، احمد بن عبدالله ،١٣٩٩هـ، حلية الأولياء ،مصر،مطبعة السعادة.
- الأصفهاني، الراغب ، ١٤١٢هـ،المفردات، دمشق ،دار القلم ، ط:١ ، تحقيق :صفوان داوودي.
- الأندلسي، محمد بن عطية ، المحرر الوجيز ، وزارة الشئون الإسلامية بالمغرب، ط:١.
- الأندلسي ، محمدبن يوسف أبوحيان ،١٤١٢هـ، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط:١.
- ابن تيمية ، أحمدبن عبدالحليم ،مجموع الفتاوى، الطبعة المصرية.جمع عبدالرحمن بن قاسم.
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، ١٤٠٤هـ، زاد المسير ، بيروت، ط:المكتب الإسلامي ،ط:٣
- ابن الجوزية ،ابن قيم ،بدائع الفوائد ط : دار الكتاب العربي ، بيروت.
- الحربي، حسين بن علي ،١٤٢٩هـ،قواعد الترجيح عند المفسرين، الرياض، دار القاسم، ط:٢.
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن ،القاهرة ،ط:دار التراث، ت :محمدأبوالفضل ابراهيم

- السمعاني ، منصور بن محمد ، ١٤١٩هـ، قواطع الأدلة في أصول الفقه، الرياض، مكتبة التوبة،ط:١ ، تحقيق:د/ عبدالله بن حافظ الحكمي.
- السيوطي،جلال الدين،١٤٠٥هـ، الإكليل في استنباط آيات التنزيل ، بيروت، دار الكتب العلمية،ط:٢،تحقيق سيف الدين الكاتب.
- السيوطي ،عبدالرحمن بن أبي بكر، ١٤٠٧هـ ،الإتقان في علوم القرآن، الرياض، ط:الأولى، مكتبة المعارف.
- ابن سلام،أبوعبيدالقاسم، ١٤١٥هـ ،فضائل القرآن ،المغرب ، نشروزارة الأوقاف ،تحقيق:أحمدالخياطي.
- الشاطبي ،أبو إسحاق ،الموافقات في أصول الشريعة،بيروت ،دار المعرفة،تعليق:عبدالله دراز.
- الشنقيطي ، محمد الأمين ، بدون تاريخ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، عالم الكتب
- الشوكاني ، محمد بن علي ،١٤١٢هـ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، بيروت، مؤسسة الثقافة، ط:١،تحقيق: محمد البدري
- الطبري ،محمد بن جرير،١٤٢٢هـ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة ،دار هجر،ط ١،تحقيق د/ عبدالله التركي
- القرطبي ،محمد بن أحمد،١٩٦٥ م، الجامع لأحكام القرآن،بيروت، دار إحياء التراث.
- القرني ، بريك بن سعد، ١٣٢٦هـ ، كليات الألفاظ في التفسير، الرياض، ط: ١.

- المثنى، أبوعبيدة معمر،١٤٠١ هـ ،مجاز القرآن ، دمشق ،ط:٢ ، مؤسسة الرسالة.
- النحاس،أبو جعفر ،١٤١٢ه ، الناسخ والمنسوخ ،دمشق ،مؤسسة الرسالة ،ط٣،تحقيق : سليمان اللاحم.
- الواحدي، أبوالحسن علي بن أحمد، ١٣٩٨ هـ، أسباب النزول، بيروت، دار الكتب العلمية.